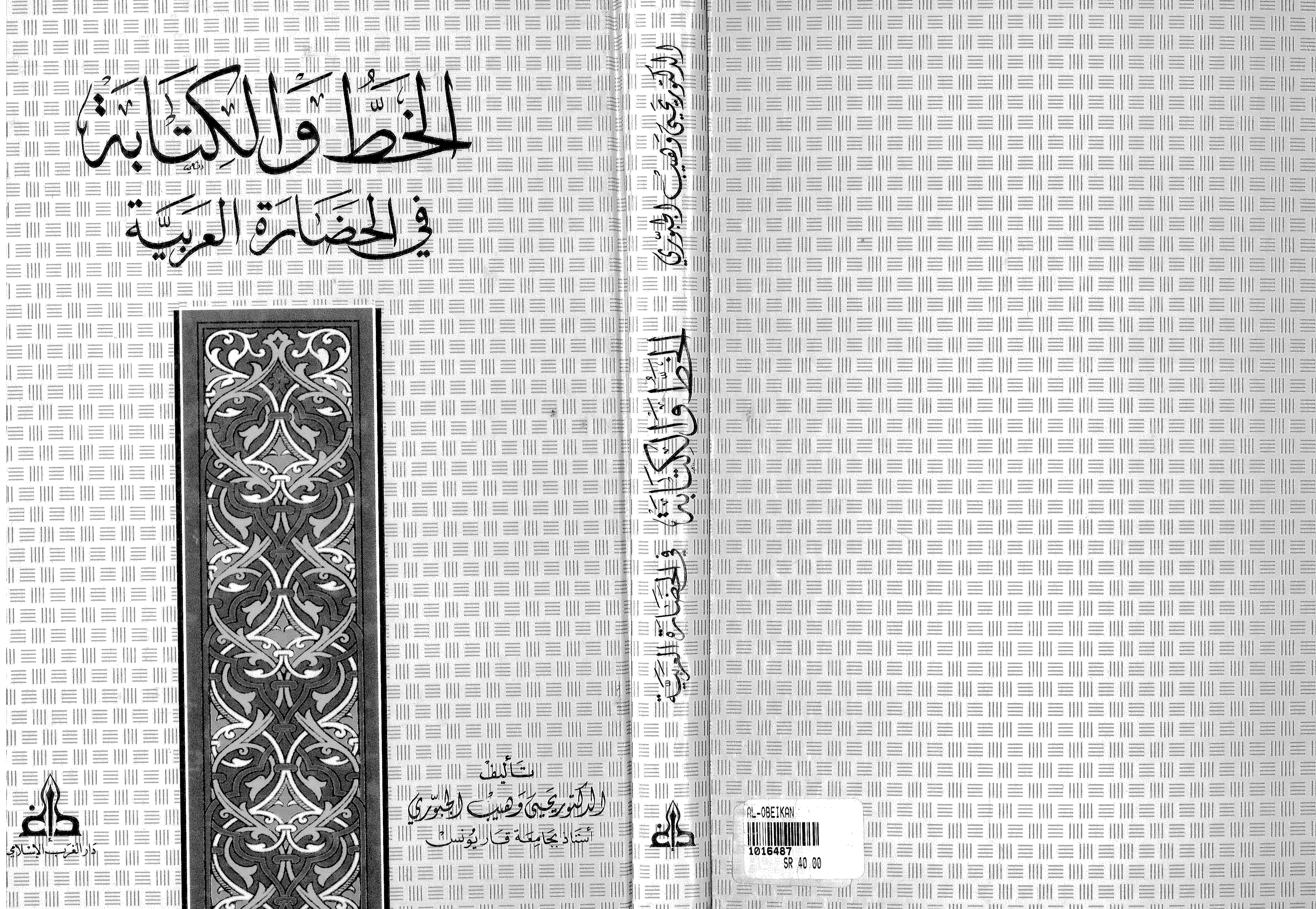


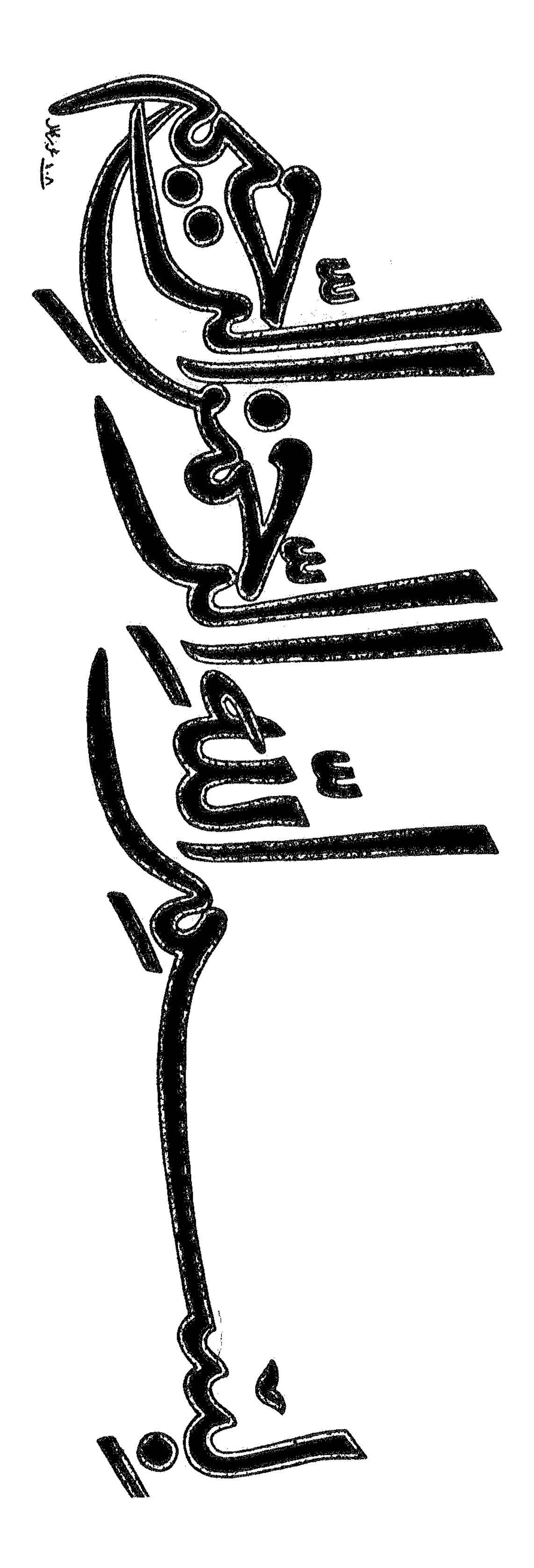
الخط والكتابة
في الحضارة العربية
تأليف
الدكتور يحيى وهيب الجبوري
أستاذ بجامعة قاريونس
دار الغرب الإسلامي
الخط والكتابة في الحضارة العربية
الدكتور يحيى وهيب الجبوري
AL-OBEIKAN
1016487
SR 40.00

الخطّ والكتابة
في الحضارة العربيّة

الخطّ والكتابة
في الحضارة العربية

تأليف
الدكتور يحيى وهيب الجبّوري
أستاذ بجامعة قاريونس





البسملة بخط علي بن هلال ابن البواب البغدادي

الطبعة الأولى
1994

دار الغرب الإسلامي
ص.ب: 113/5787
بيروت ـ لبنان

الاهداء

الى أم الفوارس التي شاركتني مشاق الرحلة، وعذاب الغربة، بصبروجلد وشجاعة، وأهدتني ست زهرات من زينة الحياة، الى تلميذتي البارة، وزوجتي الحبيبة

هيفاء عبد الرحمن

هدية

وتحية

ووفاء.

يحيى

المقدمة

ترجع فكرة تأليف هذا الكتاب الى سنوات طويلة تجاوز الثلاثة عقود، منذ تعلقت بالمخطوطات ومعالجة خطوطها ومعرفة رسم حروفها، وكنت منذ عهد الصبا أحب الخط الجميل وأتذوقه وأقتني لوحاته وأحب تهاديها، حتى أنني حين عدت من مكة المكرمة سنة 1970م لم أجلب من الهدايا التي يجلبها حجاج بيت الله لأهليهم وأصدقائهم من المسابح والسجاجيد للصلاة، بل جلبت معي مجموعة كبيرة من لوحات البسملة والآيات القرآنية بخط المرحوم الخطاط حامد التركي ا لمشهور وكانت تطبع على القماش بشكل جميل جداً وتباع في المدينة المنورة.

وكان تعلقي بالخط يرجع الى عهد الطفولة منذ زمن الطلب الأول في المدارس الابتدائية، حيث كنّا في زمن الحرب الثانية حين شح الورق وغلا ثمنه كنا نكتب على صفائح من الزنك (التنك) بالحبر، وبعد أن تمتلىء الصفحة أو الصفيحة ويراها المعلم نمحوها بخرقة مبللة لنكتب عليها مرة أخرى ومرات، وكانت الدواة فيها ليقة من صوف حتى لا ينسكب الحبر، ثم عرفت فيما بعد المحبرة الدائرية ذات العنق المقلوب الى الداخل بحيث لا ينسكب الحبر حتى إذا قلبت المحبرة، وكنا نكتب بقلم من خشب في رأسه (سلاية) من معدن، وكان خطي آنذاك جميلاً بالنسبة إلى سنّي، وكنت أحرز الدرجة الكاملة في جمال الخط، ولكن سلط الله علينا فيما سلط بعد ذلك بقليل معلماً للرياضة البدنية، وكان يحسدني على جمال خطي وحسن تأدية الحروف، ويقول إن خطك مثل خطي ولكنك بطيء يجب أن تسرع، وكانوا ينـدبون في الدروس الشاغرة حين يتغيب أحد المعلمين معلم الرياضة هذا ليقف على الطلاب، وليس عنده ما يقول أو يعلّم، فكان يجعل الحصة للخط، يكتب لنا سطراً أو بيتاً من الشعر على السبورة، يكتبه له معلم اللغة العربية والدين، ثم يأمرنا بكتابة هذا السطر أو البيت حتى تمتلىء الصفيحة، وكان يسابق بيننا أيّنا ينهي صفيحته أولاً، وكان يحرضني على السرعة ويوبخني على التأني، ويقف على رأسي قائلاً وناخساً بعصا بيده: أسرع، أسرع، أسرع، وكان لا يعنيه جمال الخط بقدر ما يعنيه سرعة الكتابة وانهاء الصفيحة التنك،

وكـان كثيراً مـا يضربني على رأسي صائحـاً أسرع، حتى بـدأت أسرع ثم أصبحت السرعة عادة وذهبت العناية بالخط الى طلب السرعة والسبق، وبقي خطي منـذ كان في السنـة الثانيـة أو الثالثـة الابتدائيـة حتى الآن لم يتحسن الا قليـلاً، وصرت لا أعـرف إلا الكتـابـة المسرعـة التي كثيراً مـا يصعب قراءتها على الآخرين، وقد تنغلق علي أحياناً لأنها أصبحت رموزاً خاطفة، سـامحك الله يا معلم الرياضة، التي كنت ومـا زلت مزوراً عنها غير رياضـة المشي، وصرت أحثّ أولادي على التأني في الكتـابة والعنـاية بـالخط وأحضر لهم كراسـات الخط لتـذوق الخط الحسن والتمرن عليـه، وأحمد الله أن حظهم كان خيراً من حظي وخطهم أجمل من خطي.

وكـان من جـرائر رداءة الخط أنه كـان سببـاً في إعـراض الصحف والمجـلات عن نشر ما أرسل إليهم، فقـد كنت في الخمسينيات من هـذا القـرن أرسل بعض المقـالات والقصـص الى المجـلات والجرائد العـراقيـة واللبنانيـة، فكانـوا يهملونها ولا يلتفتون إليهـا، فإذا ما كتبتهـا على الآلة الكاتبة نشرت واحتُفل بها وأُثني عليها، وهكـذا حلّت لديَّ الآلة الكاتبة منذ زمن مبكر.

ومن تعلقي بـالخط الجميل أنني كنت أفضل خط المرحـوم هـاشم محمد الخطـاط، وكنت كلما ألّفت كتاباً أذهب إليه وأجلس معـه ليخط عنوان الكتاب واسمـي معه، وكنت أحياناً أكلّفـه أن يخط العنوان مرتين مـرة بخط الثلث ومـرة بخط الفـارسي، الأول للغـلاف الخارجي والثـاني للغلاف الداخلي، وكثيراً ما كنت أكلفه أن يخط لي خطوطاً لكتب لم تنجز بعد أو لا أحتاجها، اعتزازاً بخطه، وما زالت كتبي التي طبعت في بغداد في طبعاتها الأولى تحمل خطـه، وخاصة خط الثلث الذي كـان يبدع فيه أي إبـداع، وكان لـديّ إحسـاس في السبعينيـات أن الرجـل قد يمـوت فكنت أحدث نفسي أن يخط لي مجموعة من عناوين الكتب غير المنجزة، وهكذا فعلت، وكـان يسألني رحمه الله عن كثرة هذه الخطـوط وهل لدي كل هــذه الكتب، فقلـت: إنها مجرد مشـاريع للمستقبل، وإن هــذه الخطـوط هي لـوحات أعلقهـا في مكتبتي، فكـان يسر لـذلك ويهديني

بعض هذه الخطـوط دون مقابل، يـرحمه الله فقد كان فنـانـاً كبيراً قلّما يجود الزمان بمثله.

وكذلك كنت أفعل مع المرحوم محمد طاهر الكردي في مكة المكرمة حين كنت مـدرسـاً في كليتي الشريعـة والتربيـة في سنـوات 1967 ـ 1970م، وقد انعقدت بيننـا صداقة متينة بسبب ميله الى الأدب وقرض الشعر، وعلمه بـالكتب، وقد أفدت منه كثيراً في معرفة الخطـوط وتذوقها وطريقة رسم الحروف وتناسقها، وما زلت أحتفظ بمجموعة من لوحاته، وإن كان في ذلك الوقت قد كبر وضعف بصره وقلّ عمله، ولكن أحاديثه عن الخط والخطاطين كانت تشدني وتمتعني.

وقـد تعلقت بـالخط أكثـر من ذلك وفكـرت في التأليف فيـه حين ترجمت فهـرس المخطوطـات الاسلاميـة في جامعـة كمبردج الذي صنفـه المستشرق براون ووقفت على أنواع الخطوط وأسمائها وصور مخطوطاتها.

إن التعلق بـالخط لا يعني أن يكـون المرء خطـاطـاً أو حتى حسن الخط، فإن الخط كالرسم موهبة وصناعة، ولا يشترط أن يكون المرء رساماً حتى يحب الرسم، بل الأمر على خلاف ذلك، فكلما كان الانسان محروماً من جمال الخط والرسم زاد تعلقه بهما.

وبدافع من هـذه الخلفيات كلها ألفت هذا الكتـاب وأقبلت عليه مستمتعاً بـه، ومستهيناً بكل العقبات التي تعترضه، وقـد أعطيته الكثير من الوقت والجهد والمال، غير منتظر جزاء ولا شكوراً.

وهذا الكتاب في الخط والكتـابة، والمراد بالكتابة هنـا الخط وطريقة رسم الحروف وما يتعلق بـذلك من وسائل وأدوات، وليس المراد الكتـابة الديوانية والإنشائية وأساليب الكتـاب، ونعني بالكتابة أيضاً، ما جاء في دراسة خط الرسائل، رسائل النبي ﷺ على الرّق وما وجد من نقوش على الحجـر، وقد عُـرف الخطاطـون بالكُتّـاب، والخط بالكتـابة، ومن هـذا المفهوم وضعنا اسم الكتابة في العنوان، لأن فيها دلالة على الخط وصناعته وتحسينه وتجويده.

يقوم هذا البحث على مقدمة وستة فصول، درست في **الفصل الأول** أصل الخط العربي، وعرضت للنظريات التي تناولت أصل الخط عند المؤلفين القدامى، والافتراضات النظرية التي قالوا بها، وعند الباحثين المحدثين الذين قامت أبحاثهم ودراساتهم على دراسة الخط وتطوره في النقوش النبطية والعربية في العصر الجاهلي والعصر الأموي، وقد خلصت الى أن أصل الخط العربي مشتق من الخط النبطي، وقد تعرضت للتعريف بالأنباط وصلتهم بعرب الحجاز، وتأثر العرب بالخط النبطي وحاجتهم إليه في الكتابة، لأنهم كانوا أهل تجارة، وكان لا بد في كل هذه الفصول من الاستعانة بالنقوش والخطوط لتكون دليلاً على الفكرة وتوضيحاً للنظريات.

وتناول **الفصل الثاني** الخط في صدر الإسلام، وتعرض للنقوش التي اكتشفت في زبد وأسيس وحران وأم الجمال، وأوجزت صفات هذه النقوش وطبيعة خطها، وتناولت كذلك دراسة ما كتب في الرقوق، وأبرز ما وصلنا في ذلك رسائل النبي ﷺ الى ملوك الأمم من عرب وعجم، وتناولت الدراسة كذلك الكتابات الحجرية في صدر الإسلام، أما في عصر الخلفاء الراشدين فقد وقفت عند البرديات والنقوش الحجرية والمسكوكات، وأوضحت صفات الخط فيها وتطوره في هذه الفترة، ووقفت عند خطوط المصاحف التي كتبها الصحابة مع وصف هذه الخطوط والتعريف بها.

أما **الفصل الثالث** فقد تناول الخط في العصر الأموي، وقد كثرت فيه النقوش الحجرية كنقش سد معاوية، ونقش حفنة الأبيض، ونقش قبة الصخرة، وكتابة قصر خرانة، وقد كثرت في هذا العصر كتابة المصاحف فعرّفنا بأهم المصاحف التي كتبها الأئمة والتابعون، وألممنا بعد ذلك بصفات الخط في العصر الأموي، وأنواع الأقلام التي ظهرت في هذا العصر وأبرز الخطاطين. وقد ظهرت الحاجة في هذا العصر الى ضبط ألفاظ القرآن الكريم بما وقع في قراءته وفي الرسائل الديوانية من تصحيف وتحريف، ولذلك تعرضنا لقضية الشكل والإعجام وبيّنا كيف

وضعت والرجال الذين أسهموا في هذا الجهد والخطوات التي مر بها كل من الشكل والإعجام.

ووقفنا في **الفصل الرابع** وقفة طويلة عند الخط في العصر العباسي، الذي كثر فيه الكتّاب، وتطور الخط، وأصبحت للخطاطين شجرات، عرضنا لها وعرفنا بأسماء الخطوط القديمة وسبب تسمية كل خط سواء ما ارتبط منه بأسماء المدن أو بأسماء الصفات والأغراض، وبيّنا وظيفة كل خط من هذه الخطوط. أما الخطوط العباسية المحدثة فقد وصفناها وبيّنا نشأتها وأهم كتابها، وصفات كل خط، وأهم هذه الخطوط التي عرضنا لها بالدرس والوصف: الخط الكوفي، والثلث، والنسخ، والمغربي ومعه الأندلسي أو القرطبي، وخط الاجازة (التوقيع)، والديواني، والطغراء، والفارسي (أو التعليق)، والرقعة، والريحاني. وعرفنا بأسماء الخطوط القديمة والحديثة، وقسمناها الى خطوط ما قبل الاسلام، والخطوط التي اخترعت بعد الاسلام، وخطوط العصر الحديث، ثم بيّنا اللغات التي تكتب بالخط العربي، غير اللغة العربية، وهي: التركية، والهندية، والفارسية، والأفريقية.

وخصصنا **الفصل الخامس** للتعريف بحياة وخط وأدب الخطاطين المبدعين في العصر العباسي، وهم: ابن مقلة، وابن البواب، وياقوت المستعصمي، وقد أفضنا في دراسة حياة وفن كل من هؤلاء الخطاطين الأعلام الذين كان لهم أثر كبير في ازدهار الخط وتطوره في العصر العباسي، وقد كانوا وما زالوا قدوة للخطاطين المبدعين الذين جاؤوا بعدهم على مر العصور وحتى العصر الحديث.

وكان **الفصل السادس**، وهو أطول الفصول، قد تناول أدوات الكتابة، منذ عرف الانسان الكتابة، فكتب على الطين والحجر والعُسُب والكرانيف والأقتاب والعظام، ثم تطور فكتب على المهارق والقباطي، والجلود، وكان للرقوق دور كبير في تطور الكتابة وبداية التأليف، ولذلك وقفنا عند الرَّق وصناعته وكتابة المصاحف فيه، وزاحمه في ذلك البردي

الذي صنعت منه القراطيس التي دخلت الحياة الاسلامية وأسهمت في دفع حركة التأليف، لتيسر القرطاس وخفته ورخص ثمنه، وقد بقي القرطاس في كثير من البلاد الإسلامية منتشراً حتى بعد صناعة الورق وانتشاره، وقد وقفنا وقفة متأنية عند صناعة الورق ودوره في الحياة العلمية، وعرّفنا بأنواعه وأماكن صناعته وأحجامه، وآداب صناعته وكل ما يتعلق بذلك.

أما القلم، فقد جاء في الشعر الجاهلي، وذكره الشعراء ووصفوه، فتحدثنا عن الأقلام ومقاساتها وأنواعها وطريقة بريها، وصفات القلم عند أبرز الكتاب وهو ابن مقلة. وانتهى الفصل بذكر المداد والدواة، فعرّفنا بالمداد وطريقة صنعه وتعطيره، ووصفنا المحابر وما يتعلق بها من مواد، ثم بيّنا كيفية الاستمداد من الدواة، وكثرة المحابر في العصر العباسي وما فيه من دلالة على كثرة طلاب العلم والكاتبين.

وقد رجعت في كل ذلك الى جمهرة كبيرة من المصادر القديمة والمراجع الحديثة وكل ما ألف في هذا الموضوع سواء أكان غثاً أم سميناً، اللهم إلا ما لم تصل اليه يدي من المراجع بسبب طبيعة حياتنا التي كتب عليها الغربة والترحال.

أسأل الله سبحانه أن يتقبل منا ويوفقنا ويسدد خطانا فهو حسبنا وإليه المصير، والحمد لله أولاً وآخراً.

بنغازي: 7 رجب 1413هـ
30 كانون أول/ ديسمبر 1992م

يحيى وهيب الجبوري

تمهيد

إن مصادر دراسة الخط العربي تنحدر من أصلين: الأصل النظري، وهي الكتابات الاسلامية عن الخط وتاريخه وتطوره وأشكاله، وقد جاءت في ذلك نصوص كثيرة، وهذه النصوص كثيراً ما تعتمد على الافتراضات والاجتهادات والآراء المتوارثة، وإذا كان أكثرها صحيحاً، فإن فيه ما لا يقبله العقل. والأصل الثاني وهو الأهم والأوثق، هي الأصول المادية الأثرية، ما كتب على الحجر والنحاس والنسيج والرق والبردي، من نقوش ورسائل ووصايا وتواريخ ومعاهدات وصكوك وغيرها.

وإذا كان تاريخ الخط لا يُعرف إلا بنماذجه المادية، فإن صور الخط وأنواعه ورسومه لا تعرف إلا بالنموذج، فمهما وصف الخط الكوفي نظرياً، لا يجدي إن لم يكن معه نموذج من صورة على حجر أو رق أو نسيج. ولا شك أن دراسة النماذج الخطية تعين على معرفة تاريخ الخط وأصله وتطوره، أكثر من النصوص النظرية التي لا تستند إلا على الرأي والنقل، وكل رأي له رأي آخر يخالفه ويضاده، والنقل عرضة للوهم والخطأ، والزيادة والنقص. ولذلك لا بد في الدراسة العلمية من الرجوع الى المصدرين، مع اعتبار الأصول المادية هي الأصل الأول والأوثق. وعلى الدارس الحريص ألا يهمل عنصراً من عناصر البحث، فبالإضافة الى المصادر النظرية كالرسائل التي ألفت عن الخط العربي خلال العصور، والكتب التي ألفت عن الخط، أو أفردت له فصولاً خاصة، نرى أن ينصبَّ الاهتمام على كل ما تركه الإسلام من نماذج مكتوبة، ويتمثل ذلك في[1]:

1 ـ الكتابات التي وجدت على المباني والنصب والجدران وشواهد القبور والأضرحة والمنابر، سواء كتبت على الحجر أو الجص أو الخشب.

2 ـ الكتابات على أوراق البردي.

3 ـ المصاحف القديمة على اختلاف عصورها.

4 ـ الكتابات التي ظهرت على المسكوكات والنقود.

5 ـ الكتابات التي ظهرت في الآثار المنقولة كالفخار (الأطباق

(1) المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص 9.

والسرج والأواني) والخواتيم، والموازين والـزجـاج والأخشـاب والأواني النحاسية والسيوف والدروع، وغيرها.

6 ـ الكتابات التي ظهرت في الأقمشة والطروز.

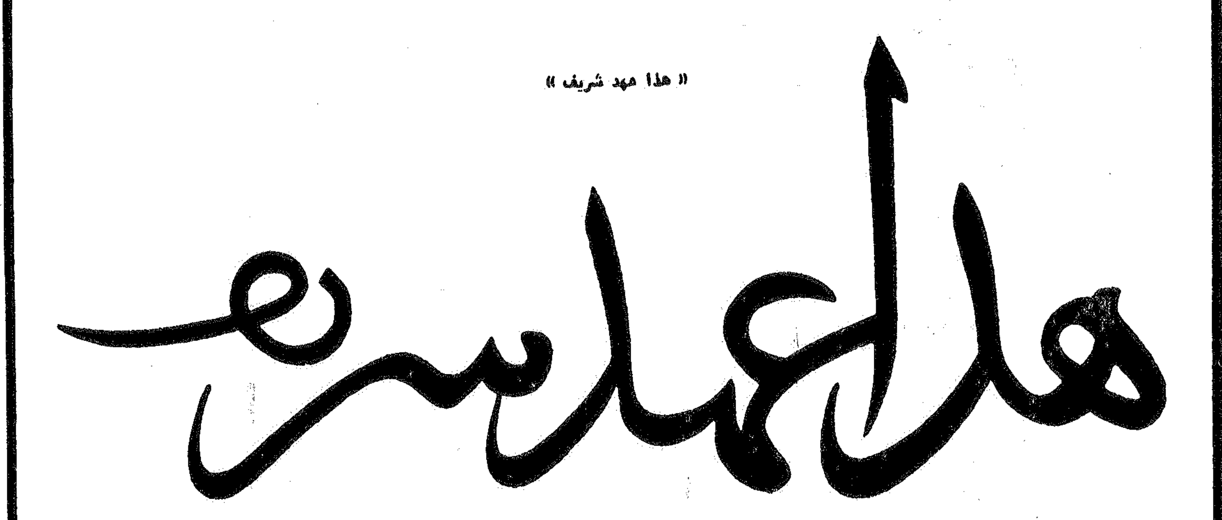
7 ـ الكتابات في الآلات العلمية كالاسطرلاب.

وقـد انتشر الخط العـربي في بيئـات كثيرة شـاسعـة، انتشر حيث انتشرت اللغـة العربيـة، فشمل الجزيـرة العـربيـة، والعراق، والشـام، وفارس، وخراسان، وما وراء النهـر، والسند، شرقاً، وانتشر في أرمينية، والقـوقــاز، وديـار بكـر، وآسيــة الصغـرى، شمالاً، وانتشر في مصر، وأفـريقية (تـونس)، والمغـرب الأقصى، والسـودان غربـاً، وكـذلك في الأندلس وصقلية، وجنوب فرنسة. ولذلك فإن الدراسة ينبغي أن تشمل كل الكتـابـات في هذه البيئـات، وبـدهي أن يتخـذ في كل بيئة طـابعـاً متميـزاً، ويصطبغ بالأثـر المحلي، فـالخط الكوفي الأنـدلسي يختلف عن الخط الكـوفي القيرواني، وهـذان يختلفـان عن الخط الكـوفي في العـراق والشـام، هذا مع مـلاحظة الأثـر الشخصي للخطاط المسلم، ومـا لكل منهم من شخصية تعكس ذوقه ومهارته وأثر البيئة فيه.

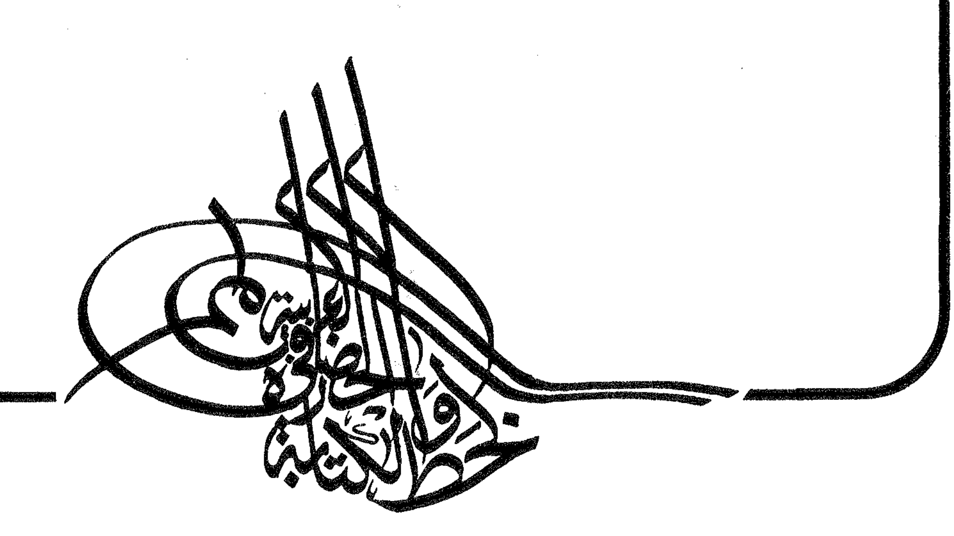
الفصل الأول

نظريات في أصل الخط العربي

« هذا مهد شريف »



نموذج من خط الطومار القديم





لوح 2
صور مختلفة للخط العربي

لن نتعرض هنـا الى أصل الحروف وتطور الكتابة من الصـورية الى الرمزية ثـم المقطعية، لأن ما وصلنـا من الخط العـربي كـان بعـد أن استقـرت الأبجـديـة واكتملت لـدى شعـوب الشرق الأوسط والأدنى.

لقد نشأت الأبجـدية وتطورت في البـلاد العربية القـديمة، وقطعت مراحل طـويلة، من ذلك أبجديـة سيناء، وأبجـدية جُبيل، وأبجـدية رأس شَمْـرا، التي تعتبر من أتم هـذه الأبجديـات، وقد حفظت هذه الأبجديات النقوش القديمة في جنـوبي الجزيرة العربية ووسطها وشماليها، ولا تخلو بقعة من هذه الديار من نقـوش تذكارية، تذكر فيهـا أسماء الآلهة، أو تسجل فيها أسماء الموتى على شواهد القبور، أو تدون فيها الشرائع والقوانين.

ذكـرنا قبل قليل مصـادر الخط العـربي وروافده النظـرية والماديـة، ولمعـرفة أصل الخط العـربي نستعرض رأي الباحثين في ذلك من القدامى والمحدثين.

إن الآراء في أصل الخط المعتمدة على النظريات والدلائل النظرية، تستند إلى أسس دينية غيبية، أو أسطورية، تجعل اختراع الخط منسوباً الى شخص أو مجموعة أشخاص، وهناك رأيان في هذا:

الرأي الأول: ما ذكره الاخبـاريون من أن الكتابة توقيـف من عند الله تعالى، وقيل: «إن أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب آدم عليه السلام»[1]، وقيل إن أول من خط بالقلم بعد آدم هو ادريس[2]، وسُمي ادريس في بعض المصادر القـديمة (ابن اخنوخ)[3]، وفي الطبري: «وخنوخ أول من خط بالقلم»[4]، وفي رواية عن ابن عبـاس أن أول من وضع الكتابـة العربيـة هو اسماعيل بن إبراهيم[5]، وقيل: إن إسماعيل وضع الكتاب موصولاً حتى فرق بينه ولداه هميسع وقيذر[6]، ويفصل

(1) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 10، الجهشياري: الوزراء والكتاب ص 2.
(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد 4/ 157.
(3) ابن هشام: السيرة النبوية 1/ 3.
(4) تاريخ الطبري 1/ 176.
(5) ابن عبد ربه: العقد الفريد 4/ 157.
(6) ابن النديم: الفهرست ص 5.

في هـذه الـروايـة ابن عبـد ربـه فيقـول: «إن أول مـن وضع الخط نفيس ونصر وتيما بنـو إسماعيل بن إبراهيم، وضعوه متصل الحروف بعضها ببعض، حتى فرقه نبت وهميسع وقيذر» [1].

والرأي الثاني: هو رأي الاخبـاريين أيضاً، يقول: «إن الخط نشأ في الحجـاز وإن عبد ضخم بن ارم بن سـام بن نوح، ولـده ومن تبعه، نـزلوا الطـائف وإنهم أول من كتب بالعـربية ووضع حـروف المعجم وهي حـروف أ ب ت ث، وهي التسعـة والعشرون حرفـاً» [2]، وفي الطبري أن أول من كتـب بالخط العربي هم ملوك جبابرة، وهم أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت [3]، وضعوا الكتاب على أسمائهم، ولما وجدوا حروفاً في الألفاظ ليست في أسمائهم ألحقوها بها، وسموها الروادف [4]، وقيل إن هؤلاء ملوك في الحجاز، وان (أبجد) كان ملكاً على مكة ومـا جاورها، و(هوز) كان ملكاً على الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد، و(كلمن) و(سعفص) و(قرشت) كانوا ملوكاً بمدين [5].

وواضح أن هذه الروايات أسطورية لا تستنـد إلى حقيقة، وأن حروف (أبجد هوز) هو الترتيب القديم عند الأمم الساميـة، وقد أريد بهذه الألفاظ جمع الحروف في كلمات [6]، وقد كان هذا الترتيب الأبجدي معروفـاً في صدر الاسلام [7]، فيروى أن عمر بن الخطاب لقي أعـرابياً فسألـه: هل تحسن القـراءة، فقال: نعم، قـال: فاقـرأ أم القـرآن، فقال الأعـرابي: والله ما أحسن البنـات فكيف الأم، فضربه عمر بالدرة وأسلمه الى الكتاب ليتعلم، فمكث حيناً ثم هرب، ولما رجع الى أهله أنشدهم [8]:

أتيتُ مهـاجـرين فعلّمـوني ... ثـلاثـةَ أحـرفٍ متتـابعـاتِ
وخَطُّـوا لي أبـا جـادٍ وقـالـوا ... تعلَّمْ سعفصـاً وقـرَيْشَـاتِ
ومـا أنـا والكتـابـةُ والتهجي ... ومـا حـظُّ البنين مع البنـاتِ

(1) العقد الفـريد 4/ 157، وانظر القلقشنـدي: صبح الأعشى 3/ 13 وفيه أن الخط كان منفصلاً وليس متصلاً، وتحرف اسم (نصر) الى (نظر) مع اضافة اسم (دومة). وانظر سهيلة الجبوري: أصل الخط العربي ص 21.
(2) المسعودي: مروج الذهب 2/ 143.
(3) الطبري 1/ 203.
(4) العقد الفريد 4/ 157، والفهرست ص 4، وأدب الكتاب ص 29.
(5) المسعودي: مروج الذهب 2/ 149.
(6) انظر: خليل يحيى نامي: أصل الخط العـربي وتطوره الى ما قبل الاسلام ـ مجلة كليـة الآداب الجامعة المصرية سنة 1935 مجلد 3 جـزء1 ص 5 ـ 6. وحفني نـاصف: تاريـخ الأدب 1/ 35، واسرائيل ولفنسون: تـاريخ اللغات السـامية ص 102، وأحمد رضا: رسالة الخط ص 9.
(7) جواد علي: تاريخ العرب قبل الاسلام 7/ 60.
(8) الصولي: أدب الكتاب ص 31، القلقشندي 3/ 13، حفني ناصف ص 47.

ومن المؤرخين من ينسب أصل الخط الى الحيرة، الى ثـلاثة نفـر من طيء من قبيلة بـولان، وهم مـرامـر بن مرة، وأسلم بن سدرة، وعـامـر بن جـدرة، قيل إنهم وضعـوا الخط وقاسـوه على هجـاء السريانية، فتعلمه منهم قـوم من أهل الأنبار، ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار [1]، ويفصّل ابن النديم في هـذا الرأي بأن مرامـر بن مرة وضع صـور الحروف، وأن أسلم بن سدرة فصّل ووصل، وأن عامر بن جدرة وضع الاعجام [2]، ويرى ابن قتيبـة: أن مرامر بن مروة (وليس مـرة) من أهل الأنبار، هو الذي وضع الكتابة العربية، ومن الأنبار انتشرت في الناس [3].

وفي رواية تعـزز أصل الكتابة الحيري أو الأنبـاري، أن رجلاً قال لابن عبـاس: من أين أخذتم معاشر قـريش هذا الكتاب قبل أن يبعث النبي ﷺ، تجمعون منـه ما اجتمع وتفرقون منـه ما افترق، قال: أخـذناه عن حرب بن أميـة، قال: فممن أخذه حرب؟ قـال: من عبدالله بن جدعـان، قال: فممن أخذه ابن جـدعان؟ قـال: من أهل الأنبار، قـال: فممن أخذه أهل الأنبـار؟ قال: من أهل الحيرة قال: فممن أخـذه أهل الحيرة؟ قال: من طـارىء طرأ عليهم من اليمن وكنـدة، قال: فممن أخذه ذلك الطارىء؟ قـال: من الخفلجان كاتب الوحـي لهود عليه السلام [4]، ويعززون هذا الرأي بأبيات قـالها شاعر من كندة من أهل دومـة الجندل يمن على قريش أن بشر بن مـروان علّم حرب بن أمية وعدداً من أهل مكة الكتابة، قال [5]:

لا تجحـــــدوا نَعماءَ بِشْرٍ عليكمُ ... فقـد كـان ميمـونَ النقيبـةِ أزهـرا [6]
أتـــاكـمْ بخطِ الجَزْمِ حتَّى حفظتمُ ... من المالِ مـا قـد كـان قبلُ مبعثـرا
وأتقنتمُ مـا كـانَ بـالمالِ مهمـلا ... وطـامنتمُ مـا كـان منـهُ منفَّـرَا
فأجـريتمُ الأقـلامَ عَـوْداً وَبـدْأةً ... وضـاهيتمُ كُتَّـابَ كِسرىٰ وقيصَرَا
وأغنيتمُ عـن مسنـدِ القـومِ حميرا ... ومـا زَبَّـرتْ في الكُتْبِ أقيـالُ حميرا

(1) البلاذري: فتوح البلدان قسم ثالث ص 579.
(2) الفهرست ص 4 ـ 5.
(3) ابن قتيبة: عيون الأخبار 1/ 43، وانظر الصولي: أدب الكتاب ص 30.
(4) البلاذري: فتوح البلدان القسم الثالث ص 579، حفني ناصف ص 48.
(5) البلاذري 3/ 579، بلوغ الأرب: الألوسي 3/ 368، وحفني ناصف ص 46 ـ 47 مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(6) ميمون النقيبة: محمود المخبر.

ويريد الشاعر بخط الجزم أي الخط المشتق من قلم المسند الحميري (لأنه جزم أو اقتطع من المسند الحميري) [1]، ويقول ابن خلدون في صفة الخط الجنوبي المسند (لوح 3)[2] أنه كان: «بالغاً مبلغه من الإحكام والاتقان والجودة في دولة التبابعة، لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحميري، وانتقل منها الى الحيرة، ولقنه أهل الطائف وقريش» [3]. ولعل الذي حمل ابن خلدون وبعض المؤرخين القدامى الى ربط الخط العربي الشمالي بخط المسند الحميري، أن بعض الأمم الشمالية اشتقت منه أقلاماً تكتب بها، منها القلم اللحياني، والصفوي والثمودي، وكلها مقتطع من المسند[4].

وإذا كان هذا رأي القدامى في أصل الخط العربي، بأنه مقتطع من المسند، فإن هذا الرأي مرفوض لا تعززه الدراسات الحديثة، ولم يقل بهذا أحد من الباحثين المحدثين الذين عنوا بتاريخ الخط العربي، ويقدم الباحثون على هذا الرفض عدة أدلة، من ذلك: أن حروف الخط الحميري تكتب منفصلة غير متصلة، وهي تختلف في أشكالها عن أشكال الحروف العربية، فليس بينهما حروف تتشابه الا في حرف واحد هو حرف الراء، وان اتجاه الكتابة في المسند لم تلتزم اتجاهاً واحداً كالعربية من اليمين الى اليسار، بل قد يكون في كثير من الأحيان عكس ذلك، أو قد يمزج بين الطريقتين، ولتمييز الكلمات بعضها عن بعض، فقد وضع الكاتب في المسند خطوطاً مستقيمة عمودية تشير الى انتهاء كلمة وابتداء كلمة جديدة [5].

ومن الباحثين من ذهب الى أن الخط العربي مستند الى أصول سريانية، وقد ذهب الى ذلك بعض القدماء، فقالوا: «إن القلم العربي الشمالي قد قيس على هجاء السريانية»[6] ولعلهم لاحظوا تشابه شكل الحروف وترتيبها في السريانية والعربية (لوح 4) [7]، وهذا التشابه يشمل العبرية والآرامية أيضاً[8]، وذهب الى هذا الرأي مجموعة من المستشرقين الذين يرون أن المسيحية قد انتشرت في المنطقة

(1) ابن دريد: جمهرة اللغة 2/ 91، ان كلمة جزم تعني أيضاً تسوية الحرف في الخط، أو وضع الحروف في مواضعها (اللسان: جزم).
(2) نموذج من الكتابة في الخط المسند.
(3) ابن خلدون: المقدمة ص 755 ـ 756.
(4) خليل يحيى نامي: أصل الخط العربي ص 4.
(5) اغناطيوس جويدي: المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة ص 3، جواد علي: تاريخ العرب قبل الاسلام 7/ 38.
(6) البلاذري: فتوح ق 3/ 579.
(7) جدول يمثل الحروف السريانية.
(8) عبد الفتاح عبادة: انتشار الخط العربي ص 24 ـ 25، اسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص 150.

في القرن الثالث الميلادي، وأن الكنيسة المسيحية قد فسحت المجال لأتباعها من الشعوب المختلفة في استعمال لغتهم الأصلية في الطقوس الكنسية وأن هناك تشابهاً بين القلم الكوفي والقلم السطرنجيلي، وهو ضرب من خطوط القلم السرياني المتميز بالتضليع والميل نحو اليبوسة، وأن الحروف في كلا القلمين ثلاثة أشكال في الكتابة، فالحروف الأولية تختلف عن الوسطية أو شكل الحرف الذي تنتهي به الكلمة، وكذلك في حذف حرف الألف في العديد من الكلمات إذا جاء بعدها مد، كما أن الحروف التي لا ترتبط بما يليها من حروف فهي نفسها في كلا القلمين، مثل الراء والواو والألف والدال، وأهم من ذلك هو التشابه الواضح بين بعض أشكال الحروف في كلا القلمين، كالباء والجيم والدال والكاف والنون والعين والفاء والصاد [1].

إن القلم السرياني معروف لدى العرب منذ فجر الاسلام، وكان منتشراً بين الناس، وذهب بعض المؤرخين الى أن آدم كان يكتب بالسريانية [2]، وأن أول الملوك بعد الطوفان كان من ملوك السريانيين[3]، وقيل أن ديودورس الصقلي في القرن الأول قبل الميلاد قال: «إن استنباط الكتابة يعود فضله إلى السريان»، وان اقليمس الاسكندري في القرن الثاني الميلادي يقول: «ذهب كثيرون من القدماء الى أن السريان هم الذين استنبطوا الكتابة» [4]. ومن الدارسين المحدثين الذين أخذوا بهذا الرأي، وهو أن أصل الكتابة العربية من السريان، الباحث أحمد رضا [5]. ولا شك أن هناك علاقة وتشابهاً واضحاً بين القلم العربي والقلم السرياني، ومن حيث أشكال بعض الحروف وترتيبها وربطها بعضها ببعض، والسبب في هذا هو انحدار كلا القلمين من أصل واحد، هو الخط الآرامي الذي تحدر منه الخط السرياني والنبطي، ومن النبطي تحدر الخط العربي، فكلا القلمين العربي والسرياني يلتقيان في القلم الآرامي، على أن هذا الشبه الكبير لا ينفي الاختلافات بين القلمين، فإن معظم الحروف العربية تختلف في أشكالها عن الحروف السريانية أو السطرنجيلية. ويقال إن الخط الآرامي تولدت منه ستة خطوط هي:

1 ـ الخط الهندي بأنواعه.
2 ـ الخط الفارسي القديم (الفهلوي).
3 ـ الخط العبري المربع.
4 ـ الخط التدمري.
5 ـ الخط السرياني.
6 ـ الخط النبطي (ومنه العربي) [6].

(1) عبد الفتاح عبادة ص 24 ـ 25.
(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد 4/ 156.
(3) المسعودي: مروج الذهب 1/ 207.
(4) الفيكونت فيليب دي طرازي: عصر السريان الذهبي ص 78.
(5) رسالة الخط ص 10.
(6) حفني ناصف ص 43.

الأصل النبطي

مرّ بنا الآراء التي قيلت في نشأة الخط العربي، ورأينا الرأي الأول الذي يذهب الى أنه ليس من صنع البشر، وأنه أنزل على آدم، والروايات التي هي أقرب الى الأسطورة والخيال ولا تقوم على أسس علمية. والرأي الثاني الذي يرى أن الخط العربي انتقل من الأنبار الى الحيرة ومنها الى الحجاز بطريق دومة الجندل[1]، أو أن الخط العربي وضع متأثراً بهجاء السريانية[2]، أو أنه اقتطع من الخط المسند الحميري ولذلك سمي الجزم[3]. وبمقارنة الخط العربي بالخط السرياني أو بالخط المسند توصل الباحثون الى عدم الصلة بين هذه الخطوط والخط العربي، على ما فيها من تشابه أو خلاف[4]، والدراسات العلمية الحديثة القائمة على مقارنة الأبجديات السامية الجنوبية بغيرها من الأبجديات الآرامية بالاستناد الى الكتابات التي اكتشفت حتى الآن، لا تؤيد الآراء التي ذهبت اليها المصادر العربية النظرية، وقد رجحت الدراسات المقارنة أن الخط العربي قد اشتق من الخط النبطي (لوح 5)[5]، بل هو آخر شكل من ذلك الخط.

فمن هم الأنباط؟ ومن أين جاء خطهم؟ وكيف أخذه العرب عنهم وطوروه فصار عربياً؟ النبط قبائل عربية[6] نزحوا من شبه الجزيرة العربية الى أطرافها الشمالية وجاوروا الأمم الأخرى فاختلطوا بها فاختلطت لغتهم برطانة تلك الأقوام، فأخذت تبعد شيئاً فشيئاً عن أصلها العربي حتى أن العرب لم يفهموا منها الا القليل[7].

وقد أطلقت كلمة الأنباط أيضاً على قوم ينزلون سواد العراق[8]، وقيل إنهم قوم من نسل نبيط ابن ماش بن إرم بن سام بن نوح[9]، وهم الذين بنوا بابل واستوطنوها بعد انحسار الطوفان[10]، ومن

---

(1) البلاذري: فتوح 3/ 579، ابن النديم: الفهرست ص 6 ـ 7، القلقشندي 3/ 8، ياقوت: معجم البلدان (دومة الجندل).

(2) فتوح البلدان 3/ 579.

(3) ابن خلدون: المقدمة ص 468.

(4) يحيى نامي: أصل الخط العربي ص 4.

(5) نقش نبطي قديم.

(6) جواد علي: تاريخ العرب قبل الاسلام (القسم اللغوي)، المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص 13.

(7) طه الراوي: النبط أصلهم ودولتهم، مجلة المعلم الجديد السنة التاسعة 1945 ج2 ص 15، جواد علي: المفصل في تاريخ العرب 3/ 9.

(8) اللسان: نبط.

(9) الطبري 1/ 219.

(10) المسعودي: مروج الذهب 2/ 118.

قالوا بهذا الرأي جعلوا موطنهم الأصلي سواد العراق، ومن المؤرخين من يرى أن موطنهم الأصلي بلاد الشام والجزيرة[1]، وهم المقصودون هنا. وقد ورد ذكر الأنباط في شعر حسان بن ثابت في رده على ضرار بن الخطاب حين كان مشركاً في قريش[2]:

أتفخرُ بالكتانِ لما لبِسْتَهُ	وقد تلبسُ الأنباطُ رَيْطاً مقَصَّرا

النبط في الأصل بدو رحل، انتقلوا طلباً للعشب والكلأ، ثم استقروا في مناطق متعددة من الهلال الخصيب، وامتهنوا الزراعة والتجارة فكان منهم مرشدون للقوافل التجارية وسماسرة لها[3]. وقد استولى الأنباط في العصر الهليني على البلاد الآرامية في فلسطين وجنوب الشام وشرقي الأردن، وامتدت دولتهم من شبه جزيرة طور سيناء غرباً إلى بادية الشام وأطراف الفرات شرقاً، وشمالي بلاد الحجاز جنوباً[4]، وكانت لهم حاضرتان: سلع أو البتراء[5] في الشمال والحِجْر أو مدائن صالح في الجنوب، وكانت هذه المنطقة يومئذ عامرة بالأشجار والمياه[6].

وكان موقع دولة الأنباط في ملتقى الطرق التجارية قد مكنها من السيطرة على هذه الطرق، فازدهرت دولتهم، فمنذ القرن الرابع قبل الميلاد كانوا يسيطرون على طرق التجارة بين جنوبي الجزيرة حتى البحر الأبيض، وبين الشام ومصر، وكانت التجارة والمواد الثمينة تنقل من الهند وأفريقية الشمالية الى اليمن، ومن اليمن الى البحر الأبيض، وكلها تمر بمملكة الأنباط، وأهم طريق كان هو طريق: صنعاء ـ يثرب ـ العلا ـ الحجر (أي مدائن صالح) ـ سلع، ومن سلع كانت البضائع توزع الى مصر أو اليونان أو ايطالية أو الشام، وكانت البضائع خاضعة لرسوم مالية تدفع للحكومة النبطية[7].

لقد حكم الأنباط هذه المنطقة الشاسعة طيلة ثلاثة قرون، بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الثاني بعد الميلاد، وكان أشهر ملوكهم الحارث الثالث (87ق م ـ 62ق م) الذي استولى على دمشق سنة 85ق م، وكانت يومئذ عاصمة السلوقيين، فسيطر بذلك على الطريق بين سلع ودمشق عبر

---

(1) المسعودي: أخبار الزمان ص 64.

(2) ابن هشام: السيرة النبوية 2/ 94.

(3) Grohmann, Adolf: Arabische Paläographie, Teil 11, P 10.

(4) جواد علي 3/ 13، ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص 134، يحيى نامي: أصل الخط ص 105.

(5) البتراء: هي سلع، ومعناها بالعبرية الصخرة، وقد أطلق عليها اليونان (ARKE) فحرفه العرب وقالوا الرقيم، وتعرف اليوم بوادي موسى. انظر: أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ ص456، ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص134.

(6) نسيب وهيبة الخازن: من الساميين الى العرب 1/ 140، يحيى نامي ص 7 ـ 13، جواد علي 7/ Dussud, Pénetration30.

(7) Cantineau, Nab 2,3، المنجد ص 13.

مأدبة وعمان وبصرى، وأصبحت بصرى مركزاً تجارياً مهماً الى جانب سَلَع والحِجْر [1]، وقد ظلت الطريق التجارية بين مكة ويثرب والشام تسلكها القوافل حتى بعد ظهور الإسلام، وكذلك كانت قوافل الحجاج تسير بين الشام ومكة عبر بلاد الأنباط، ولذلك فقد اقتبس عرب الشمال من الأنباط أساليب الحياة وطرق الكتابة، ولم ير العرب في ذلك بأساً، لأن الأنباط عرب أيضاً [2].

إن أقرب الشعوب المتحضرة الى الأنباط هم الآراميون، فقد تأثر الأنباط بهم، ويذهب بعض الباحثين الى أن الأنباط فرع من فروع بني إرم [3]، وقد تأثروا بحضارتهم وأخذوا عنهم الكتابة [4]. لقد تأثر الأنباط بالحضارة الآرامية وتمثلوها وطوروها، وابتدعوا لهم حضارة جديدة، وفي آثارهم الباقية ومبانيهم الضخمة في سلع ومدائن صالح ما يدل على رقي تلك الحضارة التي تعد أروع ما أنتجه الفن المعماري في الجزيرة العربية، وقد ذكر القرآن الكريم بيوتهم الفارهة في قوله تعالى: ﴿**وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين**﴾[5]. وقد قدمنا أن دولة الأنباط دامت ثلاثة قرون، من القرن الثاني ق م في العصر الهليني، الى سنة 106 بعد الميلاد حيث هزمهم الرومان واستولوا على قسم من مملكتهم.

إن دولة الأنباط قامت على أساس السيطرة على طرق القوافل التجارية، وإن حضارتهم قامت على التجارة ثم الزراعة، ولذلك فقد كانت الحاجة الى الكتابة، فكتبوا بالحروف الآرامية، ثم طوروا الخط الآرامي وولدوا منه الخط النبطي، وما زال الخط النبطي يتطور حتى ابتعد عن الخط الآرامي وصار يشبه الى حد كبير الكتابة العربية الجاهلية، كما تصورها النقوش التي وجدت في أم الجمال (لوح6)[6] بحوران وتاريخه سنة 106م، ونقش النمارة عند القصر الأبيض بالشام (لوح 7)[7] وتاريخه سنة 328م، واستمر الخط النبطي حتى القرن الخامس اذ بدأ ينحسر وتزدهر مكانه الكتابة العربية الجاهلية كما تصورها نقوش زبد (سنة 512م) وحران بحوران (سنة 536م)، وصورة الكتابة العربية الجاهلية تشبه الى حد كبير صورة الكتابة النبطية في آخر مراحلها [8]، وكان عرب الأنباط أكثر حضارة من عرب الحجاز، ولذلك فقد اقتبسوا منهم وتأثروا بهم، بسبب الاتصال المباشر أثناء رحلات الحجازيين المستمرة الى الشام، وطريق الشام تمر ببلاد الأنباط، ويشترك عرب الحجاز وعرب الأنباط باللغة والدين، فقد كان لدى الأنباط آلهة اسمها (اللات) كما هي عند عرب الحجاز [9].

---

(1) ولفنسون ص 134، الخازن: من الساميين الى العرب ص 1/ 140، وانظر:
Cantinieu, Nab 2,3. Diringer, David, Writing P. 1 Ha.
(2) المنجد ص 13.
(3) ولفنسون ص 135.
(4) خليل يحيى نامي: السابق ص 7.
(5) الشعراء 149.
(6) نقش أم الجمال الأول 250 م.
(7) نقش النمارة 328 م.
(8) يحيى نامي ص 25 وما بعدها، المنجد ص 19.
(9) المنجد ص 19.

صفات الكتابة النبطية

بدأ الخط النبطي يتطور من الخط الآرامي في أواخر القرن الثاني ق م، وأخذ طابعه المميز في النصف الأخير من القرن الأول الميلادي، وأصبح خطاً مستقلاً له صفاته الخاصة به في القرن الأول الميلادي [1]. ومن خلال النقوش النبطية التي عثر عليها ـ وهي كثيرة جداً، إذ يقرب عددها من ثلاثة آلاف نقش محفوظة في المتاحف العالمية [2]ـ استخلص الباحثون صفات الخط النبطي ومزاياه، وتتلخص في [3]:

1 ـ الكتابة تبدأ من اليمين الى اليسار [4].
2 ـ عدد حروفه اثنان وعشرون حرفاً.
3 ـ فيه الفصل والوصل.
4 ـ سقوط حرف الألف من بعض الأسماء مثل (حرثت) أي حارث.
5 ـ تاء التأنيث لا تكتب بالهاء بل بالتاء المبسوطة، مثل (أمت) أي أمة، و(حبت) أي حبة.
6 ـ خلوّ الخط من الاعجام، وان بعض أشكال حروفه يمثل أكثر من حرف، وتلك الحروف هي:

ب ـ تؤدي معنى الباء والنون.
د ـ تؤدي معنى الدال والذال والراء.
ح ـ تؤدي معنى الحاء والخاء.
ط ـ تؤدي معنى الطاء والظاء.
ع ـ تؤدي معنى العين والغين.
ص ـ تؤدي معنى الصاد والضاد.
س ـ تؤدي معنى السين والشين.
ت ـ تؤدي معنى التاء والثاء.

وقد انتقل حرفا اللام ألف (لا) الى القلم العربي. لقد اعتمد القلم النبطي على القلم الآرامي باستثناء حرفي اللام والسين، كما اقتبس عنه الترتيب الأبجدي للحروف والعدد ونظام الفصل والوصل الذي ظهر في هذا الخط دون غيره من الخطوط القديمة الأخرى.

---

(1) Diringer, David: Writing P 140.
(2) الخازن السابق 1/ 89.
(3) انظر: يحيى نامي ص 85 ـ 87، الخازن ص 1/ 89، نبيهة عبود: ظهور الخط العربي ص 4 ـ 5 سهيلة الجبوري ص 39ـ40.
(4) ان معظم الخطوط المنحدرة عن القلم السامي القديم والقلم الآرامي تبدأ من اليمين الى اليسار. انظر ديرنجر:
Diringer: The Alphabet Vol. 1, P, 220.



لوح 3
نموذج من الكتابة بالخط المسند

Phon. Value	Palmyrene	Syriac: Early Syriac	Syriac: Estrang.	Syriac: West-Syrian or Serta	Syriac: East-Syrian or Nest.	Syriac: Jacob.	Syriac: Christ. Palestin. or Palestin. Syriac	Mand.	Manichaean
ʼ									('ā)
b									
g									
d									
h									
w									(v, ū, ō)
z									(ẓ)
ḥ									
ṭ									
y									(j, ī, ē)
k									(kh)
l									(l)
m									
n									
s									
ʻ									
p									(ph)
ṣ									(č) (ğ)
q									
r									
sh									
t									

لوح 4
جدول يمثل الحروف السريانية

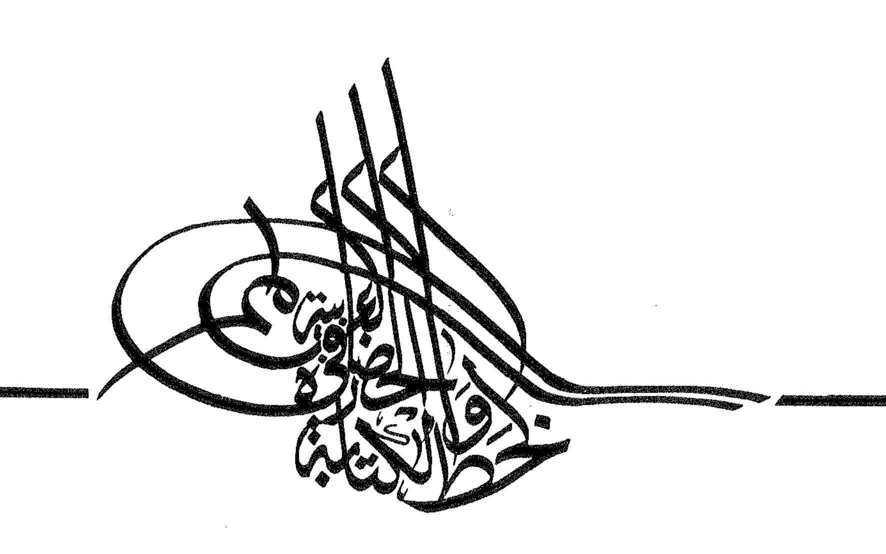


لوح 5

نقش نبطي قديم

الفصل الثاني

الخط العربي في صدر الإسلام



نقوش عربية قبل الاسلام

توصل علماء الساميات بعد مقارنة خطوط النقوش ودراستها، الى أن أصل الخط العربي من الخط النبطي، وكان لاكتشاف أربعة نقوش عربية قبل الاسلام توثيق لهذه الدراسات، ان الدراسات الأثرية كانت قائمة على مقارنات علمية دقيقة للنقوش النبطية والعربية، التي يعود زمنها الى ما قبل الاسلام، بالاضافة الى النقوش التي تعود الى العصر الإسلامي الأول [1].

إن النقوش التي اكتشفت ويعود زمنها الى ما قبل الاسلام، تبين الصلة بين الخط النبطي والخط العربي، والنقوش هي:

1 ـ نقش زبد: (لوح 8)[2]:

عثر عليه في موقع زبد الذي يقع بين قنسرين ونهر الفرات جنوب شرقي حلب [3]، وجد على قطعة كبيرة من الحجر كانت تعلو واجهة كنيسة (مار سركيس) [4].

كتب هذا النقش بثلاث لغات هي: اليونانية والسريانية والعربية، ويكوّن الخط العربي فيه سطراً واحداً، وجاء فيه ذكر لأسماء أشخاص ربما كانوا هم الذين أنجزوا أو أمروا ببناء الكنيسة [5]، وتاريخ النقش يعود الى سنة 512م، مثبت ضمن النص اليوناني [6]، والسطر العربي هو:

---

(1) كان الفضل في الحصول على كثير من النقوش العربية الشمالية يعود الى مجموعة من علماء الآثار أمثال: دوتي Doughty، وهوبر Huber، وأويتنك Euting، ودوماسفسكي Domazeviski، وموزيل Musil، ودلمان Delman، وغيرهم، انظر: نيلسن دتيلف وآخرون: التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين وزكي محمد حسن ص 38.

(2) نقش زبد سنة 512 م.

(3) نيلسن: التاريخ العربي القديم ص 49، والنقش محفوظ اليوم في متحف تاريخ الفن بمدينة بروكسل في بلجيكا. Grohmann, Adolf: Arabische Palaographie, Teil 11. Tafel 11.

(4) الخازن: من الساميين الى العرب 1/ 170 ـ 171.

(5) يوسف أحمد: الخط الكوفي ص 31 ـ 32.

(6) Littman E. Arabic Inscriptions. Division IV, Semitic Inscriptions. Section. D, Leyden -Brill 1949.P.3.

([بنصـ]ـر الاله شرحو بر امع منفو وهليا برمر القيس

وسرحو بر سعدو وسترو وشريحو (وسريحو)[1].

2 ـ نقش أسيس : (لوح 9)[2]:

هذا النقش نسبة الى جبل يقع على بعد 105 كيلومتر جنوبي شرقي دمشق[3]، عثرت عليه بعثة ألمانية للتحري عن الآثار في سورية في حزيران سنة 1965م باشراف كلاوس برش يتضمن النقش نصاً عربياً من أربعة أسطر، هي :

(إبراهيم بن مغيرة الأوسي

أرسلني الحرث الملك على

سليمن مسلحه سنت

423)

والحارث الذي ذكر في السطر الثاني هو الحارث بن جبلة الذي انتصر على المنذر الثالث اللخمي عام 528م، والذي أوفد كاتب هذا النص ابراهيم بن مغيرة الأوسي ضد سليمان، أرسله حرساً للحدود تقييماً لانتصاره على الحيرة، إذ أصبح الحارث سنة 529 م رئيساً على جميع القبائل العربية الموجودة في سورية من قبل القيصر جوستنيان[4].

---

(1) قرأه دوسو (Dussaud.).

(بنصر الاله سرجو برأمت متفو وهليا برمر القيس وسرجوبر سعد ووسترو وسرجو.

Wiet, G: Repertoire. Chronologique D' Epigraphie Arabe, Tome Premier P.3:

وقرأه لدزبارسكي (Lidzbaraski) :

(بسم الله شرحو بر مع قيمو و. . . بر مر القس

وشرحو بر سعدو وسترو وشريحو)

Lidzbarski, M: Hand buch der Nord semitischen Epigraphik, 1898. 1 Text P. 484.

وانظر الجبوري ص 52 .

(2) نقش أسيس 528 م.

(3) نور الدين حاطوم : قصر جبل أسيس الأموي، مجلة الحوليات الأثرية السورية 1963 مجلد 13 ص 243، زكي محمد حسن : فنون الإسلام ص 44 .

Grohmann, A.: Arabische Palaographie Teil 11. P. 15.

(4) كروهمان Grohmann.

وانظر: جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام 1/ 17 .

3 ـ نقش حران : (لوح 10)[1]:

عثر على هذا النقش في خرائب كنيسة تقع في منطقة حران[2] جنوبي دمشق، وهو منقوش على حجر كان يعلو باب الكنيسة[3]، وهو باللغتين اليونانية والعربية، ويعود تاريخه الى سنة 568م[4]، ونصه :

(أنا شرحيل بر ظلمو بنيت ذا المرطول

سنت 463 بعد مفسد

بعم)

4 ـ نقش أم الجمال الثاني : (لوح 11)[5]:

عثر على هذا النقش في موقع كنيسة تدعى الكنيسة المزدوجة (Double church) من قبل بعثة جامعة برنستن الآثارية الى سورية بين سنتي 1904 ـ 1905م، ويرى ليتمان أن بعض العرب من المسيحيين هم الذين أنجزوا تلك الكتابة[6]، وهو منقوش على حجر البازلت قياس 31×62سم، إلا أنه يخلو من التاريخ، وهو النقش الوحيد بين هذه النقوش الذي جاء غفلاً من التاريخ، والذين درسوا هذا النقش من الآثاريين ينسبونه الى القرن السادس الميلادي، ولعل هذا التقدير الزمني مستنبط من خلال الطراز المعماري الذي بنيت به الكنيسة التي فيها هذا النقش، ولخصائص الحروف العربية في هذه الفترة، وهي حروف أقرب الى النبطية من بقية النصوص المكتشفة[7]. يتكون النقش من خمسة أسطر هي :

---

(1) نقش حران سنة 568 م.

(2) حران : قصبة ديار مضر بينها وبين الرها يوم، قيل : سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بناها، فعربت فقيل : حران وكانت منازل الصابئة وهم الحرانيون. (ياقوت : حران).

(3) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص 192 .

(4) Littmann,: Arabic Inscriptions p. 3.

Grohmann: Arabische Paläographie Teil 11. P. 14.

Wiet,: Repertoire. Tome Premier P. 4.

يوسف أحمد : الخط الكوفي، الرسالة الثانية ص 53، الجبوري ص 53 .

(5) لوح 11 نقش أم الجمال الثاني مطلع القرن السادس الميلادي.

(6) Littmann,: Arabic Inscriptions p. 1.

(7) انظر: كروهمان : السابق ص14، ونبيهة عبود: ظهور الكتابة العربية الشمالية ص 5، جواد علي 1/ 191 .

(الله غفر لا ليه
بن عبيده كاتب
القليد اعلى بني
عمري كتبه عنه من
[يقرؤه])

ومن دراسة هذه النقوش الأربعة يتبين :

1 ـ إنها من فترة واحدة هي القرن السادس الميلادي، من مطلعه حتى الربع الثالث منه .

2 ـ إنها تتشابه في خصائصها العامة، وإن كان بعضها يضم حروفاً هي أقرب في أشكالها الى خصائص الكتابة النبطية من بعضها الآخر.

3 ـ إن النقوش الأربعة تضم جميع الحروف العربية، باستثناء حرفي الزاي والصاد، وقد تكرر فيها كثير من الحروف .

4 ـ إن بعض هذه الحروف تبتدىء بها الكلمة، وأخرى ترتبط بالحرفين المتجاورين وبعضها تنتهي بها الكلمة، أي الحروف المنتهية المتصلة والمنفصلة .

5 ـ إن كثرة الحروف قد أفادت في معرفة مدى التطور الذي وصل اليه كل حرف في القرن السادس وذلك بمقارنتها بالحروف المشابهة التي كانت تستعمل في القلم النبطي .

6 ـ وجد أن هناك حروفاً نبطية استمر استعمالها في الكتابة العربية قبل الاسلام، مثل حرف : الباء والجيم والحاء واللام والنون والطاء واللام ألف .

7 ـ وإن هناك بعض الحروف أخذت في التطور عما كانت عليه من قبل، مثل حرف : الألف والواو والكاف والميم والعين والفاء، وأخذت بعض الحروف أشكالاً جديدة تماماً عما كانت عليه في النبطية كالدال والهاء والسين والشين والراء والتاء .

8 ـ ولم يظهر حرفا الزاي والصاد في النقوش لهذه الفترة، ولعل السبب في قلة النقوش وقصر عبارتها .

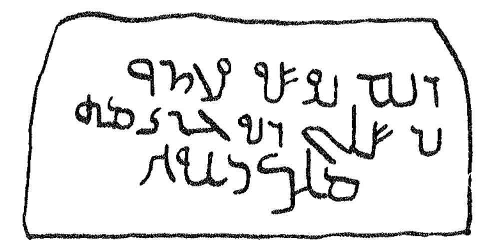
9 ـ خلو خط هذه النقوش من الاعجام، وهذا من مميزات الخط النبطي، مما جعل لبعض الحروف أكثر من دلالة، فحرف الـ :

ب : يؤدي معنى الباء والتاء والثاء والنون .
ج : يؤدي معنى الجيم والحاء والخاء .
س : يؤدي معنى السين والشين .
ط : يؤدي معنى الطاء والظاء .
ع : يؤدي معنى العين والغين .
ف : يؤدي معنى الفاء والقاف .
ر: يؤدي معنى الراء والذال .

10 ـ حذف حرف الألف من بعض الأسماء والأعلام، كما في الكلمات : ابرهيم، الحرث (في نقش أسيس) و: بعم (في نقش حران) .

11 ـ احتفظت الكتابة العربية بعدد الحروف النبطية وترتيبها الأبجدي، وإن كان بعض الحروف النبطية لم تعد تستعمل في الخط العربي [1].

(1) انظر سهيلة الجبوري ص 55 ـ 60 ومراجعها .



لوح 6

نقش أم الجمال الأول 250م

لوح 7

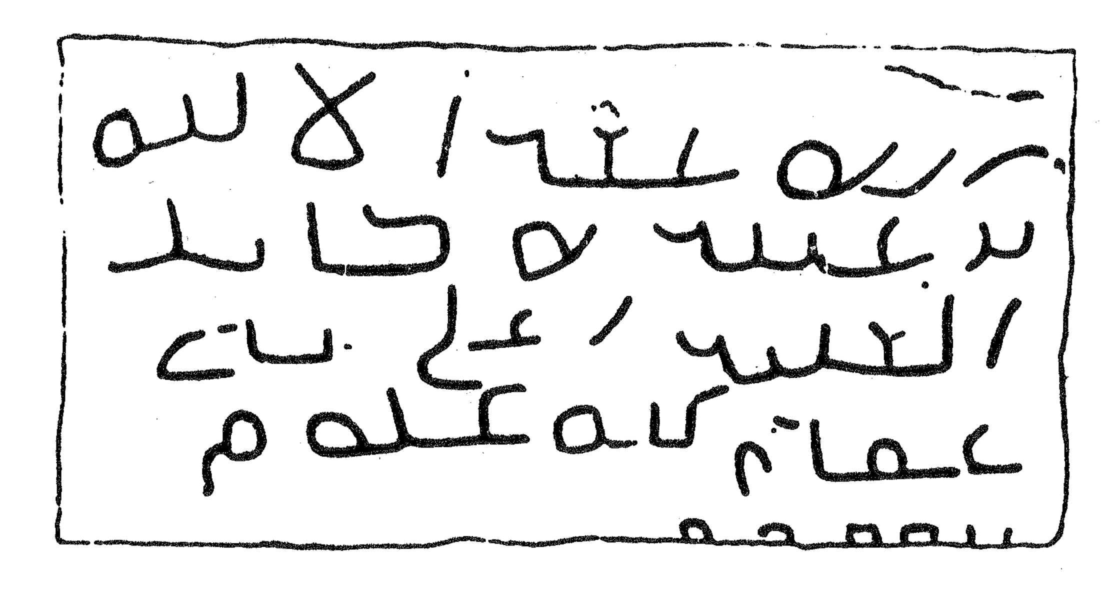
نقش النمارة 328م

لوح 8

نقش زبد 512م

لوح 9
نقش أسيس 528م

لوح 10
نقش حران 568م



لوح 11
نقش أم الجمال الثاني (مطلع القرن السادس الميلادي)

لوح 9

نقش أسيس 528م

لوح 10

نقش حران 568م

لوح 11

نقش أم الجمال الثاني (مطلع القرن السادس الميلادي)

الكتابة في صدر الاسلام

كانت الكتابة قبل الاسلام منتشرة في مكة باعتبارها مركزاً تجارياً وحضارياً، وحقاً إن عدد الكاتبين الذين تذكرهم المصادر في مكة قليل، وهم أقل في المدن الأخرى، إلا أن قبيلة قريش كان لها النصيب الأوفر من هؤلاء الكتاب، لأنهم أهل تجارة، والكتابة ضرورية للتاجر، فقد نقل أن من كان يجيد الكتابة عند ظهور الاسلام سبعة عشر رجلاً من قريش، منهم عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، ويزيد بن أبي سفيان [1]، وذكروا عدداً من النساء اللواتي يكتبن منهن: الشفاء بنت عبدالله العدوية، وهي التي علمت حفصة بنت عمر الكتابة، ومنهن عائشة بنت سعد التي تعلمت الكتابة من أبيها، وقد عدد البلاذري سبع نساء كن يكتبن أو يعرفن القراءة [2].

ولا شك أن الكتابة كانت تتمثل في كتابة العهود والمواثيق والأحلاف، وكتابة الصكوك والحقوق والحسابات التجارية، وكتابة الرسائل، وما كان معروفاً بمكاتبات الرقيق، أي سند ملكية الرقيق [3].

أما في يثرب فكان عدد من الكاتبين معروفين في قبيلتي الأوس والخزرج، ذُكر منهم:

سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وزيد بن ثابت، ونافع بن مالك، وأسيد بن حضير، ومعن ابن عدي، وبشير بن سعد، وسعد بن الربيع، وأوس بن خولي، وعبدالله بن أبيّ [4].

وبدهي أن ما ذكر ممن كانوا يكتبون في مكة والمدينة هم من الأعلام المشهورين، وان هناك غيرهم الكثير ممن كانوا يكتبون.

وقد ذكر من كتابات ما قبل ظهور الاسلام كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم، جد الرسول ﷺ، على جلد من أدم، وجد في خزانة المأمون (198 ــ 218هــ) وخطه يشبه خط النساء [5]، والكتاب يمثل صكاً نصه:

«ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل وزل صنعاء، عليه ألف درهم فضة كيلا بالحديدة، ومتى دعاه أجابه، شهد الله والملكان» [6]. ويرجح أن

(1) البلاذري: فتوح ق 3 ص 851.
(2) البلاذري السابق 3/ 580.
(3) الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ص 73.
(4) البلاذري 3/ 583.
(5) ابن سعد: الطبقات 1: 52، ابن النديم: الفهرست ص 5، وقد قرأ حفني ناصف: تاريخ الأدب ص 63: (النساخ) بدلاً من (النساء).
(6) ابن النديم: الفهرست ص 5.

كتابة هذا الصك بالعربية الشمالية وليس بالخط الحميري، بدليل معرفة قراءته في زمن المأمون، ومما يرجح أن عبد المطلب كان يحسن الكتابة بالخط العربي الشمالي، أنه نادم حرب بن أمية الذي كان يحسن الكتابة بالعربية الشمالية، وقيل عنه إنه أول من كتب بالعربية من ا لعرب [1]، وكان أولاد عبد المطلب يحسنون الكتابة أيضاً، ففي رواية أن عبد المطلب «قد نذر حين لقى من قريش ما لقي عند حفر زمزم، لئن ولد له عشرة نفر لينحرن أحدهم لله عند الكعبة، فلما توافى بنوه عشرة، دعاهم الى الوفاء لله بذلك، وقال: ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه، ثم ائتوني. . .» [2].

إن الكتابات التي تذكرها المصادر، والتي ترجع الى زمن ما قبل الاسلام في الجاهلية المتأخرة في الحجاز، لم يصل منها نقش أو نص مكتوب [3]، ولعل سبب ذلك يرجع الى ندرة الحفائر الأثرية في شبه الجزيرة العربية، والذي يعود الى التزمت الديني، ومن المحتمل العثور على بعض النقوش اذا ما أجريت حفريات في الحجاز في مكة وجبالها وضواحيها.

فلما ظهر الاسلام بدأت الكتابة تزدهر وتنتشر، وقد حث الاسلام على تعلم الكتابة، وقد ذكرت الكتابة وحروفها وأدواتها في القرآن الكريم، والحث على القراءة، قال تعالى: **﴿اقرأ باسم ربِّكَ الذي خلقَ* خلقَ الإنسانَ من علق* اقرأ وربُّكَ الأكرمُ *الذي علَّمَ بالقلم* علَّمَ الانسانَ ما لم يعلم﴾** [4]، وقال تعالى: **﴿ن والقلمِ وما يسْطُرونَ﴾** [5]، وفي القرآن الكريم أمر على كتابة الديون، قال تعالى: **﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا إذا تداينْتُمْ بدينٍ الى أجَلٍ مسمّى فاكتبوهُ وليكتُبْ بينكُمْ كاتبٌ بالعدلِ﴾** [6].

وفي أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام حث على القراءة والكتابة، من ذلك ما روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ أن: «أول ما خلق الله من شيء القلم» [7]، وقوله في الحث على الكتابة: «قيدوا العلم بالكتاب» [8]، وقوله في الوصية المكتوبة: «ما حق امرىء له ما يوصي فيه يبيت ثلاثاً إلا ووصيته عنده مكتوبة» [9]. ومن تشجيع النبي على تعلم الكتابة ونشرها بين المسلمين أنه أمر أن يكون

(1) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص 1، ابن النديم ص 5.
(2) ابن هشام: السيرة النبوية 1/ 160، ابن سعد: الطبقات 1: 53.
(3) ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص 194.
(4) سورة العلق 1 ـ 5.
(5) سورة القلم 1.
(6) سورة البقرة 282.
(7) الطبري: تاريخ 1/ 37، المسعودي: أخبار الزمان ص 3 ـ 4، ابن الأثير: الكامل 1/ 12.
(8) القلقشندي: صبح الأعشى 1/ 36.
(9) ابن سعد: الطبقات 4/ 108.

فداء أسرى بدر أن يعلِّم كل أسير عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة [1]، وكان يشجع النساء كذلك على تعلم القراءة والكتابة [2]، وكان يأمر عبادة بن الصامت أن يعلم الناس الكتابة [3]، وكذلك عبدالله بن سعيد بن العاص [4].

وقد اتخذ الرسول ﷺ لنفسه بضعة كتاب يكتبون الوحي ورسائله وعهوده، منهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وأبو بكر الصديق، وخالد بن سعيد، وحنظلة بن الربيع، ويزيد بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي سفيان، وأُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وكان زيد من ألزم الناس لذلك، ثم تلاه معاوية بعد الفتح، فكانا ملازمين الكتابة بين يدي الرسول في الوحي وغير ذلك، لا عمل لهما غير ذلك [5].

وأول من كتب للرسول ﷺ في المدينة بعد هجرته أُبَيّ بن كعب، وكان يكتب رسائل الرسول أيضاً، وهو أول من كتب في آخر الكتاب: (وكتب فلان)، وكان أُبَيّ إذا لم يحضر دعا رسول الله ﷺ زيدَ بن ثابت فيكتب، فهذان كانا يكتبان الوحي بين يديه، ويكتبان كتبه الى الناس، وروى الواقدي أن عبدالله بن الأرقم الزهري كان يكتب رسائل الرسول، وأن علي بن أبي طالب كان يكتب عهود النبي إذا عهد، وصلحه إذا صالح [6].

إن الكتابات التي وصلتنا من زمن النبي ﷺ تتمثل في شيئين:

1 ـ الرسائل التي أرسلها النبي الى الملوك المحيطين بالجزيرة كهرقل وكسرى والمقوقس والنجاشي والى ملوك العرب في الجزيرة وخارجها كالغساسنة بالشام وملوك البحرين وعُمان واليمن، وهي رسائل كتبت على الرقّ.

2 ـ وكتابات أخرى كتبت على الحجر في جبل سَلَع بجوار المدينة.

فلننظر في هذه الكتابات ثم نبيّن بعدها نوع الخط الذي كتبت به وصفاته.

---

(1) ابن سعد 2/ 14، مسند أحمد: الحديث 2216، أبو عبيد: كتاب الأموال ص 116.
(2) البلاذري: فتوح 3/ 580.
(3) ابن عبد البر: الاستيعاب رقم 1627.
(4) ابن الأثير: أسد الغابة 3/ 715.
(5) المسعودي: التنبية والاشراف ص 245 ـ 246، السهيلي: الروض الأنف 2/ 92، ابن سعد: الطبقات 2/ 1/ ص 4، الكتاني: التراتيب الادارية ص 120 ـ 124.
(6) ابن عبد البر: الاستيعاب 1/ 69، تخريج الدلالات السمعية ص 109، المنجد ص 23.

أولاً ـ الرقوق:

لقد وصلت أربع وثائق من زمن الرسول ﷺ مكتوبة على الرَّق، هي رسائله الى المنذر بن ساوى، والنجاشي، وكسرىٰ، والمقوقس.

1 ـ الرسالة الأولى:

رسالة النبي ﷺ الى المنذر بن ساوى أمير البحرين (لوح 12)[1] ونص الرسالة هو[2]:

(1 ـ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى
2 ـ المنذر بن ساوى سلام عليك فاني أحمد الله
3 ـ إليك الذي لا إله غيره وأشهد أن لا إله الا
4 ـ الله وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد فإني أذكر
5 ـ ك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطع
6 ـ رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي
7 ـ وان رسلي قد أثنوا عليك بخير الله وقد شفعتك في
8 ـ قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل
9 ـ الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فان نعزلك عن عملك ومن
10 ـ ما مر على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية).

ويلاحظ في هذه الرسالة وجود الأخطاء الإملائية والنحوية، مما دعا بعض الباحثين المحدثين الى الشك في صحتها[3] وان بعض الحروف ناقصة، وأن أشكال بعض الحروف تختلف عن كتابات الجاهلية وصدر الإسلام، وأن بعض الحروف جاءت متطورة تشبه كتابات العصر الأموي، وقد تعرض الرق الذي دونت عليه هذه الرسالة إلى التلف والتمزق، وربما تلفت الكثير من الكلمات، مما حدا

---

(1) رسالة النبي الى المنذر بن ساوي.
(2) سنكتب نص الرسائل كما روتها المصادر، ونضع المحذوف وغير المقروء في مكانه، وبمقارنة الأصل المروي مع صور الوثائق يتبين الفرق في الرسم الإملائي والخطأ النحوي والمحذوف من الكلمات والمطموس وغير ذلك. انظر نص هذه الرسالة في السيرة الحلبية 3/ 283 ـ 284.
(3) شك فليشر في صحة هذه الوثيقة بسبب الأخطاء النحوية، انظر: حميد الله:
Hamidullah, M.: Some Arabic Inscriptions of Madinah. of the Early years of Hijrah. Islamic culture, 1939, No 4 Vol. XIII P.P. 433-434.

ببعض المتأخرين إلى إعادة تحبير الكلمات، ثم إن هذه الوثيقة التي تطابق ما جاء في السيرة الحلبية (ومؤلفها متأخر توفي سنة 1044 هـ) تختلف في نصها عما جاء في المدونات التاريخية، من ذلك ما أورده القاسم بن سلام (المتوفى سنة 224 هـ)، ونصها فيه:

«سلام أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد ذلك فإن من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة الرسول، فمن أحب ذلك من المجوس فإنه آمن، ومن أبى فإن الجزية عليه»[1].

2 ـ الرسالة الثانية:

رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة (لوح 13)[2]، ونصها[3]:

(1 ـ من محمد رسول الله إلى النجا
2 ـ شي عظيم الحبشة سلام على من
3 ـ اتبع الهدى، أما بعد فإني أحمد إليـ
4 ـك الله الذي لا إله إلا هو الملك
5 ـ القدوس السلام المؤمن المهيمن
6 ـ وأشهد أن عيسى بن مريم روح
7 ـ الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتو
8 ـ ل الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من ر
9 ـ وحه ونفخه كما خلق آدم بيده و
10 ـ اني أدعوك إلى الله وحده لا شر
11 ـ يك له والموالاة على طاعته وإن
12 ـ تتبعني وتوقن بالذي جاءني فاني ر
13 ـ سول الله وإني أدعوك وجنو
14 ـ دك إلى الله عز وجل وقد بلغـ
15 ـ ت ونصحت فاقبلوا نصيحتي السلام
16 ـ على من اتبع الهدى)

(1) كتاب الأموال 1/ 20، وانظر سهيلة الجبوري ص 80 ـ 84 وقد درست أشكال الحروف.
(2) رسالة النبي الى النجاشي ملك الحبشة.
(3) انظر نص الرسالة في السيرة الحلبية 3/ 279، وقد تمت قراءة النص بموجب هذا المصدر، وورد النص مع بعض الاختلاف في صبح الأعشى 6/ 379 وكتاب العبر 2/ 790 ـ 791. أما أصل الوثيقة فقد عثر عليها د. م ــ دنلوب، ونشرت في حولية الجمعية الملكية الآسيوية سنة 1940، وهي محفوظة اليوم في الجمعية الجغرافية البريطانية.

ولوحظ في هذه الوثيقة أنها تخلو من البسملة، ولا تنتهي بختم الرسول، وفيها أخطاء إملائية ونحوية، وفيها كلمات ناقصة الحروف، وبمقارنة حروف الوثيقة بالنقوش العربية الجاهلية والراشدية والأموية نجد أن كثيراً من حروفها ترجع إلى الفترة الأموية والعباسية، وهناك من يميل إلى اعتبار هذه الوثيقة مزيفة أو أنها منزوعة من مخطوط قديم يعود إلى العصر العباسي[1].

3 ـ الرسالة الثالثة:

رسالة النبي ﷺ إلى كسرى ملك الفرس (لوح 14)[2]، ونصها[3]:

(1 ـ بسم الله الرحمن ا
2 ـ لرحيم من محمد بن عبدالله و
3 ـ رسوله إلى كسرى عظيم
4 ـ فارس سلام على من اتبع الهدى
5 ـ وآمن بالله ورسوله و
6 ـ شهد أن لا إله إلا الله و
7 ـ حده لا شريك له وأن محمدا
8 ـ عبده ورسوله أدعوك
9 ـ بدعاية الله فإني أنا رسو
10 ـ ل الله إلى الناس كافة
11 ـ لأنذر من كان حيا ويحق
12 ـ القول على الكافرين
13 ـ اسلم تسلم فإن أبيت فا
14 ـ نما عليك اثم المجو
15 ـ س)

ويلاحظ في أصل هذه الوثيقة كثرة الأخطاء الإملائية واستخدام بعض الحروف فيها بطريقة غير مألوفة، وأن بعض الحروف فيها تتشابه مع ما يقابلها في الكتابات الأموية، وأن الوثيقة تخلو من ختم النبي المتوقع وجوده في مثل هذه الرسائل، ويلاحظ أيضاً أن شكل الصحيفة العام الذي كتبت به

(1) انظر سهيلة الجبوري ص 86 ـ 87 وقد جاءت بأمثلة من الحروف وقارنتها بالحروف الأموية والعباسية.
(2) رسالة النبي الى كسرى، وانظر المنجد ص 32، وكان قد نشر الرسالة سنة 1963 في جريدة الحياة البيروتية، وأصل الرسالة محفوظ في خزانة هنري فرعون ـ بيروت.
(3) استعين في قراءة هذه الرسالة على النص الذي جاء في السيرة الحلبية 3/ 277.

والمتميزة بمقاساتها غير المنتظمة والممزقة الحواشي، على الرغم من كونها كاملة تقريباً في النص، وقد جاء في الأخبار أن كسرى إبرويز حينما قرئت رسالة النبي عليه غضب فمزقها، وأن النبي ﷺ حينما علم بذلك دعا عليه فقال: «مزق الله ملكه»[1].

4 ـ الرسالة الرابعة:

رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط (لوح 15)[2]، وقد عثر على هذه الوثيقة سنة 1850 م في أحد أديرة مصر العليا قرب أخميم، ملصقة على إنجيل قبطي قديم مقاسها 5 ,42 × 30سم، وقد أصاب التلف بعض الأجزاء الوسطى، وهي محفوظة اليوم في متحف طوبقا بو سراي باستانبول. ونص الرسالة[3]:

(1 ـ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبدالله ور
2 ـ سوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على
3 ـ من اتبع الهدى أما بعد فاني أد
4 ـ عوك بدعاية الا سلم اسلم
5 ـ تسلم يؤتك الله أجرك مرتين
6 ـ فان توليت فعليك إثم القبط
7 ـ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
8 ـ سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله
9 ـ ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
10 ـ بعضا أربابا من دون الله فان
11 ـ تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسـ
12 ـ لمون)

ولوحظ في هذه الوثيقة أيضاً الأخطاء الإملائية والكلمات الغامضة والمطموسة، وقد جاءت كلمة (الكتاب) بإثبات الألف الوسطى، وهو مغاير للمألوف في كتابات العصر، ولوحظ عدم تناسب المسافات بين حروف بعض الكلمات وبين المسافات الممزقة التي تتخلل تلك الوثيقة، ولا يمكن البت بصحة أو عدم صحة هذه الوثيقة وانتسابها إلى عصر الرسول ﷺ، إلا بعد الدراسة

---

(1) الطبري: تاريخ 3/ 1572، ابن سلام: الأموال 1/ 223، السيرة الحلبية ص 278.
(2) رسالة النبي الى المقوقس.
(3) ورد نص الرسالة في القلقشندي: صبح الأعشى 6/ 378، ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص 46، محمد حميدالله: مجموعة الوثائق السياسية ص 50.

المستفيضة، بما في ذلك التحليل الكيمياوي للرق والحبر وغير ذلك، علماً بأن رواية السيرة الحلبية تقول: «إن المقوقس جعله في حُقّ عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية»[1]، وهذا ما يرجح احتفاظ الوثيقة بسلامتها مدة أطول من غيرها.

إن الرسائل التي كتبت في زمن الرسول ﷺ، ذكرتها المصادر، وظلت تتوارثها الأجيال، من ذلك ما يذكره ابن النديم من أنه رأى في خزانة كتب في مدينة الحديثة أمانات وعهوداً بخط علي بن أبي طالب، وبخط غيره من كتّاب النبي ﷺ[2]، وذكر ابن فضل الله العمري أنه رأى سنة 745 هـ في حرم الخليل كتاب النبي إلى تميم الداري، وأنه كتب سنة تسع، وقال في صفته: «وهو بالخط الكوفي المليح القوي» وقد جاء في آخره: «شهد عتيق بن أبو قحافة، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وكتب علي بن بو طالب وشهد» ثم نص على أن (بو طالب) باء وواو، وليس في (بو) ألف «وقد رأيت ذلك كله بعيني»[3].

وقد حاول بعض الباحثين ـ والمستشرقون خاصة ـ أن يشكك في صحة هذه الرسائل التي وصلت إلينا، وتحتفظ بها المتاحف والخزائن الخاصة، ولم تكن حججهم علمية قاطعة، بل هي افتراضات وظنون، وخاصة أن منهم من لم يكن مختصاً بالخطوط، وقد رد حميد الله على اعتراضات المستشرقين ومزاعمهم[4].

ثانياً ـ الكتابات الحجرية:

هي نقوش عربية متعددة مكتوبة على الحجر من نوع غرافيت، كشفها محمد حميد الله في جبل سَلَع بجوار المدينة المنورة، ترجع إلى أوائل الاسلام، ويعتقد أنها من أيام غزوة الخندق، في السنة الخامسة للهجرة[5]، وقيل الرابعة كما عند ابن حزم[6].

---

(1) السيرة الحلبية 3/ 281.
(2) طاهر الجزائري: توجيه النظر الى أصول علم الأثر ص 9.
(3) مسالك الأبصار ص 173 ـ 175.
(4) حميد الله:
Hamidullah, M.: Le Prophéte de L'Islam 1, 205, 210, 212, 230, 235 etc...
(5) محمد حميد الله:
Hamidullah: some Arabic Inscriptions of Madinah of early years of Hijrah. Islamic culture, XIII (1939) P.P. 429-434..
(6) جوامع السيرة ص 185.

والملاحظ في هذه النقوش أن كثيراً منها طمست حروفه، وخاصة النقوش المكتشفة في سفوحه الغربية، وأن عدداً قليلاً منه يمكن قراءته، وأن الكتابات التي قرأها حميد الله خان تقع عند الزاوية الجنوبية من الجبل(1).

وتشتمل الكتابات هذه على ثلاثة نقوش، هي :

أولا ـ النقش الأول ونصه : (لوح 16)(2)

(1 ـ أمسى وأصبح عمر و

2 ـ أبو بكر يتوبان

3 ـ إلى الله من كل

4 ـ ما يكره)

ذكر حميد الله خان : أن أبعاد هذه الكتابة 5 , 28 × 21 أنج، وقد تم الكشف عنها من قبل السيد ابراهيم القريتلي السادن لمكتبة شيخ الإسلام في المدينة، وقد نشرت لأول مرة في (مرآة الحرمين) لمؤلفه إبراهيم رفعة باشا(3)، وقد قرأ حميد الله كلمة (يتوبان) (يتودعان، يتوبان، يتضرعان).

ثانيا ـ النقش الثاني، ويتكون من كتابتين :

أ ـ الكتابة على الجهة اليسرى من الصخرة، ونصها : (لوح 17)(4)

(1 ـ حكيم

2 ـ ويومن بالـ

3 ـ عمر ابن الـ

4 ـ بكر)

ب ـ الكتابة على يسار الكتابة الأولى، ونصها :

(1 ـ انا عماره

2 ـ بن حزم انا

3 ـ ميمون

4 ـ انا محمد بن

---

(1) Hamidulla: op. cit, P. 427.

(2) كتابة على جبل سلع 1 .

(3) Hamidulla: Ibid P. 434-435..

(4) كتابة على جبل سلع 2 .

5 ـ عبدالله انا و. . .

6 ـ بن عوسجه

7 ـ انا خلف

8 ـ انا سلمين الاصغر (الاحمر؟) انا

9 ـ انا سهل ابن

10 ـ انا معقل الجهنى

11 ـ يا الله

12 ـ انا

13 ـ انا سعد بن معذ

14 ـ . . . . ابن عـ. . . انا

15 ـ . . . .

16 ـ انا علي بن ابو طالب

17 ـ ومحمد)

ثالثا ـ النقش الثالث، ونصه : (لوح 18)(1)

(1 ـ اشهد ان لا اله

2 ـ [الا الـ]ـله وأشهد أن محمد عبده

3 ـ [ورسولـ]ـه برحمتك يا الله لا اله الا

4 ـ [هو علـ]ـى الله توكلت وهو رب

5 ـ العرش العظيم)

ليس في هذه النقوش تاريخ، وهذا أمر طبيعي لأن المسلمين لم يبدأوا بكتابة تاريخهم إلا في عهد عمر سنة 16 للهجرة، وقد قدر حميد الله أنها تعود إلى السنة الخامسة للهجرة، مستدلا بأن جبل سَلَع كان قاعدة للمسلمين في معركة الخندق التي وقعت في شوال من السنة الخامسة بعد الهجرة(2)، وأن بعض مقاتلي المسلمين قد كتبوا هذه النقوش، وكانوا يتخذون من سرادق بني حرم مكاناً للاستراحة، وبنو حرم كانوا يستوطنون في موضع قريب من سلع، وما زالت بعض مقابرهم هناك. وقد استند حميد الله في ذكر التاريخ السابق الى ورود أسماء صحابة مشهورين في هذه النقوش هم : عمر وأبو بكر وعلي بن أبي طالب وعمارة بن حزم، وقد كان جبل سلع مسرحاً لغزوة الخندق، ويعزز ذلك قول

---

(1) كتابة على جبل سلع 3 .

(2) حميد الله : السابق ص 428 .

الطبري في المسلمين: «ثم تيمموا مكانا في الخندق ضيّقاً، فضربوا خيولهم فاقتحمت منه، فهالت بهم في السبخة بين الخندق وسَلْع»[1]، ويعزز حميد الله رأيه أيضاً بأن الصحابة الذين وردت أسماؤهم، وكانوا قد خاضوا معركة الخندق كانوا يعرفون القراءة والكتابة. ومع كل ذلك فإن هناك من يرى أنها ربما كتبت بعد هذا التاريخ، بسبب وجود بعض الحروف التي لم يكن رسمها مألوفاً في صدر الإسلام، وإنما وجد فيها بعد في العصر الأموي، وربما كتبت من قبل أحفاد هؤلاء الصحابة، في فترات زمنية لاحقة تكريماً لهم وتبجيلاً[2]، وليس من المستبعد أن تكون هذه النقوش قد كتبت من قبل أكثر من كاتب، لاختلاف الخط.

ومع كل ذلك فليس هناك دليل قاطع ينفي نسبة هذه النقوش إلى صدر الإسلام، وإلى زمن رسول الله ﷺ خاصة، بل إن الدلائل تعزز نسبتها إلى ذلك العصر.

وثائق عصر الراشدين:

وصلتنا من زمن الخلفاء الراشدين مجموعة وثائق صحيحة، يرجع تاريخها الى زمن عمر بن الخطاب (13 ـ 23 هـ)، وأقدمها يرجع إلى سنة 20 هـ (640 م)، وآخرها يرجع إلى زمن خلافة علي ابن أبي طالب سنة 40 هـ (660 م)، وتشتمل هذه الوثائق على:

1 ـ كتابات على البردي   2 ـ نقوش حجرية   3 ـ مسكوكات.

أولا ـ البرديات:

هما برديتان، كلاهما من زمن عمر بن الخطاب مؤرخة سنة 22 هـ (642 م)، الأولى قصيرة وناقصة ليس فيها من الكلمات ما يمكن قراءته إلا القليل (لوح 19)[3]، مثل:

(ونصف) و(في) و(سنة اثنتين وعشرين)[4].

أما البردية الثانية، وهي أشهر ما وصل من هذا العصر، وهي من عهد عمر بن الخطاب مؤرخة سنة 22 هـ (642 م)، والبردية محفوظة في المكتبة الوطنية في فيينا في مجموعة رينر رقم 558، وقد تم

---

(1) الطبري: تاريخ 3/ 1475.

(2) سهيلة الجبوري ص 96 ـ 97.

(3) لوح 19 بردية سنة 22 هـ الناقصة.

(4) كروهمان:

Grohmann: The Problem of Dating Early Qurans, Der Islame, (Berlin 1958) XXXIII/3, P. 220 PL 11.

اكتشافها سنة 1877 م في مصر، وهي مكتوبة بالخط الاغريقي والخط العربي، تمثل وصلاً بتسلم 65 شاة، والجزء الاغريقي منها ترجمة للأصل العربي، وهي طويلة نسبياً وكاملة[1]، ونص البردية ما يلي: (لوح 20)[2].

(1 ـ بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أخذ عبد الله

2 ـ ابن جبر[3] واصحبه من الجزر من أهنس أخذنا

3 ـ من خليفة تذرق ابن أبو قير الأصغر ومن خليفة اصطفن ابن أبو قير الأكبر خمسين شاة.

4 ـ من الجزر وخمس عشرة[4] شاة أخرى اجزرها اصحب سفنة وكتئبه وثقلاه في

5 ـ شهر جمادى الأولى[5] من سنة اثنتين[6] وعشرين وكتب ابن حديده[7])

تمتاز كتابة هذه البردية بأنها طويلة، وتضم جميع الحروف العربية بأشكالها المختلفة، وأن بعض حروفها فيها نقط، كحرف: النون والشين والزاي والذال والخاء، وحروفها مدورة، أو هي أقرب إلى التدوير. وأن هذه البردية صحيحة لا يرقى إليها الشك، ولا إلى الزمن الذي كتبت فيه، وذلك لوجود اسم الصحابي عبدالله بن جبر الأنصاري المدني الذي ذكرته كتب التراجم[8].

ثانيا ـ النقوش الحجرية:

1 ـ نقش قبر عروة بن ثابت:

هذا النقش شاهد قبر عروة بن ثابت، قيل إنه اكتشف على حائط كنيسة في قبرص، مؤرخ في

---

(1) كروهمان: Grohmann: From the world of Arabic Papayri, Al-Maaref Press (Cairo 1952). P. 113.

(2) لوح 20 بردية سنة 22 هـ الكاملة.

(3) قرأها المنجد ص 37: (جبير)، وكان عبدالله بن جبير صحابياً شهد العقبة وبدراً وكان أمير الرماة يوم أحد واستشهد فيها، أما عبدالله بن جبر في هذه البردية، فهو عبد الله بن جبر بن عتيك الأنصاري المدني، روى حديثه أبو العميس عن عبد الله بن عبد الله بن جبر عن أبيه أن النبي ﷺ عاد جابراً (ابن حجر: تهذيب التهذيب 5/ 167، السخاوي: التحفة اللطيفة 2/ 381) ويرى كروهمان (المصدر السابق ص 114 ـ 115) أن عبدالله بن جبر كان قائد الكتيبة العربية التي ذهبت لفتح مصر سنة 641 ـ 643 م، وانظر الجبوري ص 104 ـ 105.

(4) عند المنجد ص 37: (وخمسة عشر شاة) وهو لحن، كما أن الكلمة واضحة في صورة البردية (خمس عشرة).

(5) كتبها المنجد (الأول) وصوابها (الأولى) كما هي واضحة في البردية.

(6) قرأهما كروهمان (اثنين) وسن الثاء واضحة في الأصل (اثنتين).

(7) قرأها كروهمان والجبوري (حديدو).

(8) ابن حجر: تهذيب التهذيب 5/ 167، السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة 2/ 381

سنة 29 هـ (649 م)[1]، ولم تتوافر لنا صورة لهذا النقش، ولم تشر المصادر إلى قراءة هذا النقش غير ما جاء في سجل الكتابات العربية المطبوع بالقاهرة سنة 1931 م[2]، ونص الشاهد:

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر عروة بن ثابت توفي في شهر رمضان سنة تسع وعشرين للهجرة).

ويلاحظ في هذا النص وجود كلمة (للهجرة) التي ترد في النقوش العربية في الفترات الاسلامية، وكانت قبرص قد فتحت في سنة 28 هـ[3]. أي في السنة التي سبقت هذا النص، مما يدلل على صحة النص، وإن لم ترد ترجمة لعروة بن ثابت في المصادر العربية.

2 ـ نقش قبر عبد الرحمن بن خير:

هذا النقش هو شاهد قبر عبد الرحمن بن خير الحجري، المؤرخ في سنة 31 هـ (651 م) (لوح 21)[4]، أي في زمن عثمان بن عفان، اكتشفه حسن الهواري في مقابر أسوان، وهو اليوم محفوظ في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة تحت رقم 20/ 1508[5]، ونص النقش الذي يتألف من ثمانية أسطر هو:

(1 ـ بسم الله الرحمن الرحيم هذا القبر
2 ـ لعبد الرحمن بن خير[6] الحجري[7] اللهم اغفر له
3 ـ وادخله في رحمة منك واينا[8] معه
4 ـ استغفر له إذا قرأ هذا الكتب
5 ـ وقل[9] آمين وكتب هذا

(1) Wiet: Répertoire Chronologique D'Epigraphie Arabe, Tome Premier, P. 5.
Miles: Early Islamic Inscription Near Ta'if in the Hijaz. Journal of Near Eastern studies No. 4 Vol. VII. P. 240.

(2) وايت Wiet: op. cit. P. 6.

(3) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ص 166، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي 1/ 199.

(4) لوح 21 شاهد قبر عبد الرحمن بن خير الحجري مؤرخ سنة 31 هـ.

(5) انظر فيه: رضا أحمد: رسالة الخط ص 11، إبراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة ص 130 ـ 131 الجبوري ص 108 المنجد ص 40.

(6) قرأها حميد الله (عبد الرحمن بن خلد)
Hamidullah: Some Arabic Inscriptions of Madina of the Early years of Hijrah No. 4. Vol. XIII PL.2.

(7) قرأها يوسف أحمد (الحيري)، الخط الكوفي الرسالة الأولى ص 11.

(8) قرأها جمعة ص 133 والجبوري ص 109 (وانا)، ويحسن أن تقرأ (واياناا).

(9) أي: (وقال).

6 ـ الكتب في جمدى الا
7 ـ خر من سنت احدى و
8 ـ ثلثين)

يلاحظ في هذا النقش أنه كتب بالخط اليابس، وهو الخط الذي تميزت به النقوش الحجرية لمدة طويلة، وهذا النقش هو أقدم كتابة حجرية إسلامية، والخط فيه مستقيم غليظ، وهو قريب في شكله من خطوط زَبَد وحرَّان، ولا تظهر آثار الصنعة الفنية عليه، وقد اتبع الكاتب في هذا النقش النمط نفسه المتبع في النقوش الجاهلية، مع شيء من التطور في بعض الحروف، مع عدم الانتظام وعدم مراعاة المسافة المعقولة بين الأسطر، إضافة إلى المزج الواضح بين بعض الحروف فيه[1]، وقد اتبع الكاتب النمط الجاهلي في حذف الألف من بعض الأسماء كما في (الكتب، وجمدى، وثلثين) أي: الكتاب وجمادى وثلاثين، وكذلك كتابة التاء المربوطة تاء طويلة كما في (سنت) أي سنة[2]، بينما جاءت كلمة (رحمة) بالتاء المربوطة.

وليس في النقش صنعة فنية، ولعل ذلك يعود إلى رداءة خط الكاتب أو جهله بالكتابة، وذلك لعدم انتظام السطور وعدم التناسق بين مجموعة الكلمات، إذ جاءت في أول النقش مزدحمة، وجاءت في آخره مفرقة. وبدهي ألا يعد هذا النقش أنموذجاً للنقش على الحجر في تلك الفترة، لأن النقش يخص شخصاً غير معروف، وفي منطقة لم يكن الخط العربي قد انتشر فيها مثل انتشاره في الحجاز والشام والعراق[3].

ثالثا ـ المسكوكات:

إن المسكوكات وثائق رسمية تصدرها الدولة، ولذلك فالخط فيها يختلف عما في بقية النقوش لأنه يُعنىٰ بها عناية كبيرة، وإن أقدم ما وصلنا من المسكوكات هي التي تحمل مأثورات عربية وقد أطلق علماء النميات على هذه النقود اسم (النقود المغفلة Anonynous)، وهي استمرار للنقود الساسانية، ولا تحمل اسم الحاكم العربي، وتتميز فقط بهذه المأثورات العربية في الهامش[4]، وعلى الرغم من قلة العبارات العربية على هذه المسكوكات فإن لها أهمية كبيرة في دراسة تطور الخط العربي،

(1) المنجد ص 40، والجبوري ص 109.

(2) قارن كلمة (سنت) التي جاءت في نقش أسيس (لوح 9) ونقش حران (لوح 10).

(3) الجبوري ص 111.

(4) محمد أبو الفرج العش: كنز أم حجرة الفضي ص 16 ـ 17.

وإن أقدم ما وصلنا مـن هذه النقود المغفلة يرجع إلى سنة 20 هـ (640 م)، وآخرها مضروب في سنة 40 هـ (660 م).

1 ـ فمن زمن عمر بن الخطاب وصلنا درهمان (لوح 22)[1]، كلاهما يحمل عبارة (بسم الله) على الجهـة الخارجيـة اليمنى من الوجـه، ضرب الأول في سجستـان[2] سنـة 20 هـ، وضرب الثـاني بنهـر تيري[3] سنة 20 هـ أيضاً[4].

2 ـ ومن زمن عثمان بن عفان (24 ـ 36 هـ) وصلتنا دراهم، منها درهم مـؤرخ في سنة 31 هـ مضروب بمدينة الري[5]، وعليه كلمة (بركة)[6]، ودرهم آخر من مدينة الري نفسها ومضروب في السنة السابقة نفسها عليه كلمة (جيد). وفي السنة 31 أيضاً ضرب درهم بمدينة نهر تيري عليه عبارة (بسم الله) (لوح 23)[7]، وفي سنة 32 هـ ضرب درهم بمدينة مرو[8]، وفي سنة 35 هـ ضرب درهم بمدينة الري[9] وفي سنة 36 هـ ضرب درهم بمدينة بيشاور[10]، وكلها مكتوب عليها عبارة (بسم الله).

3 ـ أمـا في زمن علي بن أبي طالب (36 ـ 40 هـ)، فقـد وصلتنا ثـلاثة دراهم، أولها مضروب بمدينة سجستان سنة 38 هـ، وعليه كلمة (ربي)[11]، والثاني بمدينة الشيرجان[12] سنة 39 هـ وعليه كلمة (محمد)[13]، والثالث بمدينة نهاوند[14] سنة 40هـ وعليه عبارة (بسم الله).

---

(1) لوح 22 دراهم عصر الخلفاء الراشدين.

(2) سجستان: إحدى المقاطعات الشرقية في إيران قصبتها زرنج، تقع جنوبي هراة. (ياقوت: سجستان)

(3) نهر تيري: من نواحي الأهواز على نهر كرخا. (ياقوت: نهر تيري)

(4) المتحف العراقي تحت رقم 4072 مس.

(5) الري: مدينة إيرانية على حافة طريق خراسان. (ياقوت: الري)

(6) المتحف العراقي تحت رقم 1838 مس.

(7) لوح 23 دراهم عصر الخلفاء الراشدين.

(8) مرو: مدينة بفارس وهي إحدى أقسام خراسان الأربعة: نيسابور وهراة وبلخ ومرو. (ياقوت: مرو)

(9) المتحف العراقي رقم 1/ 1839 مس.

(10) بيشاور: مدينة بفارس تنطق بالفارسية (به شابور) نسبة الى الملك شابور الذي بناها. (ياقوت: بيشاور)

(11) المتحف العراقي رقم 4074 مس.

(12) الشيرجان: قصبة كرمان، وهي السيرجان عند ياقوت.

(13) المتحف العراقي رقم 4075 مس.

(14) نهاوند: مدينة كانت فيها الوقعة المعروفة باسمها في زمن عمر سنة 21 هـ. (ياقوت: نهاوند)

صفات الكتابة في صدر الإسلام

ان الكتابات التي جاءت من العهد الإسلامي زمـن الرسول والخلفاء الراشدين، لا تختلف كثيراً عن الكتابات الجاهليـة، فإن معظم الحروف العربية في صدر الإسـلام هي نفسها الحروف التي كانت معروفة في الجاهلية، وقـد طرأ عليها شيء من التطور والتغيير، بحيث أصبحت أكثر وضـوحاً وارتباطاً واستقامـةً، كالألف والدال والهاء والتاء، وقـد ظهر الاعجام في بعض الحروف، لتـوضيح الفرق بين الحروف والحروف المشابهة لها في الرسم، كما هو في برديتي سنة 22 هـ.

وقد استمر الخط بـالاحتفاظ بالاسلوب النبطي القديـم في حذف الألف من بعض الأسماء عند وقـوعها في وسـط الكلمة مثل: (جمدى، ثلثين، الكتب، اصحـب، كتئبه) أي: جمادى، ثـلاثين، الكتاب، أصحاب، كتائبه.

ومن الظواهـر الإسلامية وجـود كلمة (بسم الله) على المسكوكـات الاسلامية، ووجـود البسملة كاملة(بسم الله الرحمن الرحيم) على البردية الطويلـة سنة 22 هـ، وعلى شاهد قبر عبد الرحمن بن خير الحجري سنـة 31 هـ، وظهـور التاريخ الهجري على البرديتين، وعلى شـاهد قبر عبـد الرحمن بن خير نفسـه، فأما البسملـة فقد كـان أول من افتتح الكتابـة بها هو رسـول الله ﷺ، إذ كان يفتتح الكتـاب بقولـه: (باسمك اللهم) ثم تحول فافتتح الكتـاب بـ(بسم الله) ثم تركهـا فكتب (بسم الله الرحمن) ثم ترك ذلك كله فكتـب: (بسم الله الرحمن الرحيم)، وذلك بحسب ورود كل منها في الآيـات القرآنية، وأصبحت بعد ذلك سنة يتبعها المسلمون في كتاباتهم[1].

أما ظهـور التاريخ على النقوش فقـد كان قديماً، وكـان الأنباط يؤرخـون بسني حكم ملوكهم، وكانت العرب تؤرخ بعام الفيل[2]، فلما كان زمن عمر رأى استعمال التاريخ الهجري، من هجرة رسول الله ﷺ إلى يثرب مدينـة الرسول، وكان قرار عمـر في ذلك في شهر محرم لسنة سبع عشرة أو ثمان عشرة للهجرة[3].

ولا شك أن كتـابات صـدر الإسلام يختلـف خطها حسب المادة التي كتبت عليهـا، من حيث ظهور الليونة واليبوسة في أشكال بعض الحروف، نتيجـة لتحكم المادة المكتوب عليها، هذا بالاضافة الى جودة خط الكاتب وبراعته ومهارته الفنية، أمـا من حيث الصفات الأساسية العامة للكتابة فليس هناك اختلاف كبير.

---

(1) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص 14، وانظر الجبوري ص 112.

(2) الجهشياري: السابق ص 20.

(3) الجهشياري ص 20.

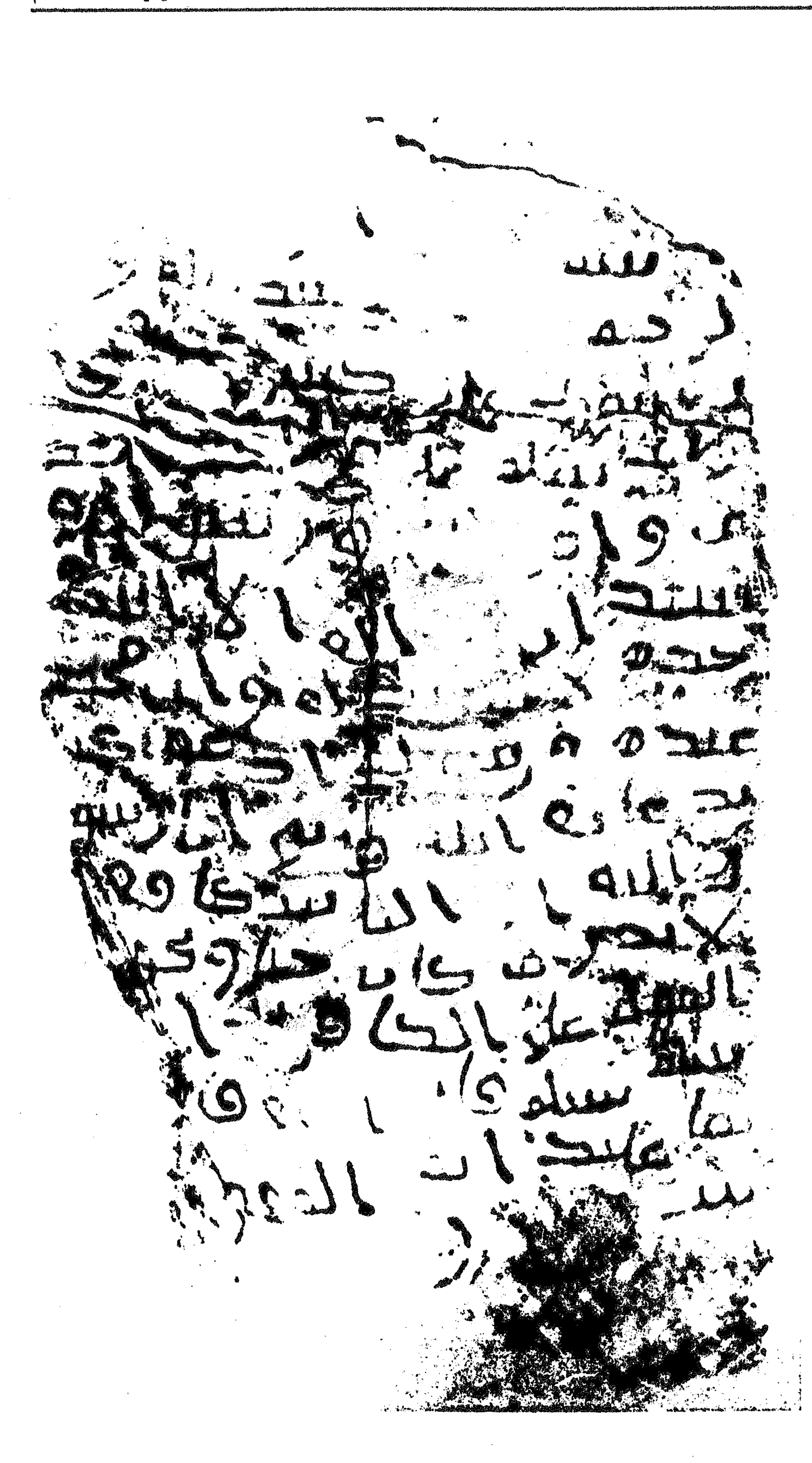
لوح 12

رسالة النبي ﷺ الى المنذر بن ساوى



لوح 13

رسالة النبي ﷺ الى النجاشي ملك الحبشة



لوح 14
رسالة النبي ﷺ
الى كسرى ملك الفرس

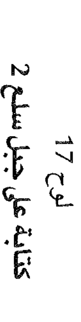


لوح 15
رسالة النبي ﷺ الى المقوقس عظيم القبط



لوح 16
كتابة على جبل سلع 1

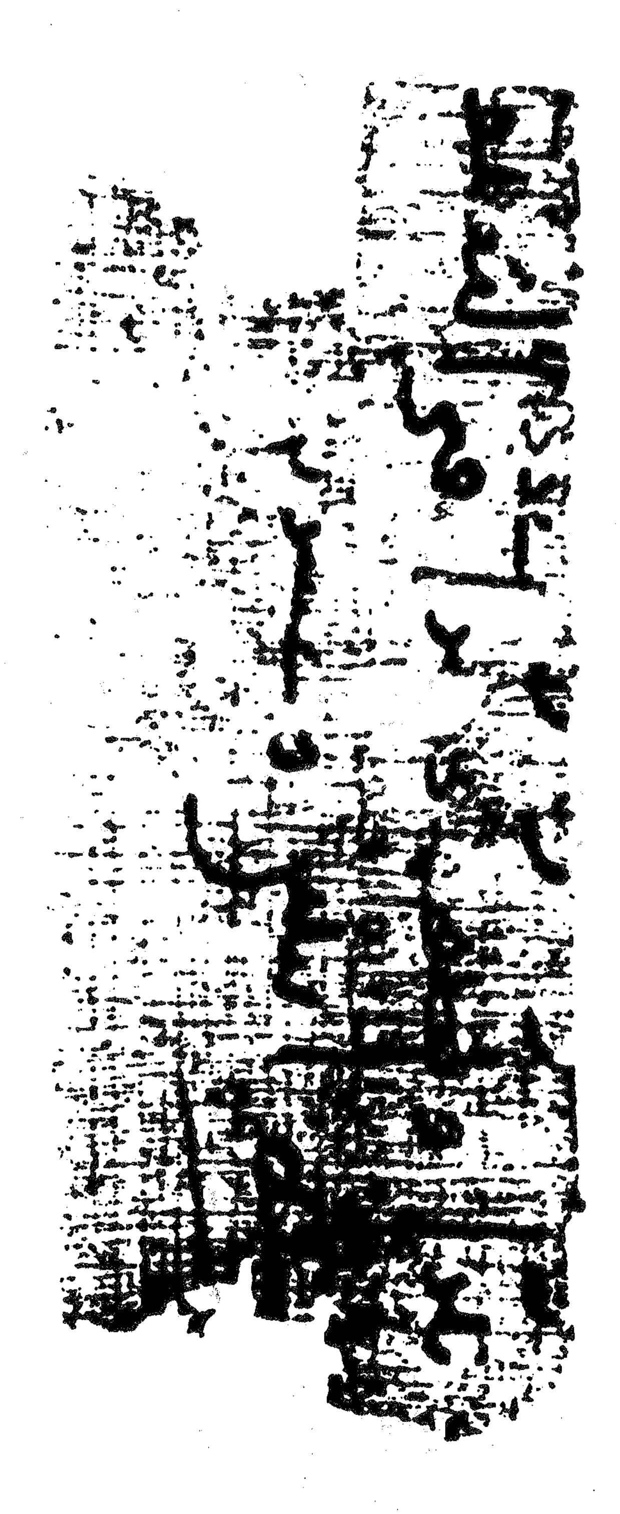


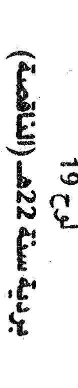


لوح 17
كتابة على جبل سلع 2

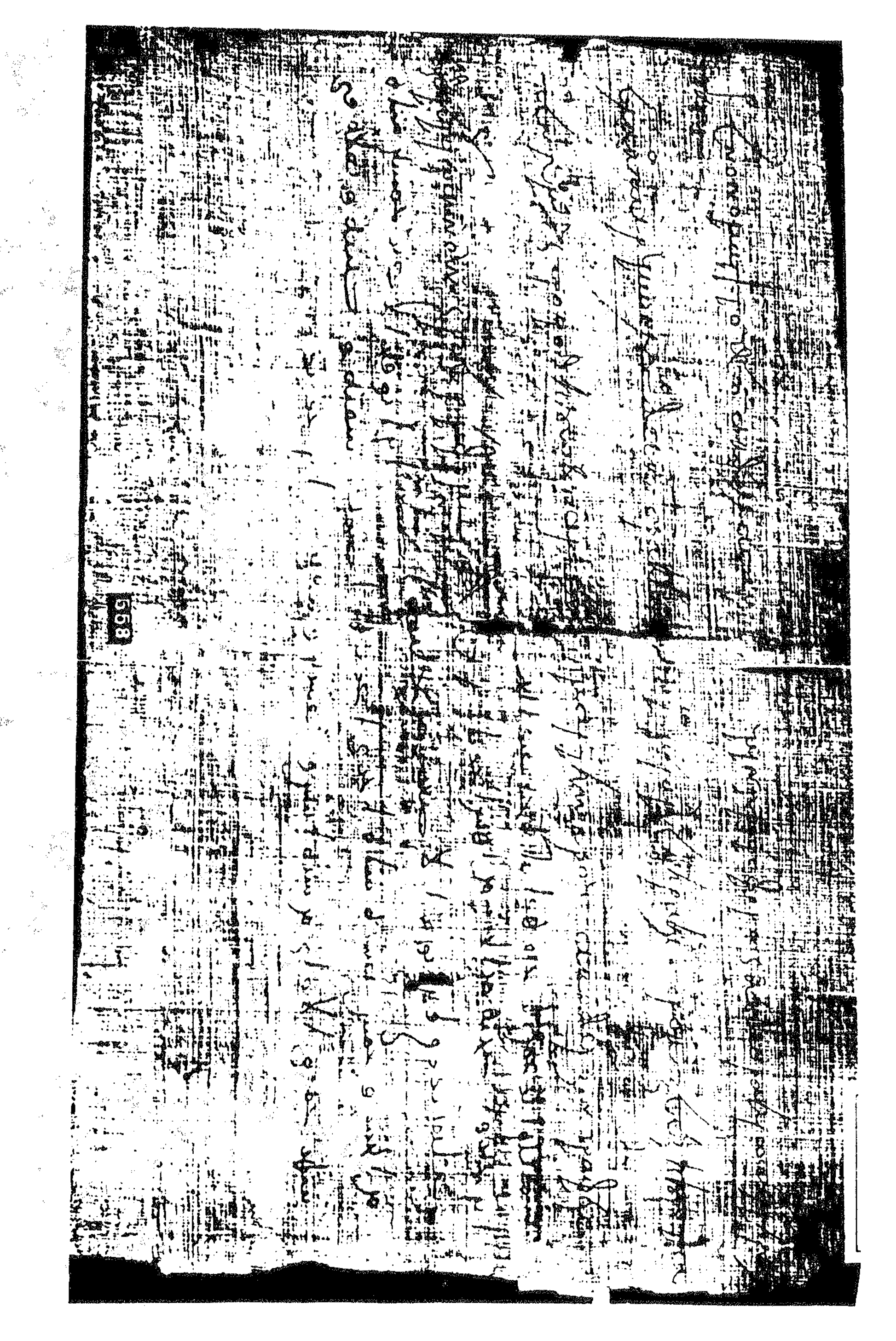


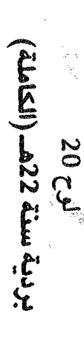
لوح 18
كتابة على جبل سلع 3





لوح 19
بردية سنة 22هـ (الناقصة)





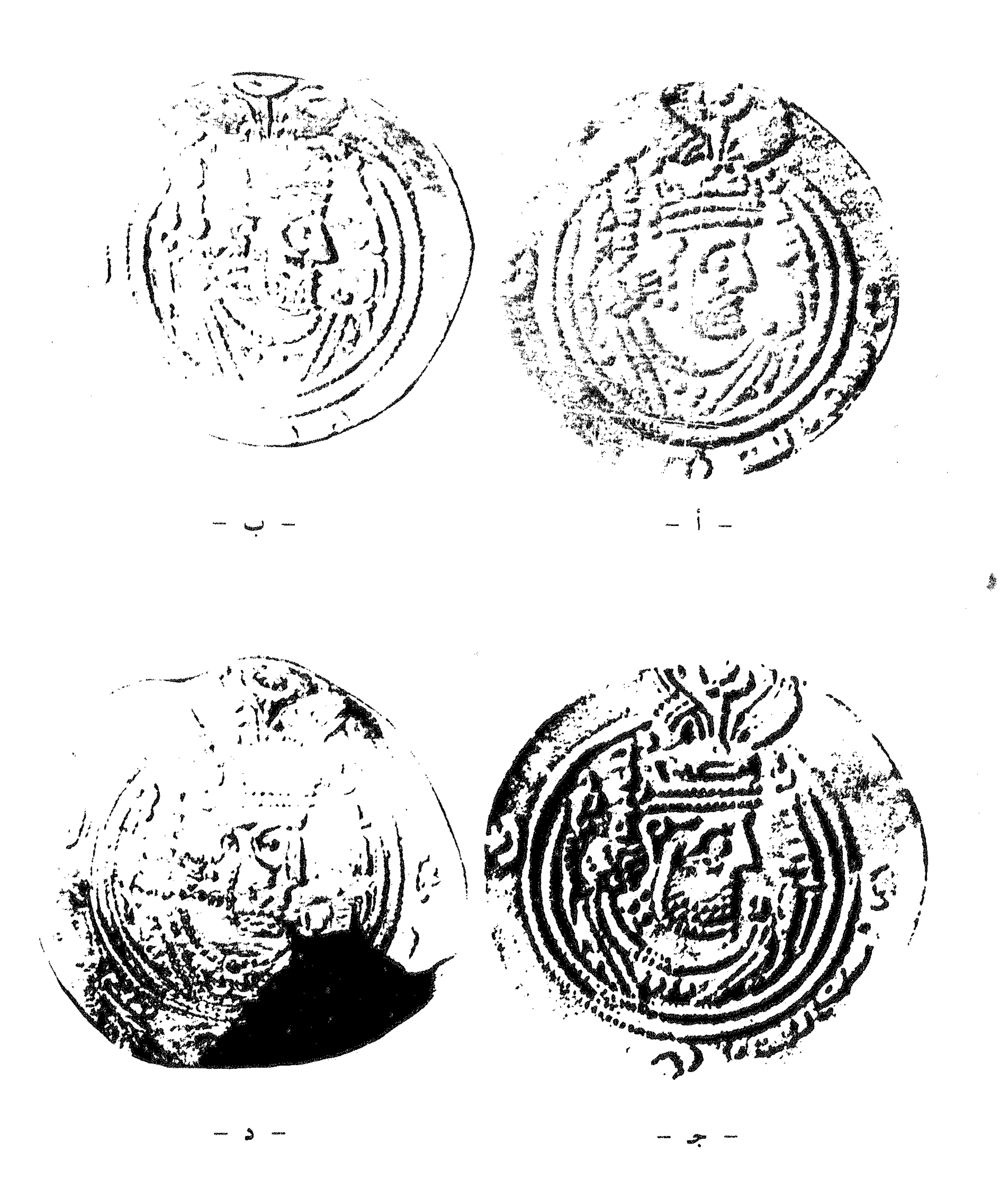
لوح 20
بردية سنة 22هـ (الكاملة)



لوح 21
شاهد قبر عبد الرحمن بن خير الحجري مؤرخ سنة 31هـ



لوح 22
دراهم عصر الخلفاء الراشدين



لوح 23
دراهم عصر الخلفاء الراشدين

المصاحف

وإتماماً للبحث في الكتابة في صدر الإسلام، نقف عند المصاحف ونجمل القول في كتابتها وخطها ومصائرها.

من الثابت الذي لا خلاف فيه أن الخليفة عثمان بن عفان أمر بكتابة مصاحف عدة وأرسلها الى الأمصار[1]، أما الخلاف فهو في عدد هذه المصاحف، وأكثر العلماء متفقون على أن عثمان لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية واحداً: الكوفة، والبصرة، والشام، وأبقى عنده واحداً، وقيل إنه جعل سبع نسخ، وزاد: إلى مكة، واليمن، والبحرين، قال الداني: والأول أصح[2]، وعن أبي حاتم السجستاني أن عثمان كتب سبعة مصاحف متفقة الحروف والتأليف، وقال: إلا أنه ليس عندنا في مصحف أهل اليمن ومصحف أهل البحرين خبر، ولم نجد ثقة يحدثنا عنه[3]، وقيل إن المصاحف ستة: المكي والشامي والبصري والكوفي والمدني العام والمدني الخاص الذي حبسه عثمان لنفسه[4]، وزاد الزرقاني: أن عثمان أرسل مع كل مصحف إماماً قارئاً، فكان زيد بن ثابت مقرىء المصحف المدني، وعبدالله بن السائب مقرىء المصحف المكي، والمغيرة بن شهاب مقرىء الشامي، وأبو عبد الرحمن مقرىء الكوفي، وعامر بن قيس مقرىء البصري[5]، والاجماع على أربعة مصاحف، هي: مصاحف المدينة والشام والكوفة والبصرة، وهناك خلاف على مصاحف اليمن والبحرين ومكة ومصر[6].

أما كاتب هذه المصاحف فهو زيد بن ثابت، كاتب وحي الرسول ﷺ، ولم يكتب عثمان أي مصحف، وكان زيد بن ثابت قد شهد القراءة الأخيرة التي قرأها النبي سنة وفاته، وعرف ترتيب آيات القرآن في السور بحسبها، وكان يقرىء الناس بها[7]، وكانت المصاحف التي كتبها زيد بن ثابت قد اتفقت في اشتمالها على القرآن كله، مائة وأربع عشرة سورة، أولها الفاتحة وآخرها الناس[8] وكانت مكتوبة على الرق[9]، وكانت عارية من النقط والشكل والتحلية، فقد كره الصحابة وبعض التابعين

(1) الزركشي: البرهان 1/ 235.

(2) الداني: المقنع في معرفة رسوم مصاحف أهل الأمصار ص 10.

(3) وجوه أحرف القرآن، مخطوط ورقة 3 أ، ب ثم ورقة 5 ب، عن المنجد ص 42.

(4) الزرقاني: مناهل العرفان 1/ 396، الزنجاني: تاريخ القرآن ص 45.

(5) الزرقاني 1/ 396 _ 397.

(6) المنجد ص 42.

(7) الزركشي: البرهان 1/ 327.

(8) الزركشي: البرهان 1/ 251.

(9) القلقشندي 4/ 275، البيروني: تاريخ الهند ص 81.

ذلك[1]، وقد رخص بنقط المصاحف بعد عهد الخلفاء الراشدين[2] ولم تكن هذه المصاحف مذهبة، ولا توجد علامات على رأس الآي، أي لا توجد فواصل بين الآيات، ولم يكن فيها تعشير أو تصفير، ولا أسماء للسور، اقتداء بالنهج الذي كتب به أبو بكر المصحف أول مرة[3].

وذكر السجستاني أن عثمان قال: «أي الناس أفصح؟ قالوا: سعيد بن العاص، ثم قال: أي الناس أكتب؟ قالوا: زيد بن ثابت. قال: فليكتب زيد وليُمْلِ سعد»[4]، وسُمِّيَتْ المصاحف التي كتبها زيد وأرسلت إلى الأمصار المصاحف الأئمة. قال ابن كثير: «وليست كلها بخط عثمان، بل ولا واحد منها، وانما هي بخط زيد بن ثابت، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية، نسبة إلى أمره وزمانه وإمارته، كما يقال: دينار هرقلي، أي ضرب في زمانه ودولته»[5].

أما خط المصاحف فيقول القلقشندي: إنها كتبت (بقلم الطومار) أو بقلم (جليل مبسوط)[6]، ويرى المنجد أن هاتين التسميتين قد أحدثتا بعد عصر عثمان، والصحيح أن الخط الذي كتبت به هو (الخط المدني) الذي كان في المدينة[7]، وقد ذكر ابن مقلة أن مصاحف المدينة القديمة كتبت بقلم الطومار، وقال في صفته: إنه قلم مبسوط كله ليس فيه شيء مستدير[8]، ويصف ابن كثير خط مصحف عثمان الذي بالشام بقوله: «إن زيداً هو الذي كتب المصحف الامام الذي بالشام عن أمر عثمان. ويقول: وهو خط جيد، قوي جداً، فيما رأيته»[9]، ويقول ابن كثير أيضاً في صفة مصحف عثمان بالشام: «أما المصاحف العثمانية الأئمة، فأشهرها اليوم الذي بالشام بجامع دمشق، عند الركن، شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كان قديماً بطبرية ثم نقل منها إلى دمشق في حدود سنة 518 هـ، وقد رأيته كتاباً عزيزاً جليلاً عظيماً ضخماً، بخط حسن مبين قوي بحبر محكم، في رق أظنه من جلود الإبل»[10].

(1) السجستاني: المصاحف ص 137، 140.

(2) السجستاني: المصاحف ص 142 _ 143، وكتاب المحكم في نقط المصاحف ص 7.

(3) السجستاني: المصاحف ص 173، طبقات القراء 1/ 926، المنجد ص 42.

(4) السجستاني: المصاحف ص 24.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية 7/ 216، السجستاني: المصاحف ص 19، 24.

(6) صبح الأعشى 3/ 147 _ 148.

(7) المنجد ص 43، وسيأتي الكلام عن قلم الطومار في موضعه.

(8) القلقشندي: صبح 3/ 48.

(9) ابن كثير: البداية والنهاية 8/ 29.

(10) ابن كثير: فضائل القرآن ص 49.

إن خصائص الخط الذي كتبت به المصاحف، هي الخصائص التي امتازت بها الكتابة النبطية المتطورة ذات الخط اليابس، التي انتقلت الى الخط العربي في مكة والمدينة، ويشبه خط رسائل النبي التي كتبت بالخط المدني وليس بالخط الكوفي، وقد ذهب ابن خلدون الى: «أن الصحابة رسموا المصحف بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها»[1]، ويرى المنجد أن هذا غير صحيح، لأن الصحابة اتبعوا معظم الرسم الذي وصل إليهم من الكتابة النبطية المتطورة، وأما (رسوم ما اقتضته صناعة الخط) فكانت وليدة مراحل جديدة من التطور والحضارة والعمران، تحققت فيما بعد بواسطة الخط الكوفي وغيره من أنواع الخطوط العربية[2].

ويلاحظ في رسم المصاحف العثمانية ما يلي:

1 ـ **ربط الحروف**: فقد ربطت الحروف في الكلمة الواحدة، إلا الحروف التي لا تربط.

2 ـ **شكل الحروف النهائية**: وكان للحروف النهائية شكل غير شكلها الذي عليه إذا جاءت في أول الكلمة.

3 ـ **خلوها من الاعجام**: لم تكن الحروف معجمة، فقد جاءت كلها بلا اعجام.

4 ـ **تاء التأنيث**: كتبت تاء التأنيث في كلمات كثيرة تاء مبسوطة، مثل:

ان رحمت ربك (سورة الأنعام)، تمت كلمت ربك (الأعراف)، امرأت العزيز (يوسف)، نعمت الله (آل عمران)، لعنت الله (آل عمران).

وجاءت في كلمات أخرى غير مبسوطة مثل:

سنة الأولين (الحجر)، غيابة الجن (يوسف)، شجرة الزقوم (الدخان)[3].

5 ـ **حذف الألف في وسط الكلمة**: وحذفوا الألف الممدودة من ألفاظ كثيرة، فكتبوا، عبد الرحمن (الزخرف) بدلاً من: عباد الرحمن، ملك يوم الدين (الفاتحة) بدلا من: مالك يوم الدين[4].

6 ـ **تعويج الألفات**: إن ألفات الخط المكي والمدني كان فيها تعويج، الى يمنة اليد وأعلى

(1) المقدمة ص 468.
(2) المنجد ص 44.
(3) السجستاني: كتاب المصاحف ص 106 ـ 108، 113، والمنجد ص 44.
(4) السجستاني: المصاحف ص 113، 105.

الأصابع، وفي شكله انضجاع يسير[1].

وتوجد في مكتبات العالم، شرقه وغربه، مصاحف منسوبة الى عثمان بن عفان (لوح 24)[2]، والى جلة الصحابة (لوح 25)[3] مثل علي بن أبي طالب الذي تحفل مكتبات العالم وخاصة في العراق وايران وتركية بمصاحف تنسب اليه، وكذلك مصاحف تنسب الى بقية الصحابة في زمن الرسول والخلفاء الراشدين[4]، وفي كثير من هذه المصاحف نقط وتذهيب وفواصل ورسم يخالف الرسم الذي عرف في صدر الاسلام، مما يدل على أنها كتبت في عصور متأخرة، في العصر الأموي والعصر العباسي، أو ما بعد ذلك. ولا يمكن الجزم بصحة هذه المصاحف ونسبتها إلا بعد دراسة دقيقة لطبيعة الخط وخصائصه في صدر الاسلام، وكذلك فحص الرق والحبر وغير ذلك.

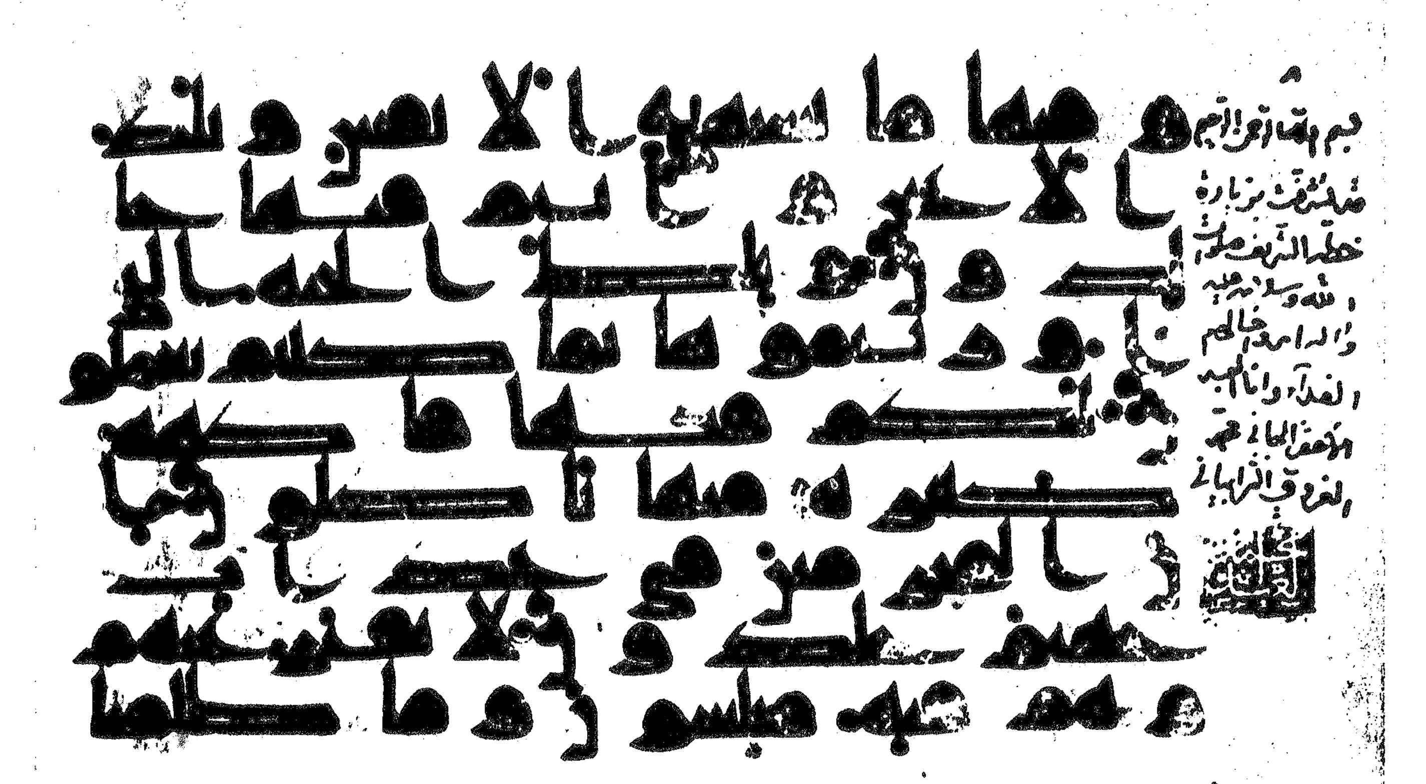
(1) ابن النديم: الفهرست ص 8.
(2) لوح 24 نماذج من المصاحف المنسوبة الى عثمان بن عفان.
(3) لوح 25 نماذج من المصاحف المنسوبة الى علي بن أبي طالب.
(4) انظر عن هذه المصاحف: المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص 45 ـ 76.

لوح 24

نماذج من المصاحف المنسوبة الى عثمان بن عفان

لوح 24ب

نماذج من المصاحف المنسوبة الى عثمان بن عفان



لوح 25

نماذج من المصاحف المنسوبة الى علي بن أبي طالب

لوح 25ب

نماذج من المصاحف المنسوبة الى علي بن أبي طالب

الفصل الثالث

الخط في العصر الاموي

اتسعت رقعة الدولة في العصر الأموي، وأصبحت دمشق عاصمة الأمويين، وظهر في هذا العصر الترف والميل الى البذخ والتحضر، على خلاف عصر الخلفاء الراشدين الذي تميز بالبساطة والخشونة والزهد في الدنيا، ونشطت في هذا العصر حركة العمران، وظهرت الكتابات على الأبنية والتحف، وأصبحت الكتابات عنصراً زخرفياً، واعتني بكتابة المصاحف وتزيينها وزخرفتها، وبانتشار العرب الفاتحين انتشرت اللغة العربية في الأقاليم المفتوحة، وصارت الكتابة بالخط العربي، وانتشر الخط العربي في كل أنحاء الدولة الإسلامية. وقد أولى الخلفاء الأمويون الخط عناية كبيرة، لحاجتهم الشديدة اليه، في المراسلات، والدواوين، والنقود، والكتابة على العمائر، وعلى التحف، وكتابة المصحف الشريف.

إن ما وصل الينا من نماذج النقوش والمسكوكات وما كتب على الحجر والبردي والزجاج والنحاس والخزف والنسيج، من العصر الأموي، يعد ثروة نادرة، وهو في الوقت نفسه كثير، لا يمكن استعراض كل ما وصل، وسنحاول أن ننتقي منه ما يكون ممثلاً للخط ودليلاً عليه، وأهم ما وصل من ذلك:

أولاً ـ النقوش الحجرية:

هناك مجموعة من النقوش الحجرية التي وصلت من العصر الأموي، وهي مؤرخة ومرتبطة بأسماء وأحداث تدل على العصر، مما لا يرقى الشك الى نسبتها الى العصر الأموي، وأهم هذه النقوش هي:

1 ـ نقش سد معاوية: (لوح 26)[1]

وجد بالقرب من الطائف بالحجاز، على سد بناه معاوية بن أبي سفيان سنة 58هـ، وهو أقدم ما وصلنا من الكتابات العربية المؤرخة في الحجاز، والكتابة هي كما قرأها مايلز [2]:

---

(1) لوح 26 كتابة سد معاوية مؤرخة سنة 58 هـ.

(2) Milse: Early Islamic Inscriptions Near Ta'if in the Hijaz. JNES, VII (1948) P.P. 236-242..

(1 ـ هذا السد لعبدالله معوية
2 ـ أمير المؤمنين بنيه عبدالله بن صخر
3 ـ باذن الله لسنة ثمن وخمسين ا
4 ـ للهم اغفر لعبدالله معوية ا
5 ـ مير المؤمنين وثبته وانصره ومتع ا
6 ـ [مير ا][1] لمؤمنين به كتب عمرو بن جناب)

ـ وهناك كتابة ثانية على السد نفسه، ترجع الى العصر الأموي، نشرها مايلز في مقالته السابقة، والكتابة هي:

(1 ـ ان الله وملئكته
2 ـ يصلون علا النبي يايها الذين
3 ـ آمنوا صلوا عليه وسلموا
4 ـ تسليماً وكتب عبدالله بن تامين[2]
5 ـ محمد بن مهرن)

ويلاحظ في كتابة هذا السد أنها كتبت بالخط اليابس، وفيها هندسة وتناسب، أكثر من كتابة جبل سلع، وخط شاهد عبد الرحمن بن خير.

ويلاحظ ظهور النقط فيها، ويظن أنها أقدم كتابة عربية ظهر فيها النقط حتى الآن[3]، وقد حذفت الألف الوسطى من بعض الكلمات كما هو في رسم المصحف، فجاءت الكلمات: (معوية، ثمن، ملئكته، يايها)، بدلا من (معاوية، ثمان، ملائكته، يا أيها)، وكتبت كلمة (على) بالألف الممدودة (علا)، ورسمت حروف الألف مائلة الى اليمين مع ذيل لها في الأسفل متجه نحو اليمين.

2 ـ نقش حفنة الأبيض: (لوح 27)[4]

اكتشفت هذه الكتابة بالقرب من كربلاء في حفنة الأبيض، مؤرخة سنة أربع وستين للهجرة، وهي محفوظة الآن في المتحف العراقي، وقد قرأ عز الدين الصندوق هذه الكتابة على الشكل الآتي[5]:

(1) هذه قراءة مايلز، ويرى المنجد ص 103 إن إضافة (مير) في السطر السادس خطأ، وأن الصواب (للهم) فتكون العبارة: (ومتع اللهم المؤمنين به) وهو اجتهاد راجح.
(2) صواب القراءة (يامين)، اذ ليس من أسماء العرب (تامين)، وإنما يامن ويامين مشتق من اليمن. (القاموس: يمن، والمنجد ص 103).
(3) المنجد ص 101.
(4) لوح 27 حجر حفنة الأبيض مؤرخ سنة 64 هـ.
(5) عز الدين الصندوق: حجر حفنة الأبيض، مجلة سومر م 11 (1955) ص 213 ـ 217.

(1 ـ بسم الله الرحمن الرحيم
2 ـ الله وكبر كبيرا وا
3 ـ لحمد لله كثيراً وسبحن
4 ـ الله بكرة وأصيلا وليلا
5 ـ طويلا اللهم رب
6 ـ جبريل وميكل و ـ اسر
7 ـ فيل اغفر لليث بن زيد
8 ـ الأسعدي ما تقدم من
9 ـ ذنبه وما تأخر ولمن قال
10 ـ آمين آمين رب العلمين
11 ـ وكتب هذا الكتب في
12 ـ شوال من سنة أربع و
13 ـ ستين)

ويرى المنجد: أن كلمة (لليث) في السطر السابع هي (لثبت) لثابت، وكلمة (الأسعدي) في السطر الثامن هي (الأشعري) أي: اغفر لثابت بن زيد الأشعري[1].

ويلاحظ في هذا النقش أن الخط فيه قائم كله، وخال من النقط إلا في كلمتين: (كثيراً) و(كبيراً)، وهي تمثل الخط الكوفي اليابس في القرن الأول الهجري، وخاصة أن النقش ظهر قرب الكوفة، ويلاحظ أن كلمة (سنة) كتبت بتاء مربوطة، على خلاف ما كتب في شاهد ابن خير حيث كتبت بتاء مبسوطة (سنت) على الطريقة النبطية[2].

3 ـ نقش قبة الصخرة: (لوح 28)[3]

وفي قبة الصخرة كتابة على الفسيفساء مؤرخة سنة 72هـ، وهي بخط يابس جميل بدون نقط، كتبت بفسيفساء ذهبية على أرض زرقاء غامقة، والكتابة هي:

(1 ـ له ما في السموت وما في الأرض
2 ـ ابتنى هذه القبة عبدالله الامام
المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه)

(1) المنجد ص 104.
(2) المنجد نفسه.
(3) لوح 28 نقش قبة الصخرة.

(1 ـ هذا السد لعبدالله معوية

2 ـ أمير المؤمنين بنيه عبدالله بن صخر

3 ـ باذن الله لسنة ثمن وخمسين ا

4 ـ للهم اغفر لعبدالله معوية ا

5 ـ مير المؤمنين وثبته وانصره ومتع ا

6 ـ [مير ا][1] لمؤمنين به كتب عمرو بن جناب)

ـ وهناك كتابة ثانية على السد نفسه، ترجع الى العصر الأموي، نشرها مايلز في مقالته السابقة، والكتابة هي:

(1 ـ ان الله وملئكته

2 ـ يصلون علا النبي يايها الذين

3 ـ آمنوا صلوا عليه وسلموا

4 ـ تسليماً وكتب عبدالله بن تامين[2]

5 ـ محمد بن مهرن)

ويلاحظ في كتابة هذا السد أنها كتبت بالخط اليابس، وفيها هندسة وتناسب، أكثر من كتابة جبل سلع، وخط شاهد عبد الرحمن بن خير.

ويلاحظ ظهور النقط فيها، ويظن أنها أقدم كتابة عربية ظهر فيها النقط حتى الآن[3]، وقد حذفت الألف الوسطى من بعض الكلمات كما هو في رسم المصحف، فجاءت الكلمات: (معوية، ثمن، ملئكته، يايها)، بدلا من (معاوية، ثمان، ملائكته، يا أيها)، وكتبت كلمة (على) بالألف الممدودة (علا)، ورسمت حروف الألف مائلة الى اليمين مع ذيل لها في الأسفل متجه نحو اليمين.

2 ـ نقش حفنة الأبيض: (لوح 27)[4]

اكتشفت هذه الكتابة بالقرب من كربلاء في حفنة الأبيض، مؤرخة سنة أربع وستين للهجرة، وهي محفوظة الآن في المتحف العراقي، وقد قرأ عز الدين الصندوق هذه الكتابة على الشكل الآتي[5]:

(1) هذه قراءة مايلز، ويرى المنجد ص 103 إن إضافة (مير) في السطر السادس خطأ، وأن الصواب (للهم) فتكون العبارة: (ومتع اللهم المؤمنين به) وهو اجتهاد راجح.

(2) صواب القراءة (يامين)، اذ ليس من أسماء العرب (تامين)، وإنما يامن ويامين مشتق من اليمن. (القاموس: يمن، والمنجد ص 103).

(3) المنجد ص 101.

(4) لوح 27 حجر حفنة الأبيض مؤرخ سنة 64 هـ.

(5) عز الدين الصندوق: حجر حفنة الأبيض، مجلة سومر م 11 (1955) ص 213 ـ 217.

(1 ـ بسم الله الرحمن الرحيم

2 ـ الله وكبر كبيرا وا

3 ـ لحمد لله كثيراً وسبحن

4 ـ الله بكرة وأصيلا وليلا

5 ـ طويلا اللهم رب

6 ـ جبريل وميكل و ـ اسر

7 ـ فيل اغفر لليث بن زيد

8 ـ الأسعدي ما تقدم من

9 ـ ذنبه وما تأخر ولمن قال

10 ـ آمين آمين رب العلمين

11 ـ وكتب هذا الكتب في

12 ـ شوال من سنة أربع و

13 ـ ستين)

ويرى المنجد: أن كلمة (لليث) في السطر السابع هي (لثبت) لثابت، وكلمة (الأسعدي) في السطر الثامن هي (الأشعري) أي: اغفر لثابت بن زيد الأشعري[1].

ويلاحظ في هذا النقش أن الخط فيه قائم كله، وخال من النقط إلا في كلمتين: (كثيراً) و(كبيراً)، وهي تمثل الخط الكوفي اليابس في القرن الأول الهجري، وخاصة أن النقش ظهر قرب الكوفة، ويلاحظ أن كلمة (سنة) كتبت بتاء مربوطة، على خلاف ما كتب في شاهد ابن خير حيث كتبت بتاء مبسوطة (سنت) على الطريقة النبطية[2].

3 ـ نقش قبة الصخرة: (لوح 28)[3]

وفي قبة الصخرة كتابة على الفسيفساء مؤرخة سنة 72هـ، وهي بخط يابس جميل بدون نقط، كتبت بفسيفساء ذهبية على أرض زرقاء غامقة، والكتابة هي:

(1 ـ له ما في السموت وما في الأرض

2 ـ ابتنى هذه القبة عبدالله الامام

المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه)

(1) المنجد ص 104.

(2) المنجد نفسه.

(3) لوح 28 نقش قبة الصخرة.

ويقول فان برشم[1] إن نوع خطها يشبه كتابات أخرى وجدت منائر للطريق تدل على الأميال، لكنه ليس مثلها، ولعل طبيعة الفسيفساء هي التي أثرت في ذلك، وأنها تشبه خط المصاحف الفخمة المنسوبة الى القرن الأول الهجري. إن كتابة قبة الصخرة كتبت أيام عبد الملك بن مروان الذي بنى قبة الصخرة، ولكن المأمون محا فيها بعد اسم عبد الملك وكتب اسمه هو بدلاً منه، دون أن يبدل التاريخ[2].

ويقول المنجد: وكذلك عبث المأمون بكتابتين أخريين في الصخرة على النحاس (الباب الشرقي والباب الشمالي) وهما من أيام عبد الملك بن مروان ونفس التاريخ السابق، وقد أضاف المأمون اسمه فيهما، وبدّل التاريخ فجعله في الباب الشرقي سنة 216هـ؟. وهذه واحدة مما فعله العباسيون في محو آثار الأمويين والتجني عليهم[3].

وهناك كتابات أخرى من العصر الأموي من زمن عبد الملك وزمن الوليد، من ذلك كتابة عين الجر (عنجر) في العصر الأموي مؤرخة سنة مائة وثلاث وعشرين، وكتابة جبل أسيس سنة ثلاث وتسعين، وكتابة وجدت في مقياس الروض بمصر سنة 97هـ، وكتابات أخرى، على أن أهم هذه الكتابات المتميزة بخطها المدور المختلف عن الخط اليابس، هي كتابة قصر خرانة.

4 ـ كتابة قصر خرانة:

وفيه كتابتان، وهما من نوع (الغرافيت) الأولى مؤرخة سنة 92هـ كتبها عبد الملك بن عبيد، والثانية وهي الأهم كتبت في السنة نفسها 92هـ، وقد قرأتها نبيهة عبود[4] ونصها هو: (لوح 29)[5].

(1 ـ اللهم ارحم عبد الملك بن عمر واغفر له
2 ـ ذنبه ما تقدم منه وما تأخر من ما أسر وما أعلن
3 ـ وما أحد كان من نفسه قابل لك ألا تغفر له وترحمه
4 ـ اذا آمن آمنت بربي فمن علي أنت المنان وترحم
5 ـ علـ[ـي] فانك أنت الرحمن اللهم انى أسئلك أن
6 ـ تقبل منه [صـ]ـلاته وهيابته آمين رب العلمين رب
7 ـ موسى وهرون رحم الله من قرأه ثم قال آمين آمين رب

(1) فان برشم: ..Van Berchem: CIA, Jerusalem II, P.P. 231-233.
(2) فان برشم السابق ص 236 ـ 237. Van Berchem: o. p. cit. P.P. 236-237.
(3) المنجد ص 106.
(4) نبيهة عبود:
Abbott: The Kasr Khara'na Inscriptions of 92 H. Vols XI-XII P. 190..
(5) لوح 29 كتابة من قصر خرانة مؤرخة سنة 92 هـ.

8 ـ العـ[ـلـمـ]ـين العزيز الحكيم وكتب عبد الملك بن عمر يوم
9 ـ الاثنين لثلث بقين من المحرم من سنة اثنين وتسعين
10 ـ شـ[ـهد] لام بن هرون واسرح بنا أن نجتمع بنبي ونبيه في الدنيا
11 ـ والآخرة)

يلاحظ في هذه الكتابة أنها بخط مدور، خالية من الصنعة، وفيها خصائص الكتابة النبطية من حذف الألف الوسطى (العلمين) بدلاً من (العالمين). ومما يلاحظ في صفات النقوش الحجرية بعامة في العصر الأموي أنها تتميز بالآتي[1]:

1 ـ محافظته على الخط اليابس البسيط حتى أواخر العصر الأموي.
2 ـ ظهور التدوير في بعض الحروف، في بعض الكتابات الحجرية في أواخر العصر الأموي.
3 ـ وجود النقط فيه في كتابات الحجاز، وخلوه من النقط في كتابات الشام، عدا بعض استثناءات.
4 ـ ظهور بعض النقط في الكتابات الحجرية قرب الكوفة.
5 ـ ظهور الخط الموزون المتناسب الذي تبدو فيه الدقة والصنعة.
6 ـ ما وصل إلينا من الكتابات الحجرية يدل على أن بعض الحروف كان له أشكال مختلفة في الكتابة، وليس شكلاً واحداً، من هذه الحروف: الألف، والميم، والهاء، والياء الأخيرة.
7 ـ النصوص التي ظهر فيها الخط اليابس حتى نهاية العصر الأموي هي شواهد القبور أو نصوص رسمية وضعها الخلفاء لعمارات الأبنية وأميال الطريق، وفي هذه الموضوعات ظل الخط الكوفي اليابس، أو أنواع أخرى منه، هو المرجح للكتابة، مدة قرون طويلة بعد ذلك.

كتابات أخرى:

ووصلت كتابات أخرى على غير الحجر، من أهم ذلك النقود، وما وصل منها كثير، منها النقود البيزنطية العربية، ومنها النقود العربية الصرف التي بدأ بضربها عبد الملك بن مروان سنة 76هـ، وهي نقود ذهبية وفضية ضربت في دمشق والعراق وخراسان وجند يسابور والأهواز وكرمان والكوفة وهراة وواسط وطبرستان[2]، ومما يقلل الفائدة في دراسة الخط من خلال هذه النقود أن كتابتها قليلة ومتشابهة، فعلى الوجه نص واحد هو **﴿لا إله إلا الله وحده لا شريك له﴾**، وعلى الظهر **﴿الله أحد الله**

(1) لخصها المنجد ص 114.
(2) هناك مجموعة من الباحثين اهتموا بالنقود الإسلامية يرجع إليهم في هذا الموضوع، منهم:

الصمد لم يلد ولم يولـد ولم يكن له كفواً أحد﴾، وعلى هامش الوجه تـاريخ ضرب الدينار أو الدرهم، وعلى هـامش الظهـر **﴿محمـد رسول الله أرسلـه بـالهدى ودين الحق ليظهره على الـدين كلـه ولو كـره المشركون﴾**.

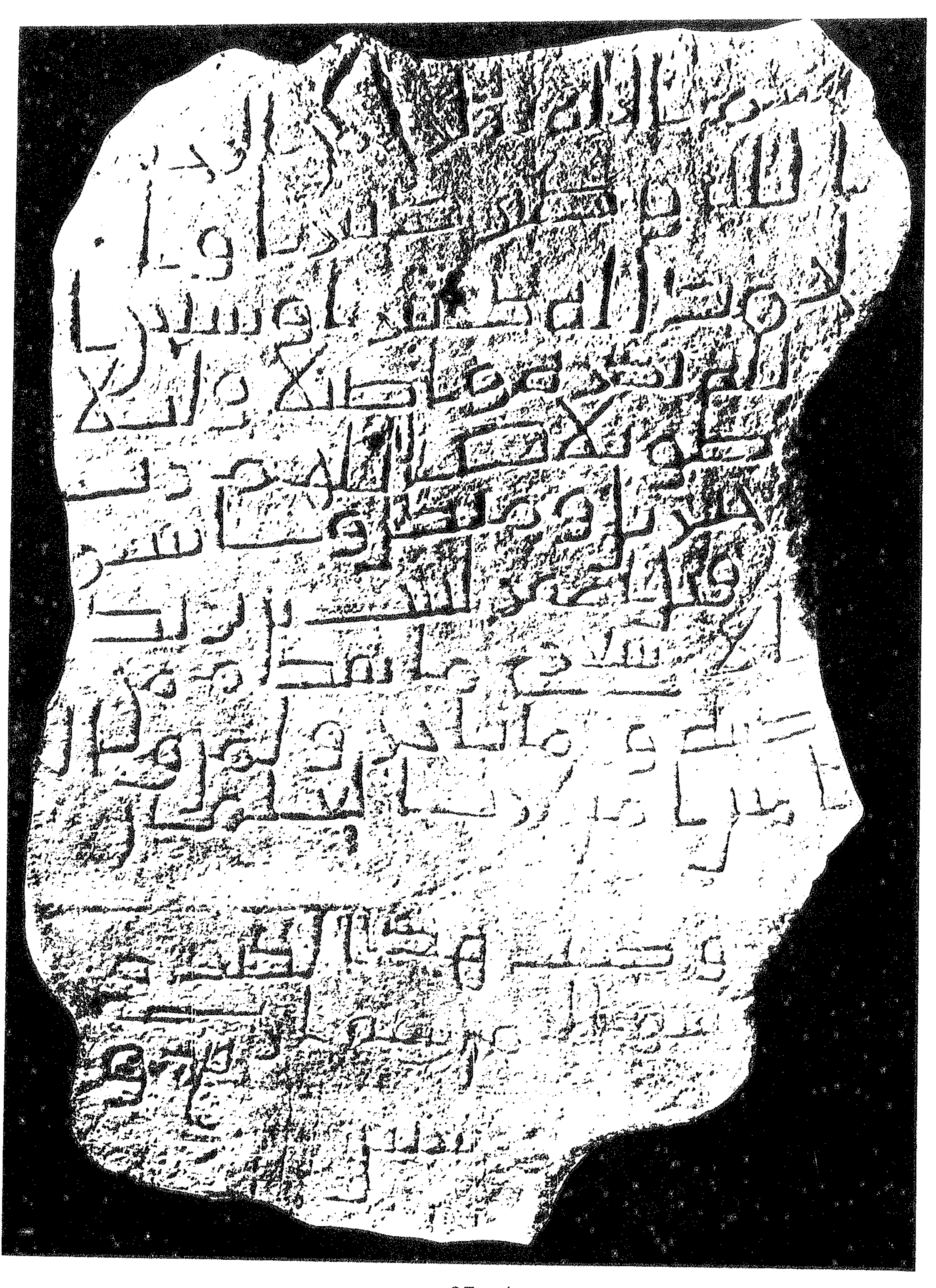
وقد كتب خط النقود بالخط الكوفي المستقيم، وأن الدنانير التي ضربت بعد تعريب السكة أتقن حروفاً من التي ضربت قبل ذلك، وقد ظل الخط الـذي استعمل للنقود في العصر الأموي محافظاً على أسلوب واحد من حيث أشكال الحروف[1].

وهنـاك كتابـات أخرى ظهـرت على البردي والمصـابيح والنسيج والموازين وعيارات النقـود، لا يختلف خطها كثيراً عن خط النقوش والمسكوكات.

= النقشبندي: الدينار الإسلامي في المتحف العراقي، بغداد 1953، والدرهم الأموي، مجلة سومر م 14، 1956.
عبد الرزاق فهمي: فجر السكة العربية، متحف الفن الإسلامي، القاهرة 1965.
محمد باقر الحسيني: تطور النقود العربية الإسلامية، بغداد 1969.
ناجي معروف: العملة والنقود البغدادية، بغداد 1967.
أبو الفرج العش: الكنز الذهبي الأموي، الحوليات الأثرية السورية م 4 ـ 5 (54 ـ 1955).
وينظر: مجلة المسكوكات التي يصدرها المتحف العراقي.

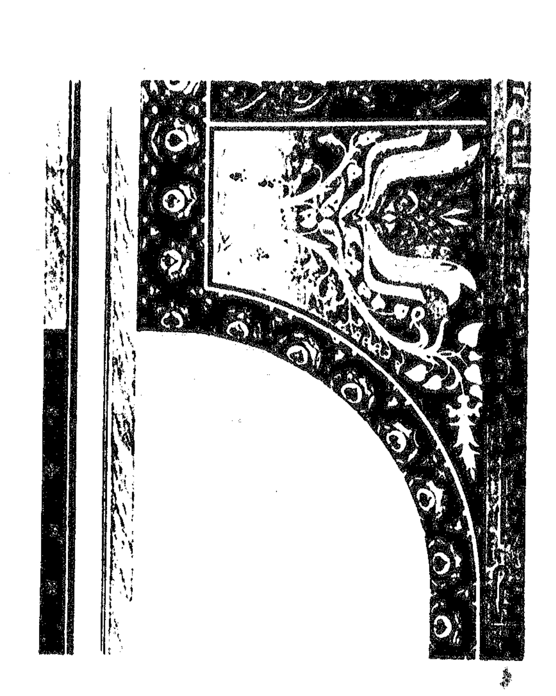
(1) المنجد ص 120.

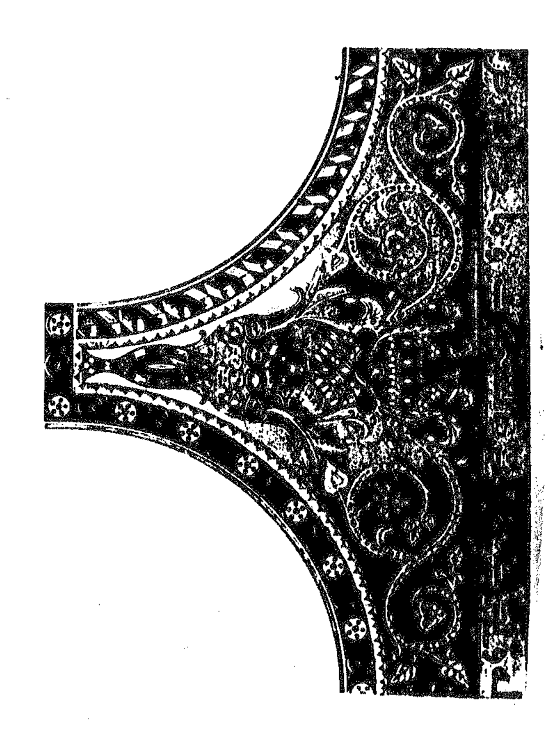
لوح 26
كتابة سد معاوية مؤرخة سنة 58هـ

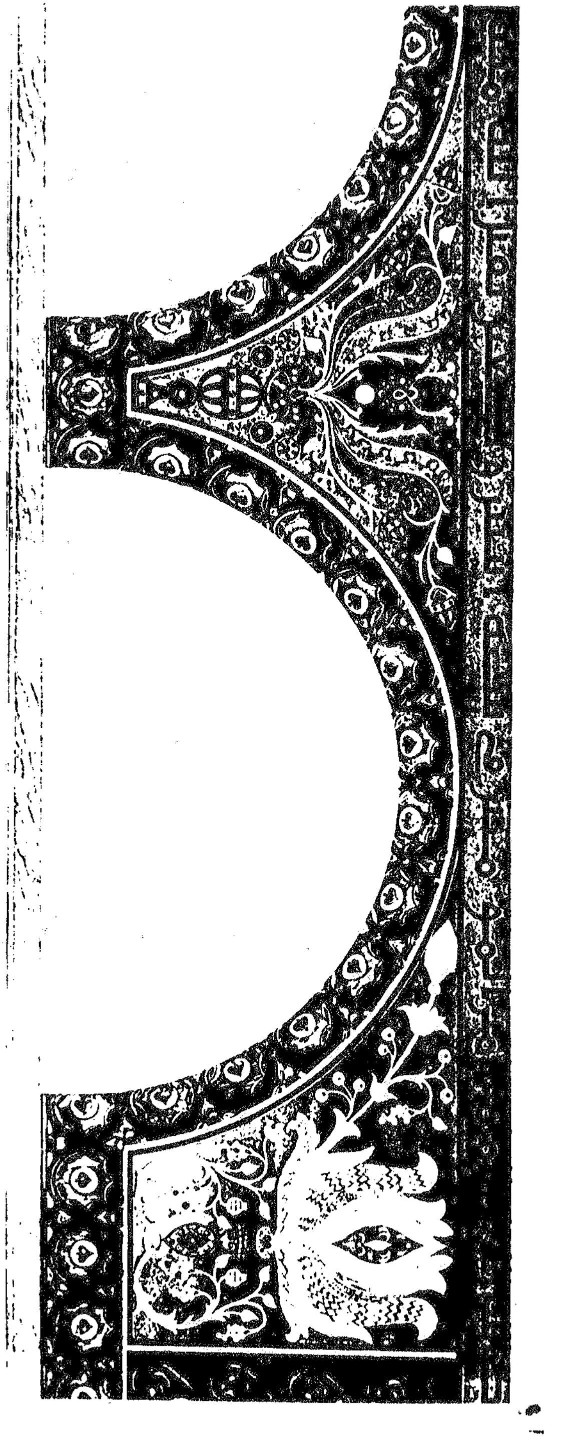


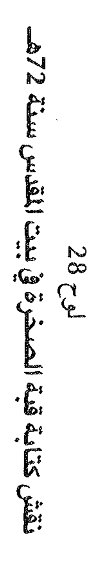
لوح 27

حجر حفنة الأبيض مؤرخ سنة 64هـ



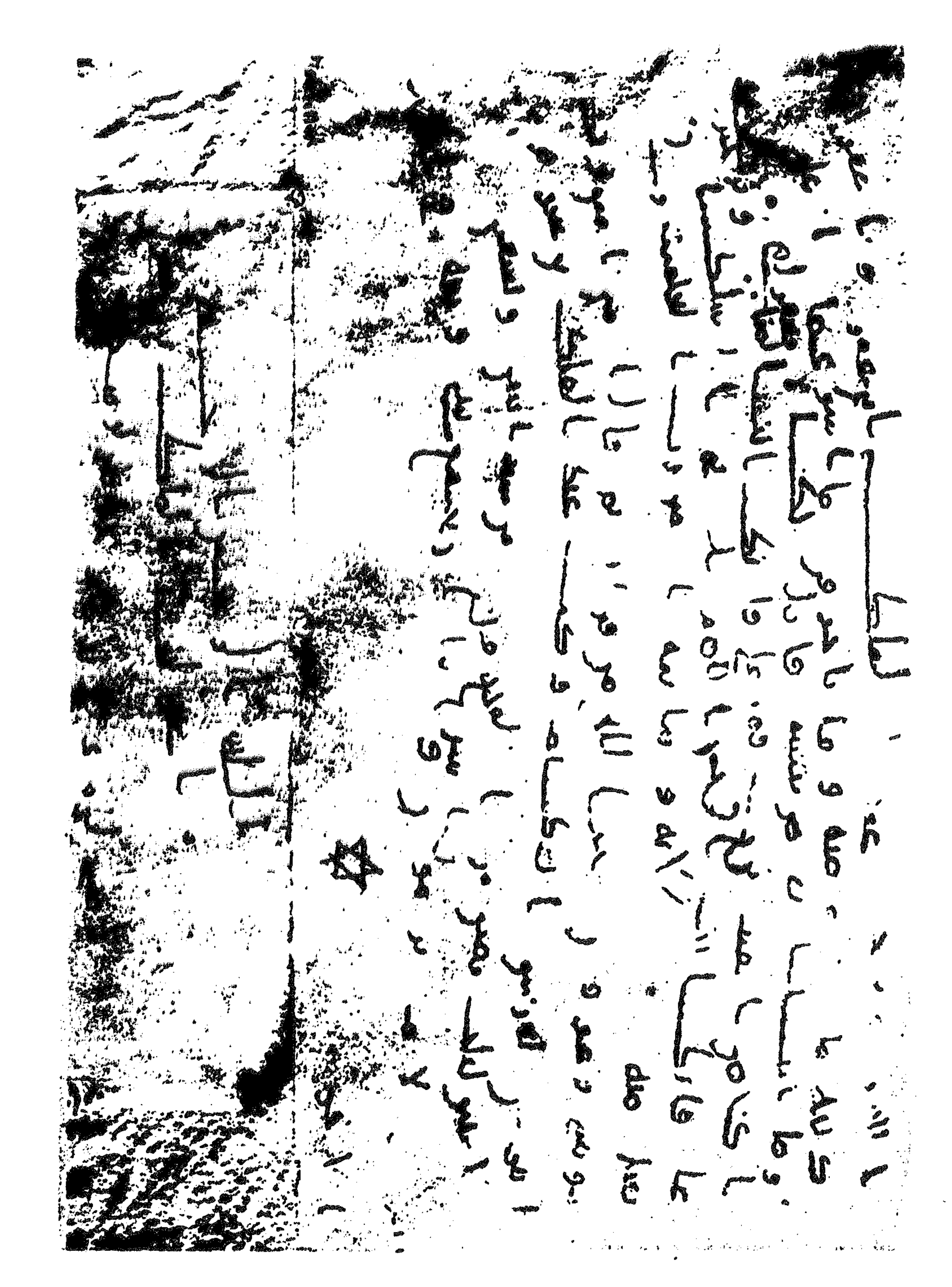


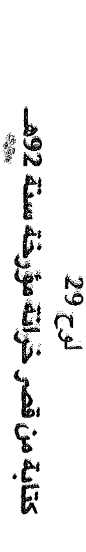




لوح 28

نقش كتابة قبة الصخرة في بيت المقدس سنة 72هـ





لوح 29
كتابة من قصر خزانة مؤرخة سنة 92هـ

ثانياً ـ المصاحف:

إن المصاحف التي وصلت من العصر الأموي كثيرة، سواء ما وصل مجموعاً، أو ورقات من مصحف، ونقف عند أهم هذه المصاحف.

1 ـ مصحف عقبة بن عامر:

من أقدم المصاحف التي وصلت من العصر الأموي، هو مصحف كتبه عقبة بن عامر، كتب سنة 52هـ (لوح 30) [1]، وهو محفوظ الآن في مكتبة طوب قبو (أمانة) رقم 40، وقد أضيف اسم الكاتب والتاريخ فيما بعد، والخط أندلسي مشكول على طريقة الخليل بن أحمد ضمة وفتحة وشدة بالأزرق، والنقاط بالأحمر، وفي نهايات الآيات علامات مستديرة مزخرفة، وفيه دوائر هندسية مزخرفة أيضاً للأرباع والأخماس والأجزاء. ويبدو أن هذا المصحف كتب بتاريخ متأخر عن التاريخ المذكور[2].

2 ـ مصحف حديج بن معاوية: (لوح 31)[3]

أما مصحف حديج بن معاوية بن مسلمة الأنصاري، فقد كتبه سنة تسع وأربعين من الهجرة، كتبه للأمير المستجاب له عقبة بن نافع الفهري [4]، فيه شكل بالأحمر، وفيه نقط، وقد جعل حول ورقاته إطار من الذهب عرضه 30,1سم، وخطه أقرب الى الخط النسخي المدور منه الى الخط الكوفي، وكتبت رؤوس السور بالخط الكوفي اليابس. وهو محفوظ الآن في مكتبة طوب قبو (أمانة) رقم 44.

وهناك في المتاحف أوراق كثيرة من مصاحف يظن أنها من العصر الأموي، وليس بها تاريخ، ولكن لا دليل على ذلك [5]، ويحسن أن نذكر المصاحف المنسوبة الى أعلام مشهورين في هذا العصر، ولعل أبرزهم الأئمة: الحسن والحسين وزين العابدين.

3 ـ مصحف الحسن بن علي: (لوح 32)[6]

في مكتبة الإمام الرضا في مشهد ثلاثة مصاحف تنسب الى الأئمة، أولها مصحف الحسن بن

(1) لوح 30 ورقة من المصحف المنسوب الى عقبة بن عامر كتب سنة 52 هـ.
(2) المنجد ص 83.
(3) لوح 31 ورقة من مصحف حديج بن معاوية.
(4) باني مدينة القيروان وقد قتل سنة 63 هـ.
(5) انظر المصاحف التي أشار إليها المنجد ص 83 ـ 91.
(6) لوح 32 ورقة من المصحف المنسوب الى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب.

علي بن أبي طالب، وهـو مصحف غير كامل، يبـدأ من الآية 27 من سورة يـاسين قولـه تعالى: **﴿بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾** وينتهي بالآية 45 من سورة فصلت قوله تعالى: **﴿وانهم لفي شك منه مريب﴾**، وفي الورقة الأولى: (كتبه حسن ابن علي ابن أبي طالب في سنة أحدى (؟) أربعين) [1]. على بعض الحروف علامات الاعراب، عدد الأوراق 124 ورقة، في الصفحة سبعة سطور، ويظن أن هذا المصحف من أواخر القرن الثاني أو الثالث، وليس من القرن الأول [2].

4 ـ مصحف الحسين بن علي: (لوح 33)[3]

وفي مكتبة الـرضا نفسهـا مصحف آخر رقمـه 14 منسوب للحسين بن علي بن أبي طـالب، في الورقـة الأولى: (كتبه حسين ابن علي)، أوله الآية 82 من سورة الكهف، قولـه تعالى: **﴿ربك، وما فعلته عن أمـري ذلك تأويل مـا لم تسطع عليه صبراً﴾**، وآخره الآيـة 135 من سورة طه، قولـه تعالى: **﴿من أصحـاب الصراط السـوي ومن اهتـدى﴾**، فيـه حركـات الاعـراب، عـدد أوراقه 41 قيـاس 16×5، 8×10 سم، في الصحيفـة سبعة سطـور، ويظن أنـه من القـرن الثاني، ومتـأخر عن القـرن الأول[4].

5 ـ مصحف زين العابدين: (لوح 34)[5]

وفي المكتبة السـابقة نفسها مصحف منسوب لعلي بن الحسين بن علي بن أبي طـالب، رقمه 15 ناقص الأول، آخـره: (. . . كتبه المنتظر بوعـده علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب)، والمصحف من القرن الثالث، فيه حركات الاعراب مع النقط، في الصحيفة 16 سطراً[6].

وتنسب للأئمة السابقين مصاحف كثيرة في المكتبات الاسلامية، وهي متأخرة عن عصرهم.

---

(1) بإثبات ألف (ابن) مرتين.

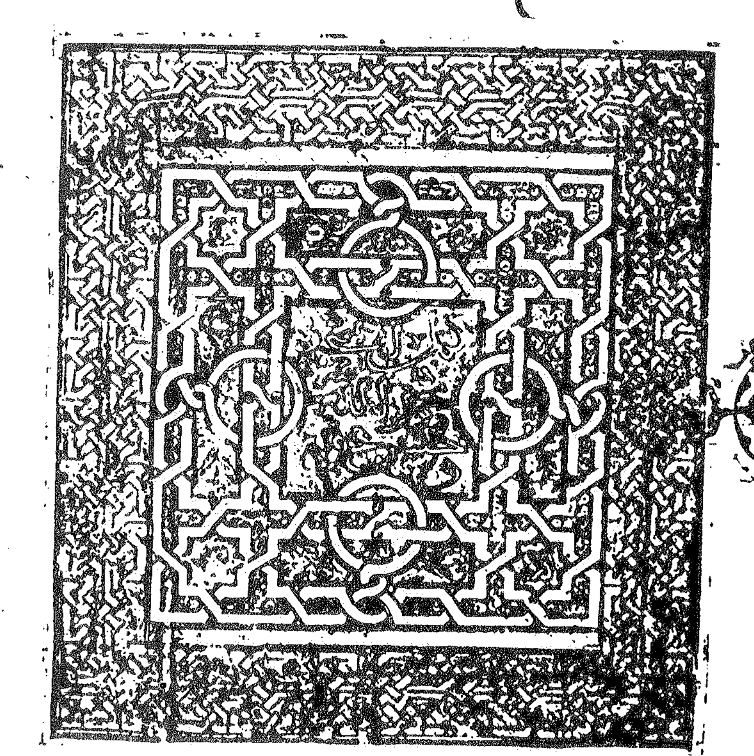
(2) أحمد كلجين: معاني راهنهاي ص 8 عن المنجد ص 96.

(3) لوح 33 ورقة من المصحف المنسوب الى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب.

(4) أحمد كلجين: السابق ص 8، 13.

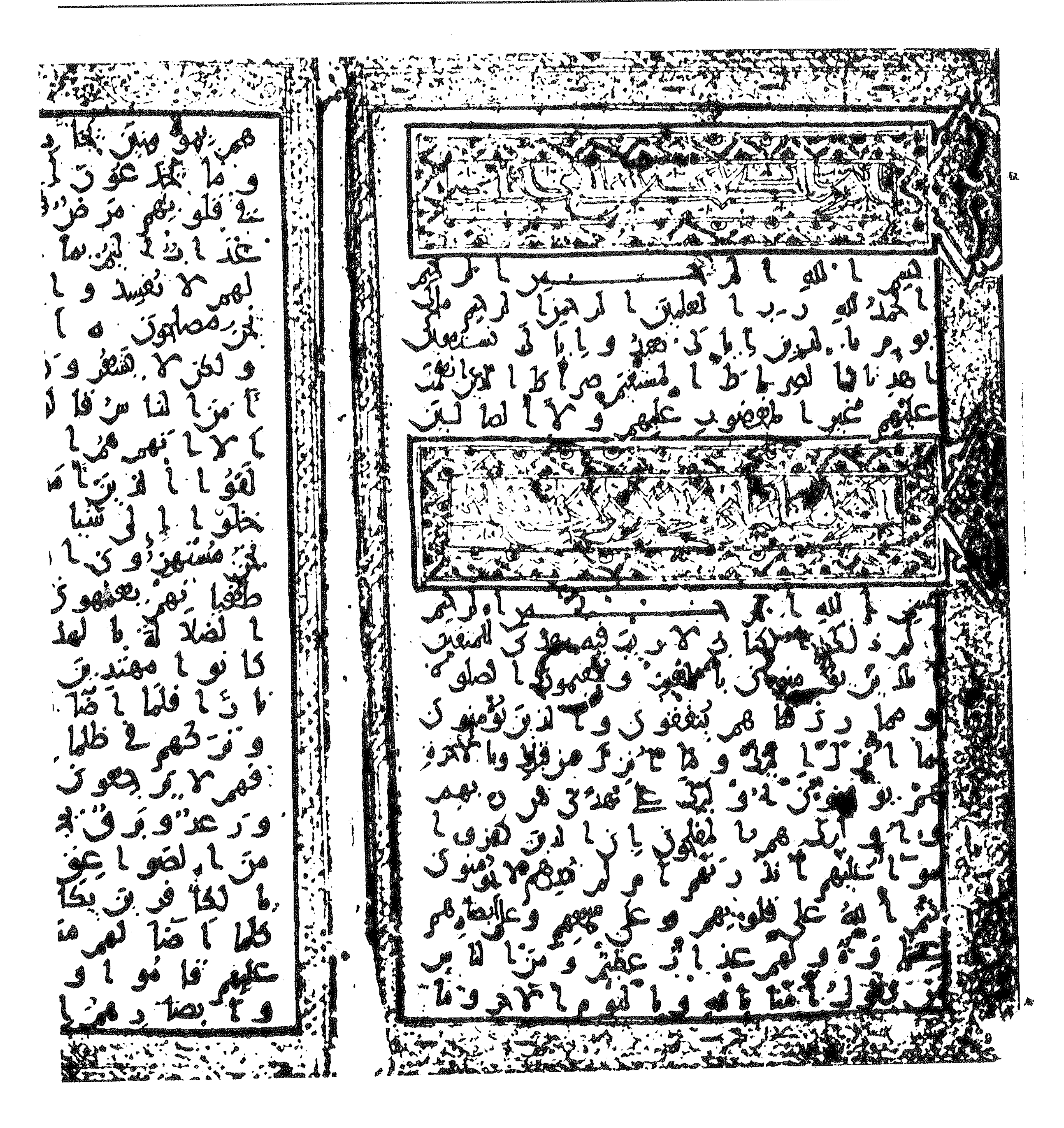
(5) لوح 34 ورقتان من المصحف المنسوب الى الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(6) أحمد كلجين: معاني راهنهاي ص 13، 14، والمنجد ص 96.



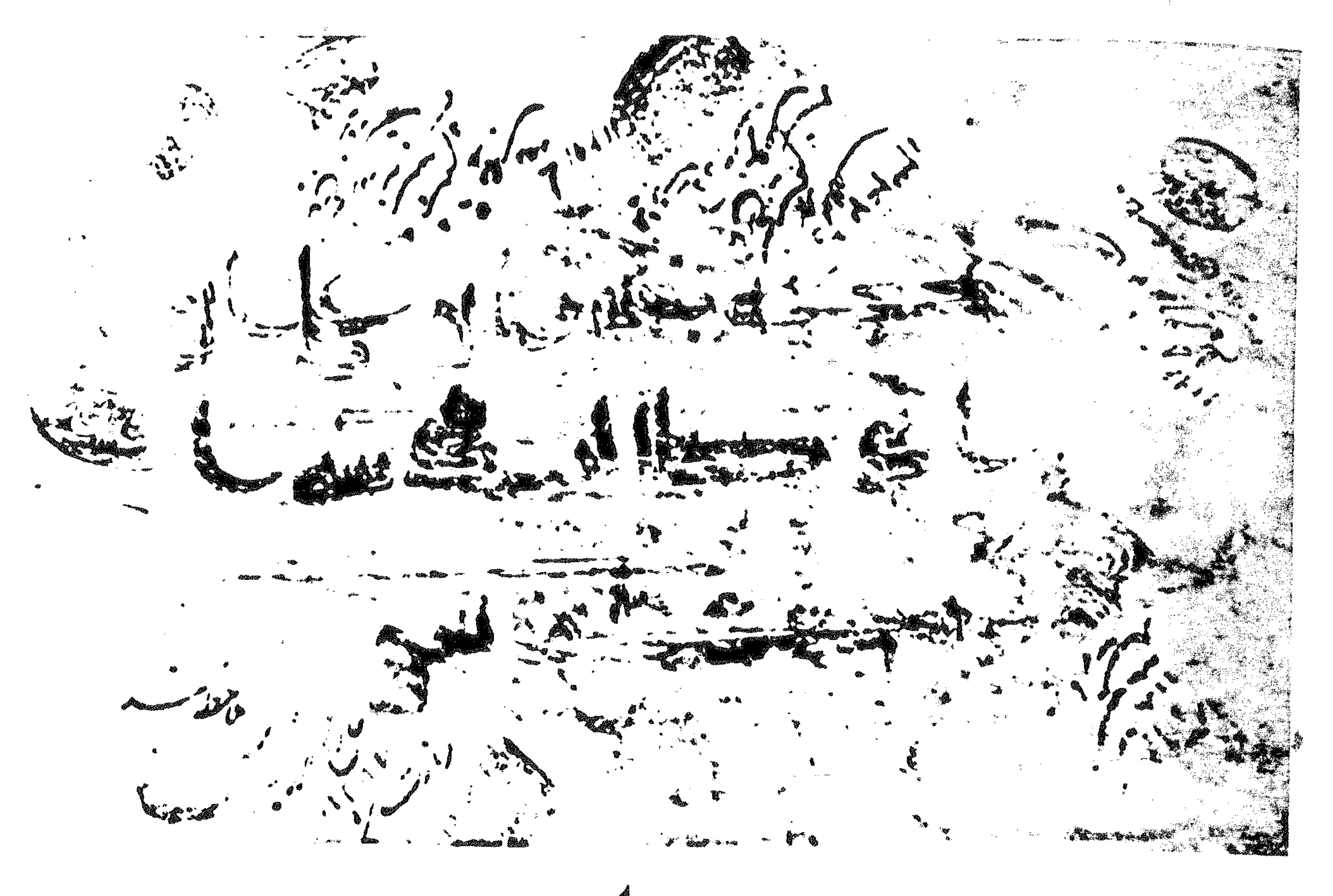
لوح 30

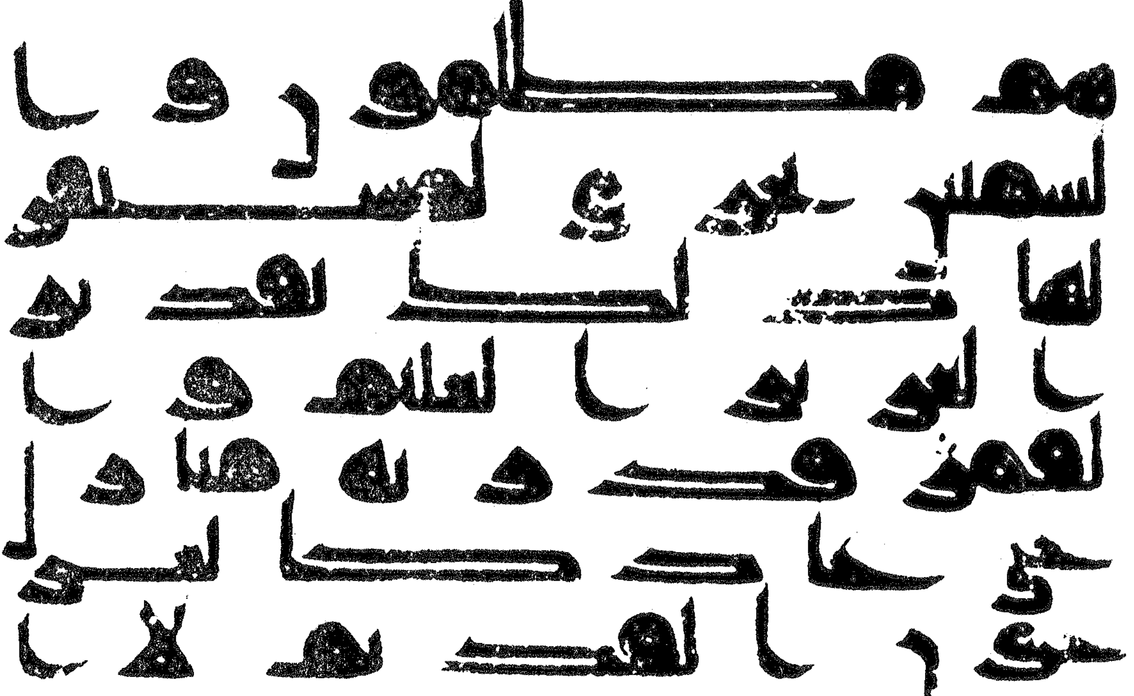
مصحف عقبة بن عامر



لوح 31

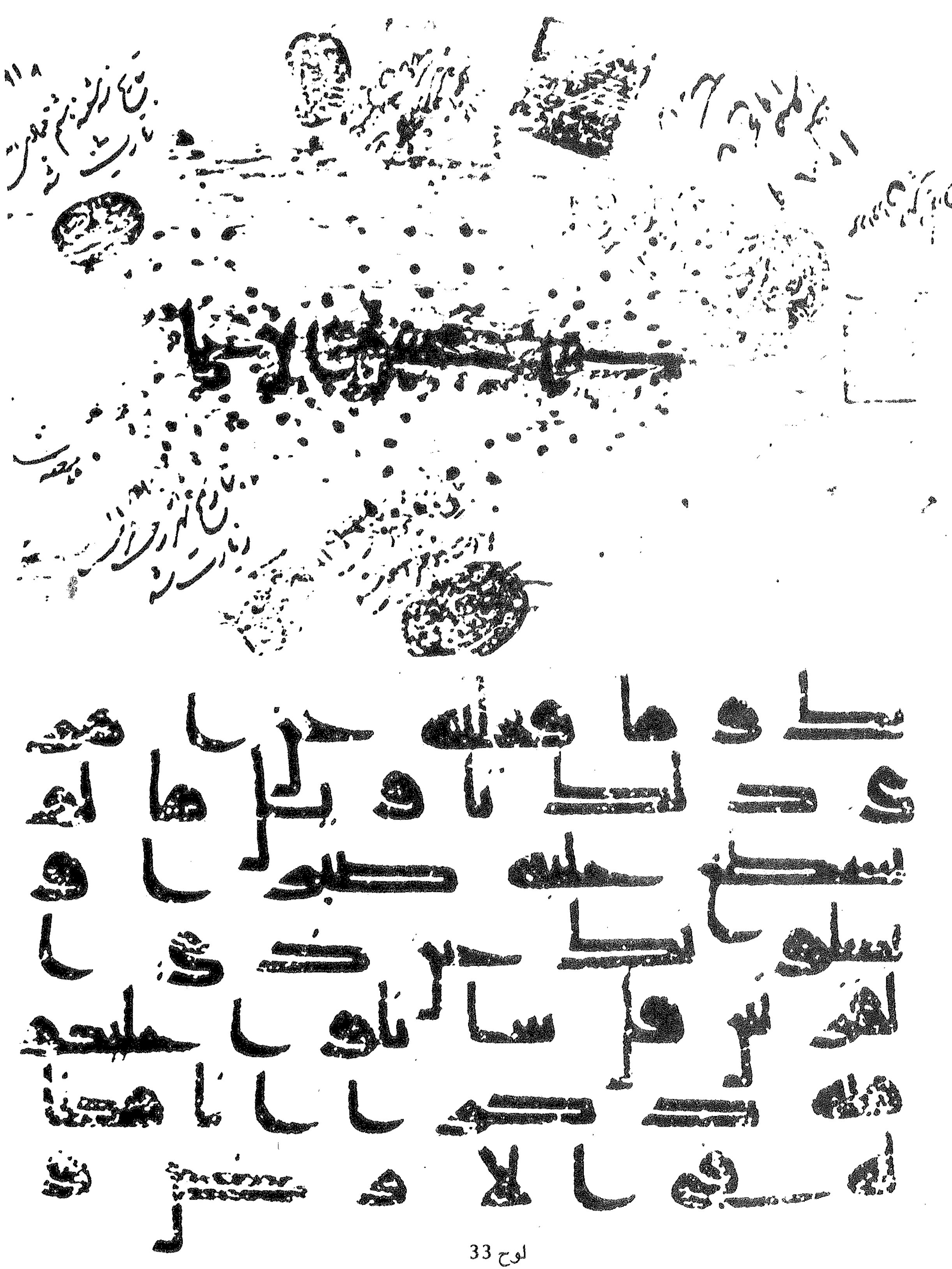
مصحف حديج بن معاوية





لوح 32

مصحف الحسن بن علي بن أبي طالب



لوح 33
مصحف الحسين بن علي بن أبي طالب

لوح 34
مصحف زين العابدين

صفات الخط الأموي

ان الخط في هذا العصر جاء موحداً، بالنسبة لخصائص الكتابة الأساسية، سواء ما كتب على الحجر أو النقود أو النسيج أو غيرها من المواد، وإن كانت هناك عوامل جانبية قد تؤثر على أداء الحرف، من حيث ليونته ويبوسته من جهة، ومن حيث رداءة أدائه وجودته من جهة أخرى، كالمادة التي يكتب عليها، وشخصية الكاتب، وحالته النفسية والثقافية والاجتماعية[1].

ومما يدل على تقدم ورقي الخط في العصر الأموي عما كان عليه في صدر الإسلام والعصر الجاهلي، أن الخط الأموي من خلال الكتابات الأموية التي وصلت من المواد المختلفة، بدأ بمراعاة المسافات بين الكلمات وبين الأسطر بشكل جيد، وكذلك مراعاة المسافة بين الحرف والحرف الآخر الذي يليه، مع الاهتمام في منح كل حرف نصيبه المعقول من الطول والقصر أو الدقة والغلظ، مما أدى الى انتظام السطور وتساوي المسافات[2].

وظهرت في الكتابة مدات في بعض الحروف أضافت الى الكتابة حسناً وتفخيماً[3] من جهة، وحافظت على جمال شكل السطر من جهة أخرى، ومد الحروف في الكتابة يسمى (المشق)[4]، وكان معروفاً منذ القديم، فيقال إن أهل الأنبار كانت تكتب بالمشق[5].

إن الكتابات القديمة بعامة امتازت بالخط اليابس، ونتيجة لانتشار الكتابة في هذا العصر ظهرت الحاجة الى الميل الى الليونة نتيجة للسرعة في الكتابة، وخاصة في المراسلات والعقود وغيرها من الكتابات التي لا تتطلب عناية كبيرة في التجويد والتأني. أما الكتابات التي تتطلب العناية والتروي والتأنق، فتميل نحو اليبوسة، وخاصة تلك التي تكتب على مواد صلبة، كنقوش العمائر والكتابات الحجرية، وقد شاع منذ القديم هذان المصطلحان: اليبوسة والليونة، فما الفرق بينهما؟

يراد باليبوسة أو بالخط اليابس عدة معان، منها الحروف المبسوطة[6]، أو التي تتصف بالتربيع[7]، أو الخط ذو الزوايا أو الخط المزوّى، أو الخط الجاف[8].

(1) كروهمان: Grohmann: Arabische Paläographie, Tell 11 P. 70, 72 -73
(2) الجبوري ص 135.
(3) القلقشندي: صبح 3/ 144 ـ 149.
(4) اللسان والتاج: مشق.
(5) القلقشندي 3/ 144.
(6) القلقشندي: 3/ 15.
(7) إبراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابة الكوفية ص 52.
(8) عبد العزيز مرزوق: المصحف الشريف دراسة تاريخية فنية، مجلة المجمع العراقي 1970 ص 10.

ويراد بالليونة: أن تكون الحروف مقوّرة[1]، أو التي تتصف بالتدوير[2]، ومن الملاحظ أن الميل الى ليونة الحروف اليابسة بدأ يزداد وبصورة عفوية منذ صدر الاسلام، نتيجة لازدياد الحاجة الى الكتابة التي تتطلب السرعة ولا تتطلب مهارة كبيرة، ككتابة المراسلات والعقود، ويظن أن ليونة بعض الحروف اليابسة في الكتابة كان سبباً في ظهور (قلم النسخ)، وخاصة أن بعض الحروف اليابسة قد تطورت في أشكالها بالاضافة الى ميلها الى الليونة، وأصبحت صورها اللينة الجديدة، الأشكال الرسمية لتلك الحروف منذ العصر الأموي، وقد ظهر أن بعض الخطاطين كان اهتمامهم ضبط الخط العربي ووضع قواعد وأصول ثابتة في رسم أشكال حروفه، ويعتبر (الأحول المحرر) الذي عاش في القرن الثاني أول من اهتم بهذا الأمر، فجعل للحروف اللينة قلماً خاصاً سماه (قلم النساخ)[3]، أي أن تطور الخط وظهور أقلام جديدة كان قبل ابن مقلة، وذلك ما يقرره القلقشندي في قوله: «إن الكثير من كتاب زماننا يزعمون أن الوزير أبا علي بن مقلة هو أول من ابتدع ذلك، وهو غلط، فإنا نجد الكتب بخط الأولين فيما قبل المائتين ما ليس على صورة الكوفي، بل تغير عنه الى نحو هذه الأوضاع المستقرة، وإن كان هو الى الكوفي أميل، لقربه من نقله عنه»[4]، وسنعود لهذا الموضوع عند الحديث عن الأقلام وأنواع الخطوط في موضعه.

مع ازدهار الحضارة الإسلامية توجه المسلمون الى العناية بالخط وتجويده، وكان لكتابة المصاحف أثر كبير في ذلك، حتى رووا في حسن الخط وتحسينه أحاديث، وسواء أصحت تلك الأحاديث أم لم تصح، فإنها تعبر عن عناية الناس ورغبتهم في الكتابة، وارتقاء أذواقهم وحسهم الفني، فمما روي من ذلك قوله: «من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فحسنه أحسن الله اليه»[5]، وعن وهب قال: «إن رجلاً كتب بسم الله الرحمن الرحيم فأحسن تمطيطه وتخطيطه فغفر الله له»[6]، وروي أيضاً عن علي بن أبي طالب قوله: «الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً»[7]. فكان من أثر ذلك أن أصبح للكتاب والخطاطين مكانة كبيرة.

وقد ظهر في هذا العصر الأموي كاتب ابتدع أربعة أقلام هو (قطبة المحرر)، وصفه ابن النديم

(1) القلقشندي: صبح 3/ 15.
(2) إبراهيم جمعة: السابق ص 52.
(3) ابن النديم: الفهرست ص 8 ـ 9.
(4) القلقشندي: السابق 3/ 15.
(5) الزبيدي: حكمة الاشراق الى كتاب الآفاق، نوادر المخطوطات رقم 20 ص 66.
(6) التوحيدي: ثلاث رسائل ص 38.
(7) القلقشندي: صبح 3/ 24.

بأنه كـان أكتب الناس على الأرض بالعـربية[1]، ويعـد قطبة هـذا أول شخص أبدع في الخط العـربي وطوره، وجـاء بعده سلسلة كبيرة من الخطـاطين، وإن كانت المعلـومات عنه قليلـة، ولم يصلنا أي نموذج من خطه، ويذكر القلقشندي من هـذه الأقلام التي ابتدعها: الجليل والطومار[2]، ويقال إن هذه الأقلام هي: الجليل، والطومار، والثلث، والنصف[3].

كان الخلفـاء الأمويون يكتبون رسـائلهم بقلم الطومار، ويقال إن أول من اتخذه قلماً رسمياً هو معاوية بن أبي سفيـان، لأنه أول من وضع رسوم الملك[4]، ويذهب الجهشياري الى أن الـوليد بن عبد الملك هو أول من كتب من الخلفاء في الطوامير، وأمـر أن تعظم كتبه ويجلل الخط الذي يكاتب به[5]، ويقول: «تكون كتبي وكتب الناس اليَّ خلاف كتب الناس بعضهم الى بعض»[6]، هذا على خلاف ما كان عليه عمر بن عبد العزيز، فقد كان يكره استعمال الطوامير، وكانت كتبه شبراً أو نحوه، وكان أبو بكـر بن حزم عـاملـه على المدينـة قد طلب منه قـراطيس، فكتب اليه عمـر: «دقق القلـم، وأوجـز الكتاب، فإنـه أسرع للفهم»[7]، وهـو في هذا على سنـة علي بن أبي طـالب الذي كـان يقـول لكاتبـه عبيدالله بن أبي رافع: «فرِّج بين السطور وقرمط بين الحروف»[8].

وللطومار ورق خـاص، فلا يكتب في الطومار إلا بقلـم الطومار[9]، وقلم الطومار الكوفي ـ كما وصفه ابن مقلة: «قلم مبسوط، ليس فيه شيء مستدير» أي أن حروفه كلها خطوط قائمة وأفقية، وهو الذي سمي بـالكوفي اليـابس، وسمي (المحقَّق) في العصر العباسي[10]، ومما يـؤسف له أنـه لم تصلنا كتابات من العصر الأموي على الطومار.

لقد مر الخط الكوفي بـالشام في مراحل تطور، فظهر ما يعرف بـ(الخط الشـامي)، وقد ذكر هذا

(1) الفهرست ص 10 ط أوروبا، وص 16 ط مصر.
(2) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 12.
(3) هوار: Huart, C: Calligirphes. P. 12. والمنجد ص 81.
(4) القلقشندي: صبح 3/ 49.
(5) الخط الجليل: الخط العظيم.
(6) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص 47.
(7) الجهشياري ص 53.
(8) الجهشياري ص 23، والقرمطة: الدقة في الكتابة والتقريب بين الحروف.
(9) القلقشندي 3/ 49.
(10) القلقشندي 3/ 38، 3/ 22.

الخط أبو حيان على أنه من طرائق الخط الكوفي[1]. وظهرت في الأقاليم طرق جديدة من الخط الكوفي، فمنذ افتتـاح مصر سنة 22هـ، انتقل إليهـا الخط المدني، وتعد بردية سنة 22هـ (لـوح 20) نموذج الخط المصري، ثم انتقل الخط الشـامي مع الفـاتحين فظهـر في القيروان الخط القيرواني، بعـد أن أنشأ نافع بن عقبة مدينة القيروان سنة 50هـ[2].

أما الخط البغدادي والعراقي فلم يظهر إلا في منتصف القـرن الثاني، بعد تأسيس بغداد وانتقال المنصـور إليها سنـة 146هــ. وظهر الخط الأنـدلسي بعد دخـول عبـد الرحمن الـداخل قـرطبة سنـة 139هـ، أي بعد سقوط الدولة الأموية.

وقـد عرف في العصر الأمـوي كتّاب تقـدموا بـالخط خطوات نحـو التطور، ولكن لم يصلنـا من كتابـاتهم شيء يذكـر، وأول هؤلاء الكتـاب الذين اشتهروا بجـودة الخط هو قطبـة المحرر المتـوفى سنة 154هـ الذي وصف بأنه كـان أكتب الناس على الأرض بالعربية[3]، ثم مالك بن دينـار (المتوفى سنة 130هـ) الذي كان يكتب المصاحف بالأجرة[4]، وخالد بن أبي الهياج في زمن الـوليد بن عبد الملك، الذي كان يكتب المصـاحف والشعر والأخبار للوليـد بن عبد الملك، وكان يتأنق في كتـابة المصاحف ويذهّبها، وقد كتب في قبلـة مسجد النبي ﷺ في المدينة من: ﴿والشمس وضحاها﴾ الى آخر القرآن بالذهب، وقـد رأى ابن النديم في القرن الرابـع مصحفاً بخطه[5]. وكذلك شعيب بـن حمزة الكاتب (المتوفى سنة 162هـ) الذي اشتهر بأناقـة خطه، وكان يكتب للخليفة هشام بن عبد الملك شيئاً كثيراً بإملاء المحـدّث الزهري (توفي سنة 124هــ)، وقد رأى أحمد بن حنبل (توفي سنـة 241هـ) في القرن الثالث كتابات شعيب هذا فوصفها بأنها: «مضبوطة مقيدة»[6].

(1) أبو حيان: رسالة في الكتابة ص 29 ـ 30.
(2) أبو حيان ص 29 ـ 30، ابن خلدون: المقدمة ص 420.
(3) ابن النديم: الفهرست ص 10، وانظر أسماء كتاب خلفاء الدولة الأموية في الوزراء والكتاب ص 24 ـ 27.
(4) ابن النديم ص 10، الذهبي: تذكرة الحفاظ 1/ 159.
(5) الفهرست ص 9 ـ 10.
(6) الذهبي: تذكرة الحفاظ 1/ 221، وانظر المنجد ص 82.

الشكل والاعجام

كانت الكتابة في عـامتها خالية من الشكل والإعجام قبل العصر الأموي، وكـانت الذاكرة هي عماد الثقافة والتحصيل، وبقيت كذلك في كثير من العلوم ردحاً من الزمن، فلما كثرت الكتابة وزادت الحاجة إليها، صار الاعتماد على الكتابة وضعفت الذاكرة بكثرة التقييد.

وفي العصر الأمـوي كثـرت الفتـوح، ودخل في الإسـلام أمـم من فـرس وروم وحبش وهنـود، فاختلطت الألسنة وشاع اللحن وكثر التصحيف والتحريف، وشمل اللحن والتصحيف كتاب الله، فكـانت الحاجة الى ضـوابط لتقييـد القراءة وإزالـة اللبس والـوهم والخطأ[1]، والمراد بالشكـل إدخال حـركات الإعـراب على الحروف من ضم وفتح و كسر وسكـون، أمـا الاعجام فهـو وضع النقـاط على الحروف، وبالنقط تتميـز الحروف المتشابهة في الصـورة كالبـاء والتاء والثـاء والياء والجيم والحاء والخاء وغيرها.

الشـــــكل:

يراد بالشكل إزالة الإشكال، أي عـدم الوقوع في اللحن عند القراءة[2]، والشكل تقييد الحروف بالحركات[3]، وأخـذ لفظ (الشكل) من شكـل الـدابة، أي شـد قوائمهـا بـالشِّكال، وهـو الحبل أو العقال[4]، تضبط الحروف بالشكل لئلا يلتبس إعرابها، كما تضبط بالشكال فيمنعها من الهروب[5].

لم يكن الشكل أول ما دخل على الحرف العربي، فقد ظهـر في لغات أخرى في وقت سابق، فقد ظهر في السريـانية، والعبريـة، وقد استعمل السريان الشكل في لغتهم بعـد ما دخلـوا في النصرانية، ونقلوا الكتب الـدينية الى لغتهم، فخشوا اللحـن في قراءتها، فوضعـوا الشكل للحروف[6]، وقد شاع الشكل في اللغة السريـانية في القـرن الرابع الميـلادي، وقيل في القرن السـادس الميلادي، وأن أول من وضع النحـو السرياني هـو يوسف الأهـوازي أستاذ مـدرسة نصيبين (المتـوفى سنة 580م)، وفي سنـة

(1) يخطىء من جعل الشكل والإعجام اصلاحاً للكتابة والخط، لأن الشكل والاعجام لم يغيرا رسم الحروف، وانما عملا على ضبط النطق والاعراب وتحسين لفظ القارىء وإزالة الوهم واللبس عن المقروء.

(2) الزرقاني: مناهل العرفان 1/ 400.

(3) اللسان: شكل.

(4) تاج العروس: شكل.

(5) القلقشندي 3/ 160.

(6) الداني: المحكم في نقط المصاحف ص 29، جورج شهلا: قصة الألفباء ص 95.

705م أعاد يعقـوب الرهـاوي النظر في ضبط متـون التوراة، وأتم هـذه الطريقـة التي نقلها عنـه ابن العبري في نحوه، فكان عندهم نقط كبيرة توضع فوق الحرف أو تحته[1].

وفي العبرية: استعمل اليهـود في لغتهم الحركات في القرن الخامس والسـادس الميلاديين، وهي نقط توضع فـوق الحرف أو تحته، لتمثل الفتحة، والكسرة، والضمة، والشـدة، والمدة، والوصل[2]، وقيل إنهم اتخذوا أول الأمـر بعض الحروف، كـالألف والهاء واليـاء، لتقـوم مقـام الحركـات، إلا أنهم سرعـان ما تـركوهـا، وذلك لما تسببه من تغيير في هجـاء الكلمات، ومن زيادة في عـدد الحروف، ثم اتخذوا النقط فوق أو تحت الحرف لتمثل الحركات[3].

أما اللغـة العربية، فهي متطـورة عن النبطية، والنبطية خـالية من الشكل، ويبقى الاحتمال أن العرب قلـدوا السريان في وضع نقاط للشكل، أو أنهم قلـدوا اليهود، وخـاصة وأن من المسلمين من كان يعرف السريـانية، ومنهم من كان يعرف العبريـة منذ زمن الرسول ﷺ، فقد تعلـم زيـد بن ثابت السريانية، وتعلم أبـو خارجة العبرية وكـلاهما بأمر من النبي ﷺ[4]، وهناك إشارات إلى أن الشكل قـديم من زمن الصحـابـة، وأن المصـاحـف كـان فيهـا شكل، وأن الصحـابـة أنفسهم بـدأوا بنقط المصاحف[5]، فقـد نقل عن الأوزاعي قـولـه: «سمعت قتـادة يقـول: بـدأوا فنقطـوا، ثم خمسـوا ثم عشروا»[6]، ويعقب أبو عمرو الداني على ذلك بقوله: «هـذا يدل على أن الصحابة وأكابر التابعين هم المبتـدئون بـالنقط ورسم الخمـوس والعشـور، لأن حكـايـة قتـادة لا تكـون إلا عنهـم، إذ هـو من التابعين»[7]، ويؤيـد هذا الرأي ما نقل من أن الصحـابة قد جـردوا المصاحف من الشكل[8]، فكيف تجرد المصاحف من الشكل إذا لم يكن الشكل مـوجوداً؟ وإن كان هنـاك من يرى أن العرب لم يعـرفوا الشكل في عهدهم الأول، وذلك لفصاحتهم[9].

ولا بد أن يكـون الشكل في عهده الأول بسيطـاً، فلم يجعلوا للنقط نظـاماً يشمل ألفـاظ القرآن

(1) الداني ص 29، برصوم اغناطيوس: اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ص 45.

(2) محمد بدر: الكنز في قواعد اللغة العبرية ص 54، 62، اسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص 103.

(3) ولفنسون: تاريخ ص 103.

(4) العسقلاني: الاصابة 1/ 561.

(5) الداني: المحكم في نقط المصاحف ص 2.

(6) الداني ص 2، والتخميس: وضع علامة بعد كل خمس آيات، والتعشير: وضع علامة بعد كل عشر آيات.

(7) الداني ص 2.

(8) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 155.

(9) الزرقاني: مناهل العرفان 1/ 400.

جميعاً، بل كانت محاولات تيسيرية، كما يقول أبو عمرو الداني[1]، إن معرفة الصحابة للشكل في وقت مبكر أمر مقرر، وقد نقطوا المصاحف، ثم إن بعضهم رأى أن تجرد المصاحف من الشكل[2]، ويوضح الداني طريقة الشكل عند أهل المدينة فيقول: «إن أهل المدينة في قديم الدهر وحديثه، قد استعملوا في نقط مصاحفهم الحمرة والصفرة، فأما الحمرة فللحركات والسكون والتشديد والتخفيف، وأما الصفرة فللهمزات خاصة»[3]، ومما يعزز وجود الشكل في المصاحف أيضاً، كره بعض الصحابة لتنقيط المصاحف، فقد روى السجستاني عن الحسن: «أنه كره تنقيط المصاحف بالنحو، وحدثنا عقبة، يعني ابن علقمة عن الأوزاعي عن قتادة قال: وددت أن أيديهم قطعت»[4]، وكان حرص المسلمين على تجريد المصاحف من الشكل الجزئي، ثم وضعهم الشكل بعد ذلك بصورة كاملة، هو حرصهم على ألا يقع الخطأ واللحن في قراءة القرآن الكريم.

لقد كثر اللحن على ألسن العامة في العصر الأموي، بسبب اختلاط العرب بغيرهم من أبناء الأمم الأخرى، وحقاً أن في هؤلاء الأعاجم من كان ضليعاً في العربية، خدمها وألف فيها وصانها، إلا أن هناك كثرة كاثرة من أعاجم وعرب فسد لسانهم، وصاروا يلحنون وتجاوز ذلك اللحن في كلامهم حتى شمل قراءة القرآن الكريم.

وقد أدى التفكير في وضع النقط للاعراب الى وضع أصول النحو، وأن أول من فكر في ذلك أبو الأسود الدؤلي، ويروى في ذلك: أن ابنته نظرت الى السماء في ليلة شديدة الصحو وقالت: ما أحسنُ السماء (بضم النون من أحسن)، فقال أبو الأسود: نجومُها، فقالت: أردت أن أتعجب، فقال: كان عليك أن تقولي: ما أحسنَ السماء (بفتح النون) وتفتحي فاك. فلما أصبح ذكر ذلك لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فعلمه أبواباً من النحو، منها باب إن، وباب الإضافة، وباب الإمالة، وقال له: أنحُ هذا النحو يا أبا الأسود، فاشتغل أبو الأسود بوضع أبواب أخرى في النحو. منها باب العطف، وباب التعجب، وباب الاستفهام، واشتهر بعد ذلك أبو الأسود بعلم العربية[5].

ويقال إن زياد بن أبيه والي العراقين، طلب من أبي الأسود أن يضع طريقة لإصلاح الألسنة عند القراءة، فتردد أبو الأسود ولم يجبه إلى ذلك، ثم سمع أبو الأسود من يقرأ القرآن ويلحن في قوله تعالى:

(1) المحكم في نقط المصاحف ص 30 من المقدمة.
(2) ابن الجزري: النشر في القراءات العشر 1/ 33، القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 155، طاش كبري زاده: مفتاح السعادة 1/ 81.
(3) المحكم في نقط المصاحف ص 19.
(4) السجستاني: كتاب المصاحف 4/ 141.
(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان 2/ 216 ـ 217، الكردي: تاريخ الخط العربي ص 76.

﴿إن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ بكسر اللام، فعظم على أبي الأسود وقال: عز وجه الله تعالى أن يبرأ من رسوله[1]، وقيل: إن زياداً هو الذي أوعز للقارىء أن يقعد في طريق أبي الأسود ويتعمد اللحن، حتى يستجيب أبو الأسود لطلب زياد. فعاد أبو الأسود الى زياد وقال له: قد أجبتك الى ما سألت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن، فابغني كاتباً، فبعث اليه ثلاثين كاتباً، فاختار واحداً منهم رجلاً من عبد القيس[2]، وأخذ مصحفاً ومِداداً مخالفاً لِمداد المصحف وقال للكاتب: إذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه، وإذا كسرتها فانقط واحدة أسفله، وإذا ضممتها فاجعل النقطة بين يدي الحرف، فان تبعت شيئاً من هذه الحركات غُنَّة فانقط نقطتين[3]، وهكذا صار أبو الأسود يقرأ متأنياً والكاتب يضع النقط، وكلما أتم الكاتب صحيفة نظر فيها أبو الأسود، واستمر على ذلك حتى أتم نقط المصحف، وترك السكون بلا علامة[4]، وأخذ الناس هذه الطريقة عن أبي الأسود، وكانوا يسمون هذه النقط شكلاً، لأنه يدل على شكل الحروف وصورتها.

هذه هي الرواية الراجحة في كيفية نقط المصحف ووضع الشكل الذي أُخذ عن أبي الأسود، وهناك من ينسب نقط المصاحف الى نصر بن عاصم الليثي (المتوفى سنة 89هـ) ويجعله أول من نقط المصاحف، وأطلق عليه اسم (نصر الحروف)[5]، ونصر هذا هو تلميذ أبي الأسود. وهناك رأي آخر يرى أن أول من نقط المصاحف هو يحيى بن يعمر العدواني (المتوفى سنة 129هـ)[6]، ويحيى بن يعمر من تلاميذ أبي الأسود أيضاً، ولعل من ذهب هذا المذهب كان يرى أن نصراً ويحيى كانا أول من نقط المصاحف في البصرة، وأخذا ذلك عن أبي الأسود فهما من تلاميذه[7]، وأن أبا الأسود هو المبتدىء بذلك، وقيل إنه: «جعل الحركات والتنوين لا غير»[8].

ولا شك أن تلاميذ أبي الأسود من بعد، من أتباع نصر بن عاصم، حسنوا وطوروا طريقة أبي

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان 2/ 216، وانظر قصة الكتابة العربية: ابراهيم جمعة ص 50 ـ 52.
(2) الداني: المحكم في نقط المصاحف ص 4، ابن خلكان 2/ 217.
(3) الداني ص 3 ـ 4، الأنباري: نزهة الألباء 6 ـ 7، القفطي: إنباه الرواة 1/ 5، والمقصود بالغنة: التنوين.
(4) الداني: كتاب النقط ص 132 ـ 133، والمقنع ص 124 ـ 125، والمحكم ص 4، وابن خلكان: وفيات الأعيان 2/ 217.
(5) الزركشي: البرهان في علوم القرآن 1/ 251.
(6) الداني: المحكم ص 5، القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 161.
(7) الداني: المحكم ص 6، ابن النديم: الفهرست ص 41، السجستاني: كتاب المصاحف ص 141، ان يحيى بن يعمر نقط بنفسه بعض المصاحف، ففي ترجمة ابن سيرين (المتوفى سنة 129 هـ) في وفيات الأعيان (5/ 223) انه كان عنده مصحف منقوط نقطه يحيى بن يعمر.
(8) الداني: كتاب النقط ص 133، والمحكم ص 6، والقلقشندي: صبح الأعشى 3/ 161.

الأسود، من ذلك أن أشكال النقط بعد أبي الأسود قد تعددت، فمنهم من جعلها مدورة مسدودة الوسط (●)، ومنهم من جعلها مدورة خالية الوسط (○)، ومنهم من جعلها مربعة (◘).

وقد زاد أتباع نصر بن عاصم على نقط أبي الأسود، فجعلوا للشدة علامة كالقوس طرفاه الى الأعلى (∪) يوضع فوق الحرف المفتوح وتحت الحرف المكسور وعلى شمال المضموم، وكانوا يضعون نقطة الفتحة داخل القوس (∪̇)، ونقطة الضمة على شماله (∪.)، ونقطة الكسرة تحته (∪̣)، ثم استغنوا عن النقطة وقلبوا القوس مع الكسرة والضمة، فصار الحرف المشدد المفتوح قوساً فوق الحرف رأسه الى الأعلى (∪̲) والمشدد المكسور قوساً تحت الحرف رأسه الى الأسفل (∩̄) والمشدد المضموم قوساً فوق الحرف رأسه الى الأسفل (∩̲).

ثم زاد أتباع أبي الأسود علامات أخرى في الشكل، فوضعوا جرة أفقية فوق الحرف منفصلة عنه سواء أكان همزة أم غير همزة، ولألف الوصل جرة من أعلاه متصلة به، إن كان قبلها فتحة (آ)، ومن أسفلها إن كان قبلها كسرة (إ) وفي وسطها ان كان قبلها ضمة (ا). وكان كل ذلك بالمداد الأحمر، أي مخالف في اللون لمداد الكتابة[1].

لقد اقتصر أهل العراق على استعمال اللون الأحمر وحده للحركات والهمزات، قال الداني: «وبذلك تعرف مصاحفهم وتميز عن غيرها»[2] أما أهل المدينة فقد جعلوا للحركات اللون الأحمر، وخصوا الهمز المحقق، أي النبرات، باللون الأصفر، ثم أخذ أهل المغرب عن أهل المدينة هذه الألوان[3].

وقد جرى أهل الأندلس على استعمال أربعة ألوان في المصاحف: السواد للحروف، والحمرة للشكل بطريقة النقط، والصفرة للهمزات، والخضرة لألفات الوصل، ولم تشتهر طريقة أبي الأسود إلا في المصاحف، حرصاً على إعراب القرآن.

وقد استمر استعمال هذا النمط من الشكل، حتى جاء عبد الملك بن مروان، فأراد أن يفرق بين نقاط الشكل ونقاط الحروف نفسها، فاستبدل النقط بعلامات هي دلالة الحروف كالفتحة والضمة والكسرة والسكون[4]، وأن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو الذي جعل الهمزة والتشديد والروم والاشمام[5].

---

(1) الزرقاني: مناهل العرفان 1/ 401.
(2) المحكم ص 20.
(3) المحكم ص 19 ـ 20. 8.
(4) الزرقاني: مناهل العرفان 1/ 401.
(5) الداني: كتاب النقط ص 133. الروم: حركة مختلفة منتقاة بضرب من التخفيف وهي أكثر من الاشمام، لأنها تسمع وهي بزنة الحركة وان كانت مختلفة بين بين، والاشمام: الحرف أن تشمه الضمة أو الكسرة، وهو أقل من روم الحركة، لأنه لا يسمع، وانما يتبين بحركة الشفة، ولا يعتد بها حركة لضعفها (تاج العروس: رأم، شمم).

الإعجام:

الاعجام لغة: هو إزالة استعجام الكتاب بالنقط، والاعجام في الخط: هو التنقيط، والعَجْم: النقط بالسواد مثل التاء عليها نقطتان، أي نقط الحروف المتشابهة في الرسم، لعدم وقوع اللبس في قراءتها، وذلك خوفاً لما يطرأ عليها من تصحيف، قال ابن جني: «أعجمت الكتاب أزلت استعجامه، وكتاب معجم إذا أعجمته بالنقط، وسمي معجماً لأن شكول النقط بها عجمة لا بيان لها، كالحروف المعجمة لا بيان لها، وإن كانت أصولاً للكلام كله»[1]، ولا شك أن الاهتمام بالاعجام كان نتيجة لشيوع التصحيف[2]، وكانت المصاحف مجردة من الاعجام، ومكث الناس يقرأون في مصحف عثمان نيفاً وأربعين سنة الى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثر التصحيف وخاصة في العراق، مما أفزع الحجاج بن يوسف والي العراق، فطلب من كتابه وضع العلامات على الحروف المشتبهة[3]، وقيل إن أول من نقط المصاحف هو يحيى بن يعمر[4]، وقيل: بل هو نصر بن عاصم[5].

إن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم وهما من تلاميذ أبي الأسود، قد نقطا المصاحف ولم يبتكرا الإعجام، أو وضع النقط على الحروف المتشابهة، لأن هذا قديم.

لقد ظهر الإعجام منذ عصر مبكر منذ عصر النبي ﷺ، وقد يبالغ بعضهم فيرجعه الى العصر الجاهلي[6]، مستندين الى ما جاء في الشعر الجاهلي من استعمال كلمتي (الرقش والترقيش)[7]، كقول طرفة بن العبد[8]:

كسطورِ الرقِّ رقَّشهُ بالضُّحىٰ مرقِّشٌ يشِمُهْ

---

(1) اللسان والتاج: عجم.
(2) وقع التصحيف منذ زمن مبكر، فمما يروى في سبب مقتل عثمان بن عفان أنه كتب الى أهل مصر في تولية رجل وقال: (اذا جاءكم فاقبلوه) فقرأها الناس: (اذا جاءكم فاقتلوه)، فكان ذلك سبب الفتنة ومقتل عثمان. (السيوطي: تدريب الراوي ص 151). ومن التصحيف الشديد أيضاً ما كتبه سليمان بن عبد الملك (توفي سنة 99 هـ) الى عامله في المدينة: أن (احص المخنثين) فقرأها الكاتب: (اخص المخنثين)، فخصي تسعة منهم (الاغاني 4/ 274 ط دار الكتب، وأخبار الحمقى والمغفلين ص 116 ط الخاقاني بغداد 1966).
(3) طاش كبري زاده ـ مفتاح السعادة 1/ 81.
(4) السجستاني: كتاب المصاحف 4/ 141.
(5) مفتاح السعادة 1/ 81.
(6) عبد الفتاح عبادة: انتشار الخط العربي ص 28 ـ 29، جورج شهلا: قصة الألفباء ص 45، ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ص 41.
(7) الرقش والترقيش: الكتابة والتنقيط، وحيّة رقشاء فيها نقط سواد وبياض (اللسان: رقش)، ومن معنى الترقيش التزيين والتحسين والنقش والزخرفة والتسطير. (المعجم الوسيط: رقش).
(8) ديوان طرفة شرح الأعلم الشنتمري ص 68.

وكقول الأخنس التغلبي[1]:

لابنةِ حطان بن عوف منازلُ ... كما رقَّشَ العنوانَ في الرقِّ كاتبُ

وقول المرقش الأكبر[2]:

الدارُ قَفْرٌ والرسومُ كما ... رقَّش في ظهرِ الأديمِ قَلَمْ

أما الدلائل المادية على وجود الاعجام في العصرالجاهلي، فليس هناك شيء منها لأن ما وصلنا من نقوش قديمة كنقش أم الجمال الثاني وزَبَد وأسيس وحران، كلها خالية من الاعجام، وأن الخط النبطي الذي اقتبس العرب منه خطهم العربي كان خالياً من الإعجام أيضاً.

أما اللغات القديمة الأخرى التي عرفها العرب كالسريانية والعبرية، فقد كان فيها اعجام، فقد استعمل السريان الاعجام بالإضافة الى الشكل في كتاباتهم[3]، كما نقط العبرانيون كذلك بعضاً من حروفهم، كالذال والخاء والظاء[4]، ولكن العرب لم يأخذوا خطهم عن السريان أو العبرانيين، ولعلهم حين احتاجوا الى الإعجام تأثروا باللغات المجاورة. والذين ذهبوا الى وجود الاعجام في الخط العربي قبل الإسلام يستندون الى رواية تقول: إن واحداً من ثلاثي طيء ببقة وهو عامر بن جدرة كان قد وُضع الإعجام[5]، وهذه رواية الأخبار التي لم يدعمها وجود نقش أو أثر.

وتأتي الإشارات والدلائل على وجود الاعجام بدءاً بزمن الرسول ﷺ، فقد روي أن النبي ﷺ قال: «إذا اختلفتم في الياء والتاء فاكتبوها بالياء»[6]، ونقل عن عبدالله بن عباس قوله: «لكل شيء نور ونور الكتاب العجم»[7]، وجاء عن عبيد بن أوس الغساني كاتب معاوية قوله: «كتبت بين يدي معاوية كتاباً، فقال لي: يا عبيد أرقش كتابك، فإني كتبت بين يدي رسول الله ﷺ، فقال: يا معاوية أرقش كتابك. قال عبيد: وما رقشه يا أمير المؤمنين؟ قال: اعطِ كل حرف ما ينوبه من النقط»[8].

---

(1) الآمدي: المختلف والمؤتلف ص 27.

(2) الأمالي 2/ 246.

(3) شهلا: قصة الألفباء ص 95.

(4) أحمد رضا: رسالة الخط ص 28.

(5) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 155، البلاذري: فتوح ق3 ص579.

(6) ابن الأثير: أسد الغابة 1/ 193.

(7) القلقشندي: صبح 3/ 153.

(8) حميد الله: صنعة الكتابة في عهد الرسول والصحابة، مجلة فكر وفن العدد الثالث سنة 1964 ص 62، عن مخطوطة تاريخ دمشق لابن عساكر ورقة 30، والجامع لأخلاق الراوي والسامع ـ الخطيب البغدادي ورقة 55 في الاسكندرية.

وتظهر الدلائل المادية على استعمال الاعجام في زمن الخلفاء الراشدين، وفي الكتابات اليومية، وأول دليل مادي على الاعجام هو بردية سنة 22هـ (اللوح 20)، ففيها حروف منقطة هي: الزاي والذال والخاء والنون والشين، ويلاحظ أن التنقيط في البردية جزئي، شمل بعض الحروف دون غيرها، وظل هذا الأمر شائعاً في عصر الخلفاء الراشدين والعصر الأموي، وظهر التنقيط واضحاً في كتابة سد معاوية المؤرخة سنة ثمان وخمسين (انظر اللوح 26) في بعض حروف من كلماتها هي: (بنيه، معوية، ثمن، خمسين، ثبته، انصره، ومتع، المؤمنين، كتب، حباب)، وكذلك نجد بعض الحروف المعجمة في حجر حفنة الأبيض المؤرخ سنة 64هـ (لوح 27)، وهناك كلمتان فيهما اعجام بعض الحروف في كتابة قبة الصخرة في كلمة (يتخذ)، فقد نقط حرف الياء والتاء والخاء وكلمة مستقيم فقد نقط فيها التاء والياء (لوح 38).

وقد ظل التنقيط جزئياً في الكلمات، في بعض حروف الكلمات التي تلتبس حتى العصور العباسية وكان الناس فيما يبدو يكرهون تنقيط الكتاب لما فيه من دلالة على سوء الظن بفهم القارىء[1]، ولذلك حذر ابراهيم بن المدبر (المتوفى سنة 279هـ) كتبة الرسائل من وضع النقط والحركات إلا في الكلمات التي تؤدي الى اللبس وسوء الفهم، وروي أن عبدالله بن طاهر رُفع اليه كتاب حسن الخط فلما قرأه قال: «ما أحسن ما كتب لولا أنه أكثر شونيزه»[2]، فقد شبه النقط بالشونيز وهي الحبة السوداء، وكان مالك بن أنس (توفي سنة 179هـ) يرى أن تجرد المصاحف من هذه النقاط الملونة، فقد سئل: «أرأيت من استكتب مصحفاً اليوم أترى أن يكتب ما أحدث الناس من الهجاء اليوم، فقال: لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكَتْبة الأولى. وعقب أبو عمرو بن العلاء على ذلك فقال: ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة»[3]. وإذا صح هذا لدى العلماء فإن عامة الناس بحاجة الى ما يصون ألسنتهم من اللحن والتصحيف، وقد أقبل الناس على ما أحدث في الكتابة.

نخرج من هذا الى أن الإعجام كان موجوداً، وقد عرفه العرب منذ عصر الرسالة، واستعملوه في كتاباتهم اليومية، إلا أنه لم يكن إعجاماً كاملاً، بل في بعض الكلمات وبعض الحروف من الكلمة، كما ظهر في بردية سنة 22هـ ونقش سد معاوية وحفنة الأبيض وكتابة قبة الصخرة وغيرها. وإن المصاحف كان فيها نقط، فجردها الصحابة من النقط[4]، فلما كثر التصحيف في العصر الأموي

---

(1) الصولي: أدب الكتاب ص 57.

(2) التوحيدي: ثلاث رسائل ص 44، الكردي: تاريخ الخط العربي ص 73.

(3) الداني: المقنع ص 9 ـ 10.

(4) ابن الجزري: النشر في القراءات العشر ص 32 ـ 33، وذهب الزمخشري الى أنه أراد تجريده من النقط والفواتح والعشور لئلا ينشأ نشء فيرى أنها من القرآن. الفائق 1/ 186.

سارعوا الى تنقيط المصاحف، وكان يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، كلاهما من البصرة ومن تلاميذ أبي الأسود الدؤلي وقد توفيا سنة 90هـ[1]، أول من نقط المصاحف بصورة كاملة، بعد أن جردها الصحابة من النقط .

إن وضع علامات الاعراب التي أدخلها أبو الأسود، ونقط الاعجام التي أدخلها يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، هذان الأمران الشكل والإعجام لم يكونا إصلاحاً للخط كما ذهب الى هذه التسمية بعض من كتب عن الخط، لأنهما لم يبدلا الصورة الأساسية للحروف، و إنما عملا على ضبط النطق وضبط الإعراب وتحسن لفظ القارىء وأمن اللحن والتصحيف[2].

وقد استمرت طريقة أبي الأسود هذه حتى العصر العباسي، وقد رأى الكاتبون أن يجعلوا الشكل بمداد الكتابة نفسه تيسيراً للكاتب، فوقف في سبيلهم اختلاط الشكل بالاعجام فكان لا بد من طريقة للتفريق بين الشكل والاعجام، وقد كان الخليل بن أحمد المتوفى سنة 170هـ قد تصدى لحل هذا الإشكال فجعل علامات الإعراب بالحروف بدلاً من النقاط، يقول أبو الحسن بن كيسان: «الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل، وهو مأخوذ من صور الحروف، فالضمة واو صغيرة في أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف»[3].

وأضاف الخليل الى هذه العلامات التي هي الضمة والفتحة والكسرة خمس علامات أخرى هي: السكون والشدة والمدة وعلامة الصلة وعلامة الهمزة، وجعل علامة السكون دائرة صغيرة هي رمز الصفر عند الهنود دلالة على خلو الحرف من الحركة، وكان حذّاق الكتاب يجعلونها جيماً صغيرة تكتب فوق الحرف بغير عراقة[4]، لأن الجيم هي أول حروف كلمة الـ (جزم) التي هي اسم السكون، وقيل إنها ليست جيماً، و إنما هي الميم آخر حروف الكلمة ترسم بغير عراقة . أما الشدة فجعلوها شيناً صغيرة ترسم فوق الحرف بغير نقط ولا عراقة، والشين مأخوذة من أول كلمة (شدة)، ورسموا علامة الصلة صاداً لطيفة إشارة الوصل، واختاروا للهمزة العين بلا عراقة لقرب مخرجها[5]، وبهذه الطريقة أمكن أن يجمع الكاتب بين الكتابة والاعجام والشكل بلون واحد، واستعمل الخليل هذه الطريقة في كتب اللغة والأدب دون القرآن، حرصاً على كرامة أبي الأسود واتباعه، واتقاءً لتهمة البدعة في الدين .

---

(1) ابن درستويه: كتاب الكتاب ص 52، طبقات القراء 2/ 336، 381 .

(2) المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص 125 .

(3) الداني: المحكم ص 7 .

(4) أي بغير كمال .

(5) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 164 ـ 170 .

الفصل الرابع

تطوّر الخط في العصر العبّاسي

لقد ازدهـر الخط في العصر الأموي، وساعد الخلفـاء الأمويون على ازدهار الفنـون التشكيلية بما بنوه من مساجد وقصور، وزخرفتها بالفسيفساء، والحفر على المرمر، وكتابة الآيات القرآنية عليها، من ذلك قبة الصخـرة، والجامع الأموي، وقصر المشتى، وقصير عمـرة، وقصر الحيرة، وقصر الجوسق، والقـلاع وغيرها. كما نشط النـاس في تـزويق المصاحف وجلـودها، وتطـريـز الملابس والكتابـة على الأنسجة والملابس، والأواني النحاسية والسُرُج، وغيرها[1].

ومنذ نزول الـوحي على رسول الله ﷺ، اعتبر الخط الكوفي مفضلاً لكتابـة كلام الله، فكتبوه على المواد المتيسرة لهم، فلما جمع القـرآن بين دفتي كتاب في زمن عثمان، وكتـب بالخط الكـوفي، وأرسل إلى الأمصار، كان ذلك نقطة انطـلاق للكتابة العربية بالانتشـار والازدهار والتطور. وبعد تمصير البصرة والكـوفة ونشـوء الحركة العلميـة التي ارتبطت بكل من المدينتين، بـذلت عنايـة كبيرة لتجويـد الخط الكوفي، ذلك الخط الذي تأقلم بأشكـال الأقاليم التي امتدت ما بين مـا وراء النهر شرقاً، إلى الشمال الأفريقي غرباً، حتى بلغت أسماء أنواعه الأثني عشر، كما ذكرها أبو حيان التوحيدي[2].

وتـرسخت الكتابـة في العصر العباسي، وازدهـرت الخطوط وتنـوعت، وبقي الخط الكوفي هـو السائد في كتابة المصـاحف، والكتابة على المساجد والمآذن والقباب، والقصـور والقلاع، ثم بدأ خط الثلث يدخل في تزيين المساجد والمحاريب والقباب، وظل الخط النسخي القديم في خدمة الدواوين الرسمية، والمكاتبـات اليومية، والأغراض العلمية والتعليمية، وذلك لمرونتـه، وسرعة كتابته[3]. وقد صار الخط في العصر العباسي ممثـلاً للطابع الإسلامي، ودليلاً على الحضـارة الإسلامية، وامتزج الفن بالعقيدة، فكان التبرك بكتابة الآيات القرآنيـة أمراً لا يكاد يخلو منه عمل فني، أو مسجد، أو منارة، في الأقطار الإسلامية كافة.

يقول ابن خلدون عن تطور الخط العربي في الدولة الإسلامية: «كان الخط غير بالغ الى الغاية من الإحكام والاتقان والاجادة، ولا في التوسط، لمكان العرب من البداوة وبعدهم عن الصناعات. ثم لما

---

(1) المصرف، ناجي زين الدين: بدائع الخط العربي ص23.

(2) رسالة علم الكتابة (ضمن ثلاث رسائل) ص 29 ـ 30، ابن النديم: الفهرست ص11.

(3) المصرف: بدائع الخط العربي ص23.

فتحوا الأمصار وملكوا المهالك، ونزلوا البصرة والكوفة، واحتاجت الدولة إلى الكتابة، استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه، وتداولوه فترقت الإجادة فيه، واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان، إلا أنها كانت دون الغاية. ثم انتشروا في الأقطار والممالك، وافتتحوا أفريقية والأندلس، واختط بنو العباس بغداد، فترقت الخطوط فيها إلى الغاية لما استبحرت في العمران، وكانت دار الاسلام ومركز العربية، ومن بغداد انتشرت شرقاً وغرباً أصول (الخط البديع المنسوب) الذي خالفت أوضاعه ببغداد أوضاعه بالكوفة، في الميل إلى إجادة الرسوم، وجمال الرونق وحسن الرواء. واستحكمت هذه المخالفة في الأعصار إلى أن رفع رايتها ببغداد أبو علي بن مقلة الوزير، ثم تلاه في ذلك علي بن هلال الكاتب الشهير بابن البواب، ووقف سند تعليمها عليه في المئة الثالثة وما بعدها، وبعدت رسوم الخط البغدادي وأوضاعه عن الكوفة حتى انتهت إلى المباينة»[1].

يقال إن أقدم خط استعمل في بلاد العرب هو الخط الأنباري أو الحيري[2]، ويسمى (بالجزم) لأنه جُزم أي قُطع من المسند، أقدم خط في بلاد العرب، وكان مستعملاً في الأنبار والحيرة، وكان الخط المسند مستعملاً في بلاد اليمن، وقد أطلق على الخط الأنباري (الخط الكوفي)، وذلك بعد بناء الكوفة زمن عمر بن الخطاب، وهي على مقربة من الحيرة، وقد نزح الى الكوفة بعد بنائها من بقي من أهل الحيرة والأنبار لحلولها محل مدينتهم، ونزلت فيها أيضاً قبائل من اليمن في جانبها الشرقي، وكانوا يعرفون الكتابة بالخط المسند، فانتشر الخط في أهلها وبرعوا فيه وجودوه، واخترعوا فيه حلية وزخرفة تشبه الزخرفة التي استعملها السريانيون في خطهم المعروف بـ(السطرنجيلي)[3].

والخط الكوفي عدة أقلام مرجعها إلى أصلين: التقوير والبسط.

(المقوّر): ويسمى بالخط اللين والنسخي، وهو الذي تكون عراقاته منخسفة منحطة إلى أسفل، كقاف الثلث والرقاع ونحوهما، وهو الذي كثر استعماله وعم تداوله في الرقاع والمراسلات والكتابات المعتادة، كالتي كان يكتبها كتاب رسول الله ﷺ.

(والمبسوط): وهو ما يسمى باليابس، ما كانت عراقاته مبسوطة كالنون الطويلة، ولا يستعمل عادة إلا في كتابة المصاحف الكبيرة، وفي النقش على المحاريب، وأبواب المساجد، وجدران المباني الكبيرة، وما يقصد به الزينة والزخرفة[4]، وكان كُتّاب رسول الله ﷺ يكتبون بالخط المقوّر (النسخي)، وبهذا الخط كتب زيد بن ثابت رضي الله عنه صحف القرآن بأمر أبي بكر وإشارة عمر رضي الله عنهما

(1) مقدمة ابن خلدون 2/ 344 ط كاترمير، وانظر: الأثري: الخطاط البغدادي ص41.
(2) سماه الكردي ص65 (الحميري) وهماً.
(3) الكردي: تاريخ الخط العربي ص65.
(4) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 15.

حينما استحر القتل في القراء باليمامة، وكذلك كانوا يكتبون بخط الجزم القرآن الكريم، وكل ما يطلب تجويده وتحسينه.

ولما جمع القرآن بالمدينة وأرسلت المصاحف إلى البصرة والكوفة ومكة والشام واليمن وغيرها، تسارع الناس إلى نسخها، وتنافسوا في كتابتها، وتفننوا في أوضاعها، وأبدعوا في تجويدها وتنميقها، حتى اتخذ نساخ كل جهة وصقع لهم طريقة خاصة تميزت باسم خاص[1].

ويبين أبو حيان التوحيدي عناية القدماء بتحسين الخط الكوفي بأنواعه، ويذكر إثني عشر نوعاً هي: الاسماعيلي، والمدني، والمكي، والأندلسي، والشامي، والعراقي، والعباسي، والبغدادي، والمشعب، والريحاني، والمحرر، والمصري، وقال: «فهذه الخطوط العربية التي كان منها ما هو مستعمل قديماً، ومنها قريبة الحدوث، وأما هذه الطرائق المستنبطة، فهي مروية عن الصحابة حتى اتصلت بابن مقلة»[2].

وبدأ الخط في التحسن والتطور والإزدهار في العصر الأموي، ويذكر في هذا العصر من أوائل الخطاطين المجيدين (خالد بن أبي الهياج) الذي اشتهر بكتابة المصاحف في الصدر الأول، وأجاد كتابتها ووصف بحسن الخط، وقد رأى ابن النديم مصحفاً بخطه، وقال: «كان سعد نصبه لكتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك، وهو الذي كتب الكتاب الذي في قبلة مسجد النبي ﷺ بالذهب، من قوله تعالى: ﴿**والشمس وضحاها**﴾ وما بعدها من السور إلى آخر القرآن»[3].

وفي أواخر العصر الأموي اشتهر خطاط آخر كان له أثره في تحسين الخط وتطويره، هو (قطبة المحرر)، قيل: إنه هو الذي بدأ في تحويل الخط العربي من الشكل الكوفي إلى ما يقارب الشكل الذي هو عليه الآن، واستخرج الأقلام بعضها من بعض، وهو الذي اخترع القلم الطومار، والقلم الجليل، وهو ما يسمى الآن بالخط (الجلي)، أي الكبير الواضح، وقيل: إنه كان أكتب الناس على الأرض بالعربية[4].

واشتهر في هذا العصر الأموي أيضاً مالك بن دينار (المتوفى سنة 131 هـ)، وكان من كبار الزاهدين، وكان يتعيش من كتابة المصاحف، ولم تكن له حرفة أخرى يعيش بها.

(1) الكردي: تاريخ الخط العربي ص68.
(2) رسالة علم الكتابة ص21 ـ 27 مجلة اسلاميكا، نشرها روزنتال، وانظر ثلاث رسائل نشرها ابراهيم الكيلاني ص29 ـ 30، وانظر الأثري: الخطاط البغدادي ص43.
(3) ابن النديم: الفهرست ص10، والكردي ص 68 قال: لم يبق الآن شيء من آثار هذه الكتابة.
(4) ابن النديم: الفهرست ص10.

أما في العصر العباسي فقد ظهرت مجموعة من الكتّاب طوروا الخط العربي وافتنوا بكتابته، وأول هؤلاء (الضحاك بن عجلان الكاتب)، وكان في خلافة السفاح أول خلفاء بني العباس. ثم لمع بعده (اسحاق بن حماد الكاتب) في أيام المنصور والمهدي، فزاد على الضحاك، وكان هذان الكاتبان الضحاك واسحاق، يخطان (الجليل)، ويراد به الطومار أو قريب منه، وبلغ عدد الأقلام في عهدهما اثني عشر قلماً، كان لكل قلم عمل خاص[1].

وفي عصر المأمون اشتهر مجموعة من الكتاب من تلامذة اسحاق بن حماد الذين كتبوا (الخطوط الأصلية الموزونة) التي لا يقوى عليها أحد إلا بالتعليم الشديد، وعدتها اثنا عشر قلماً، يخرج منها إثنا عشر قلماً[2]، من هؤلاء الكتاب (أحمد بن أبي خالد) كاتب المأمون، قال أبو حيان التوحيدي: سمعت ابن المشرّف البغدادي يقول: رأيت خط أحمد بن أبي خالد كاتب المأمون وكان ملك الروم يخرجه ـ في يوم عيده ـ في جملة زينته، ويعرضه على العيون، قال: وكانت ألفاته ولاماته على غاية الانتصاب والتقوّم، ولم أجد في جميع حروف خطه عيباً إلا في الواوات الموصولة والياءات المفصولة[3].

ومن كتّاب العصر العباسي المذكورين (إبراهيم الشجري)[4]، الذي وصف بأنه أخط أهل دهره، أخذ عن اسحاق بن حماد خط الجليل، اخترع منه قلماً أخف منه سماه (قلم الثلثين)، ثم اخترع من قلم الثلثين قلماً سماه (الثلث)[5]، وقيل إن ابن مقلة هو الذي اخترع قلم الثلث، وهذا نص على أن ابن مقلة مسبوق باختراع قلم الثلث[6].

أما أخوه (يوسف الشجري) فقد أخذ القلم الجليل عن إسحاق أيضاً، واخترع منه قلماً أدق منه، وكتبه كتابة حسنة، فأعجب به ذو الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون وأمر أن تحرر الكتب السلطانية به، ولا تكتب بغيره، وسماه (القلم الرئاسي)، وقيل: هو (قلم التوقيعات)[7].

وبرع في هذا العصر (الأحول المحرر)، وهو من صنائع البرامكة، أخذ عن إبراهيم الشجري قلم الثلثين وقلم الثلث، واستنبط منها قلماً سماه (قلم النصف)، وقلماً أخف من الثلث سماه (خفيف

---

(1) ابن النديم: الفهرست ص10، القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 16.
(2) ابن النديم: الفهرست ص11.
(3) أبو حيان: ثلاث رسائل ص29 ـ 30، والخطاط البغدادي ص 44 ـ 45.
(4) الشجري: قيل نسبة الى الشجرة وهي قرية بالمدينة المنورة (اللباب 2/ 13 ومعجم البلدان 5/ 238) ولا وجود لها اليوم، ولعل اسمها قد تغير. والشجرة أيضاً اسم قرية بفلسطين (معجم البلدان 5/ 238)، وشجرة أيضاً: اسم رجل.
(5) القلقشندي 3/ 16.
(6) الأثري: الخطاط البغدادي ص45.
(7) القلقشندي 3/ 16، وانظر الكردي ص69.

الثلث)، وقلماً متصل الحروف ليس في حروفه شيء ينفصل عن غيره سماه (المسلسل)، وقلماً سماه (غبار الحلية)، وقلماً آخر سماه (خط المؤامرات)، وقلماً سماه (خط القصص)، وقلماً سماه (الحوائجي)، وقد رتب الأقلام وجعل لها نظاماً. إلا أن خطه مع رونقه وبهجته لم يكن مهندساً، فكان خطه يوصف بالبهجة والحسن من غير إحكام ولا إتقان، وكان عجيب البري للقلم[1].

وكان ينافس الأحول في جودة الخط رجلان، الأول هو (وجه النعجة) محمد بن معدان المعروف بأبي ذرجان، وكان مقدماً في (الجليل)، أما الثاني فهو أحمد بن محمد بن حفص المعروف بـ(زاقف)، وكان أجلّ الكتّاب خطاً في (الثلث)، وكان ابن الزيات في أيام ابن طولون وزير المعتصم يعجب بخطه ولا يكتب بين يديه غيره. وانتهت رئاسة الخط بمصر إلى (طبطب المحرر) في الجودة والإحكام[2].

وفي رأس الثلثمائة انتهت رئاسة الخط إلى الوزير أبي علي (محمد بن مقلة) (المتوفى سنة 328 هـ)[3]، وإلى أخيه أبي عبدالله الحسن بن مقلة (المتوفى سنة 338 هـ)، وكلاهما أخذ عن الأحول، وولدا طريقة اخترعاها، وكتب في زمنهما جماعة فلم يقاربوهما. تفرد أبو عبدالله الحسن بن مقلة بـ(النسخ)، والوزير أبو علي بـ(الدرج)، وكان الكمال في ذلك للوزير، وهو الذي هندس الحروف وأجاد تحريرها، وعنه انتشر الخط في مشارق الأرض ومغاربها[4]، وقد وصفهما ياقوت الحموي بقوله: «كان الوزير أوحد الدنيا في كَتْبه (قلم الرقاع) و(التوقيعات) لا ينازعه في ذلك منازع، ولا يسمو إلى مساماته ذو فضل بارع. وكان أبو عبدالله أكتب من أخيه في (قلم الدفتر) و(النسخ)، مسلماً له في فضيلته، غير مفاضل في كَتْبه»[5].

وقد أخذ عن الوزير ابن مقلة أتباع كثيرون، يترسمون طريقته ويحاكون خطه، منهم أحمد بن الحسين الغضاريّ، والحسن بن علي البغدادي المعروف بابن ناهوج (المتوفى سنة 588 هـ)، وأبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى سنة 624 هـ)، وابن كمونة اليهودي الفيلسوف، وكان يزوّر على خط ابن مقلة، وغيرهم.

وكان أبرز هؤلاء الذين أخذوا عن ابن مقلة (محمد بن السمسماني)، وهو محمد بن علي الشيرازي

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 16.
(2) القلقشندي 3/ 16، الكردي ص70، وجاء اسم (طبطب) فيه محرفاً الى (قطبة) وعنه أخذ هذا الوهم من كتبوا في الخط من المحدثين، وانظر الخطاط البغدادي ص45.
(3) سترد ترجمة مفصلة لأعلام الخطاطين المشهورين في العصر العباسي.
(4) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 17، وضوء الصبح المسفر 1/ 183.
(5) معجم الأدباء 10/ 29.

كان أحد النحاة المشهورين بمعرفة الأدب واللغة، (توفي سنة 415 هـ)[1]، ومحمد بن أسد بن علي الكاتب المقرىء (المتوفى سنة 410 هـ)[2]، وترجع أهمية هذين الكاتبين السمسماني ومحمد بن أسد إلى أن كاتباً كبيراً أخذ عنهما وترسم طريقتهما، ثم زاد عليهما وأبدع وتفنن وأكمل قواعد الخط وتممها واخترع غالب الأقلام التي أسسها ابن مقلة، ذلك الكاتب هو أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب (المتوفى سنة 413 هـ)، وهو الذي حرر (قلم الذهب) وأتقنه وبرع في (الثلث) و(الرقاع) و(الريحان)، وميز قلم المتن والمصاحف وكتب بـ(الكوفي) فأجاد وأبدع.

وصف ابن كثير خط ابن البواب فقال: «أما خطه وطريقته فيه فأشهر من أن ننبه عليها، وخطه أوضح تعريباً من خط ابن مقلة، ولم يكن بعد ابن مقلة أكتب منه، وعلى طريقته الناس اليوم في سائر الأقاليم إلا القليل»[3]، وابن البواب هو الذي هذّب طريقة ابن مقلة ونقحها وكساها طلاوة وبهجة، كما يقول ابن خلكان متحدثاً عن ابن مقلة، انه: «لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله ولا قاربه، ولكن ابن البواب هذّب طريقته ونقحها وكساها طلاوة وبهجة»[4] وقد بلغت الأقلام التي اتقنها ابن البواب وأدخل عليها التحسين ثلاثة عشر قلماً[5].

وقد شاعت طريقة ابن البواب وراج خطه فتبعته مجموعة كبيرة من الكاتبين، من أمثال: أبي علي الجويني، وعلي بن حمزة البغدادي، والوزير ابن صدقة، وعمر بن الحسين غلام ابن خِرْنقا، وبني العديم الحلبيين ولا سيما الحسن بن علي، وعبد القاهر بن علي، وفاطمة بنت الأقرع، وأبي منصور الفضل بن عمر، وأبي طالب الكرخي، وابن البَرَفْطي، ومحمد بن سعد الرازي، وبينمان الأصفهاني، وابن التِبْنِيّ، وياقوت بن عبدالله المعروف بالملكي، وياقوت بن عبدالله الرومي نزيل الموصل. وأخذ عن ابن البواب أيضاً محمد بن منصور بن عبدالملك، الذي أخذت عنه الكاتبة زينب، ويقال فاطمة، وتعرف بشَهْدة الأبري التي توفيت سنة 574 هـ، وغيرهم، على أن أشهر هؤلاء جميعاً هو ياقوت المستعصمي[6].

وياقوت هو جمال الدين أبو الدر (وقيل أبو المجد)[7] ياقوت بن عبدالله المستعصمي البغدادي،

---

(1) السيوطي: بغية الوعاة 343.

(2) وفيات الأعيان في ترجمة ابن البواب 1/ 345، وبغية الوعاة 343، وتاريخ بغداد 12/ 10.

(3) البداية والنهاية 12/ 14.

(4) وفيات الأعيان 3/ 28.

(5) المصرف: بدائع الخط العربي ص35، وانظر لوح 44.

(6) الأثري: الخطاط البغدادي ص48 ـ 49.

(7) النجوم الزاهرة 5/ 283.

كان من مماليك المستعصم بالله، آخر الخلفاء العباسيين ببغداد، فانتسب إليه، عرف ياقوت بالأدب والشعر وجودة الخط، قال ابن العماد: «هو آخر من انتهت إليه رئاسة الخط المنسوب، كان يكتب على طريقة ابن البواب»[1]، كتب عليه خلق من أولاد الأكابر، وكان محترماً معظماً (توفي ببغداد سنة 698 هـ).

وهكذا نجد الخط العربي يتابع مسيرته وتطوره منذ بداية العصر الأموي حتى أواخر العصر العباسي ويسهم في ازدهاره وانتشاره مجموعة كبيرة من الكتاب المسلمين حتى يصل إلى آخر المبدعين في العصر العباسي ياقوت المستعصمي.

أنواع الخط العربي:

مر بنا أن الدراسات العلمية الحديثة، أثبتت أن العرب أخذوا طريقتهم في الكتابة قبل الإسلام من بني عمومتهم الأنباط، وهم عرب أيضاً. وكان الأنباط ينزلون على تخوم المدينة في حوران والبتراء ومعان، وكانوا يجاورون عرب الحجاز في تبوك ومدائن صالح والعلا، في شمالي الحجاز، وقد اتضح ذلك من خلال النقوش النبطية المكتشفة والقريبة الشبه بأقدم النقوش العربية المعروفة[2]. وبطلت بهذا النظريات القائلة بأن أصل الخط توقيف، أو أن الخط العربي مشتق من الخط المسند الحميري، أو أن أصل الخط من الحيرة وانتقل إلى الأنبار ثم انتقل إلى الحجاز، وأن ثلاثة رجال من بولان من طيء قاموا بوضع هجاء العربية على هجاء السريانية، أو أن بشر بن عبد الملك الكندي أخا الأكيدر صاحب دومة الجندل علم أهل الحجاز الكتابة[3].

واتخذ هذا الخط الذي اقتبسه العرب عن الأنباط عدة أسماء، منها: الخط الأنباري، والخط الحيري، والخط المدني، والخط المكي، وكلها خطوط حذقها العرب قبل الإسلام، اشتقوها من خط الأنباط، وظهر بعد الاسلام الخط البصري، والخط الكوفي اللذان حذقهما العرب.

إن المعلومات التي لدينا لا تعطي صورة واضحة عن هذه الخطوط القديمة، ولا نعرف عن خصائص كل خط إلا اليسير، فابن النديم يصف الخطين المكي والمدني على أنهما خط واحد، يقول:

---

(1) شذرات الذهب 5/ 443.

(2) انظر في هذا: خليل يحيى نامي: أصل الخط العربي ص70، نبيهة عبود: نشأة الخط العربي الشمالي ص 4 ـ 5، ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص190، ابراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية ص17، وغيرها.

(3) ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة ص7، القلقشندي: صبح الأعشى 6/ 7، 3/ 9، البلاذري: فتوح البلدان ص456ط الأزهرية 1932.

«فأول الخطوط العربية الخط المكي، وبعده الخط المدني (خط المدينة)، ثم البصري، ثم الكوفي. فأما المكي والمدني، ففي ألفاته تعويج إلى يمنة اليد وأعلى الأصابع، وفي شكله انضجاع يسير»[1]، ويذكر ابن النديم من أنواع الخط المدني: المدور والمثلث والتئم، وقد تكون صفة المدور والمثلث مفهومة من اسميهما، كما قد يكون التئم جمعاً بين النوعين[2].

أما الخط البصري فليس هناك نماذج له يمكن التعرف من خلالها على صفته، ولعله كان والخط الكوفي شيئاً واحداً، لقرب ما بين الخطين من العهد والمكان، لا يفرق بينهما إلا بدرجة الاجادة، ولعله يرجع إلى التنافس العلمي بين الكوفة والبصرة، فأصبحت هناك فروق من الناحية الفنية، وهي فروق تجويد لا فروق خصائص[3].

لقد سمى العرب الخطوط بالنسبة إلى المدن التي وردت منها، وقد عرف العرب قبل الإسلام (الخط النبطي)، الذي أتى بلاد العرب من ديار النبط، مع التجارة التي كان القرشيون يمارسونها مع الأنباط، كما عرف بالخط (الحيري) و(الأنباري) لأنه أتى الحجاز مع تجارة العراق عن طريق دومة الجندل، وباستقرار الخط في مكة والمدينة عرف باسميها (الخط المكي والخط المدني)، ولما انتقل مركز النشاط السياسي الى العراق في خلافة عمر وعلي، انتقلت معه الخطوط المكية والمدنية الى البصرة والكوفة، وعرفت هناك أول الأمر بأسماء المدن العربية الهامة التي جاءت منها، ثم لم تلبث أن عرفت في العراق باسم الخط الحجازي، ثم أولى الكوفيون الخط عناية كبيرة، فجودوه وحسنوه فتميز عن الخط الحجازي، وغلب عليه الجفاف، وسمي بالخط (الكوفي)، ومن الكوفة انتشر هذا الخط اليابس في أرجاء العالم الإسلامي: تكتب به المصاحف، وتحلّى به المباني، وتدمغ به النقود. وظل الخط الحجازي اللين في خدمة الدواوين لمرونته وسرعة كتابته، واستخدمه الناس في أغراضهم اليومية، فكتبت به الرسائل وصار خطاً للتدوين والتأليف، وظل الحال على هذا طيلة العصر الأموي[4].

وفي العصر العباسي تعددت الأقلام، واختص كل قلم بنوع من الكتابة، فسميت الخطوط بمقاديرها: كالثلث والنصف والثلثين. كما نسبت إلى الأغراض التي كانت تؤديها كـ(التوقيع)، أو أضيفت إلى مخترعيها كـ(الرئاسي)[5]، أو عرفت بهيئتها كـ(المسلسل) الذي ليس في حروفه شيء

---

(1) الفهرست ص6 ط فلوجل.

(2) الفهرست ص6، ابراهيم جمعة: السابق ص 18.

(3) ابراهيم جمعة ص 19.

(4) ابراهيم جمعة: دراسات في تطور الكتابات الكوفية ص20.

(5) نسبة الى مخترعه الفضل بن سهل وزير المأمون، انظر القلقشندي: صبح الأعشى ج3 أنواع الأقلام المعروفة حتى عصر القلقشندي.

ينفصل عن غيره، ولم تعد بعد ذلك تسمى الخطوط بأسماء المدن إلا القليل النادر، فلم تعد تذكر الخطوط المكية والمدنية والبصرية، وبقي اسم الخط الكوفي متداولاً باعتباره أصل (الأقلام المخترعة)[1]، وإذا كان ذكر نسبة الخط إلى المدن قد بدأ يختفي في العصر العباسي أو يكاد، فقد ظهرت تسميات الخط نسبة إلى الأقطار التي تميز الخط فيها بخصائص محلية، فعرف الخط العراقي والمصري والفارسي والأندلسي، يذكر ابن خلدون الخط البغدادي فيقول: «والخط البغدادي معروف الرسم لهذا العهد»[2].

عرفت الخطوط القديمة في العصر العباسي بأسماء، واستحدثوا خطوطاً أخرى، وجعلوا لكل خط كتابة خاصة، وفي تخصص معين، وهذه الطريقة قديمة كانت عند قدماء المصريين، فقد جعلوا كتابتهم ثلاثة أنواع، هي:

الهيروغليفي: وكان خاصاً بالكهان وخدمة الدين.

الهيراطيقي: وكان خاصاً بعمال الدواوين وكتاب الدولة.

الديموطيقي: وكان خاصاً بعموم الكتبة من الشعب.

وكذلك كان الأمر في خطوط العصر العباسي، فكان لكل خط اختصاص معين، من ذلك[3]:

قلم الطومار: كان لتوقيع الخلفاء على التقاليد والمكاتبات، والكتابة إلى السلاطين والعظماء[4].

قلم مختصر الطومار: كان لكتابة اعتماد الوزراء والنواب والمراسيم ولكتابة السجلات.

قلم الثلثين: كان للكتابة عن الخلفاء الى العمال والأمراء في الآفاق.

قلم المدور الصغير: كان لكتابة الدفاتر ونقل الحديث والشعر.

قلم المؤامرات: كان لاستشارة الأمراء ومناقشتهم.

قلم العهود: كان لكتابة العهود والبيعات.

قلم الحرم: كان للكتابة إلى الأميرات من بيت الملك.

قلم غبار الحلية[5]: كان لكتابة رسائل الحمام الطائر.

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 11.

(2) ابن خلدون: المقدمة ص420 فصل الخط.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 16، ابن النديم: الفهرست ص13، الكردي: تاريخ الخط العربي ص 98 ـ 99.

(4) المقصود بالطومار: مقاس للورقة، وقيل مقاس للقلم، وقالوا: قلم الطومار وعرضه 24 شعرة برذون، ويمتاز بغلظ حروفه ووضوحها.

(5) في المراجع وردت (الحلية) بالياء المثناة، وذكر الأثري أنها (الحلبة) بالباء الموحدة، وان مجيئها في صبح الأعشى تصحيف، ولم يذكر الأثري مصدره، انظر الخطاط البغدادي ص81 الهامش 1.

أما الأقلام التي كانت مستعملة، وما زالت مستعملة حتى الوقت الحاضر فهي: مرتبة حسب غلبة استعمالها[1]:

قلم الثلث ـ النسخ ـ الرقعة ـ الفارسي ـ الديواني ـ الكوفي ـ المغربي.

ونعرّف بأهم الخطوط المستعملة، مبينين صفاتها وأوجه استعمالها:

1 ـ الخط الكوفي: (لوح 35)[2]

دأب العرب على تسمية الخطوط بأسماء المدن التي وردت منها، فقد سمى عرب الحجاز الخطوط التي جاءتهم من بلاد النبط والحيرة والأنبار، بالخط النبطي والحيري والأنباري، فكذلك عرف الخط الكوفي نسبة إلى الكوفة، لأنه انتشر منها إلى أنحاء مختلفة من العالم الاسلامي مع الجنود الفاتحين، وقد تم ذلك في عصر ازدهار الكوفة وتميزها بعلوم النحو واللغة والشعر والأدب وعلوم الشريعة الاسلامية.

وكان للكوفة نوعان أساسيان من الخط: نوع يابس ثقيل صعب الإنجاز، تؤدى به الأغراض الجليلة، ونوع آخر لين تجري به اليد في سهولة، وهو الخط الذي انتهى الى الكوفة من المدينة، وقد سمي النوع الأول اليابس (الخط التذكاري)، الذي استخدم في التسجيل على المواد الصلبة كالأحجار والأخشاب لإثبات الآيات القرآنية والأدعية وتاريخ الوفيات، ويتميز هذا الخط بالجمال والزخرفة، وأحياناً بخلوه من النقط وترابط الحروف.

وسمي النوع الثاني اللين (خط التحرير)، الذي كان للمكاتبات والتدوين والتأليف، ونتج من المزج بين الخطين صورة ثالثة تتصف بالرصانة والجلال هي (خط المصاحف) الذي يجمع بين الجفاف والليونة، وظل هذا الخط هو المفضل طيلة القرون الثلاثة الهجرية الأولى[3].

وقد نشأ من الخط الكوفي أنواع فنية وزخرفية، وتطور فانبثقت منه أشكال هندسية جديدة، وبذلك قسم مؤرخو الفنون الإسلامية الكتابات الكوفية إلى الأنواع الآتية[4]:

(1) الكردي ص99 ـ 100.
(2) لوح 35 نماذج من الخط الكوفي.
(3) ابراهيم جمعة: دراسات في تطور الكتابات الكوفية ص28.
(4) ينظر ابراهيم جمعة: السابق ص 45 ـ 46، محمد الحسيني عبد العزيز: الحياة العلمية في الدولة الاسلامية ص51 وما بعدها.

أ ـ الكوفي البسيط: وهو النوع الذي لا يلحقه التوريق أو التجميل أو التضفير، ومادته كتابية بحت، وقد شاع في العالم الاسلامي شرقه وغربه في القرون الهجرية الأولى، وبقي الأسلوب المفضل في غرب العالم الاسلامي حتى وقت متأخر، ومن أشهر أمثلته كتابة قبة الصخرة في القدس.

ب ـ الكوفي المورق: وهو النوع الذي تلحقه زخارف تشبه أوراق الأشجار، تنبعث من حروفه القائمة وحروفه المستلقية، وبالأخص الحروف الأخيرة، سيقان رفيعة تحمل وريقات نباتية متنوعة الأشكال، وقد ازدهرت ظاهرة التوريق هذه في مصر وانتقل منها الى شرق العالم الاسلامي وغربه.

ج ـ الكوفي ذو الأرضية النباتية (الكوفي المخمل): وتستقر فيه الكتابة فوق أرضية من سيقان النبات اللولبية وأوراقه، ويلحق بهذا النوع كتابات تستأثر فيها الحروف بالجزء الأسفل من الإفريز، وتشغل الزخارف النباتية كل فراغ يتخلف بعد ذلك.

د ـ الكوفي المضفر (المعقد أو المترابط): وهو نوع من الزخارف الكتابية التي بولغ في تعقيدها أحياناً الى حد يصعب فيه تمييز العناصر الخطية من العناصر الزخرفية، وقد تضفر حروف الكلمة الواحدة، كما تضفر كلمتان متجاورتان أو أكثر لكي ينشأ من ذلك إطار جميل من التضفير.

هـ ـ الكوفي الهندسي الأشكال: ويمتاز عن بقية أنواع الخطوط الكوفية بأنه شديد الاستقامة قائم الزوايا، أساسه هندسي بحت، ولا تزال نشأته غامضة، وأغلب الظن أن فكرة الزخرفة بالطوب المختلف الحرق في العراق وفارس، والمعروفة بـ(الهزارباف)[1] هي التي أوحت به، وهو شائع في مساجد العراق وإيران. ومن سلالة هذا النوع الكتابات الهندسية المثلثة أو المسدسة أو المثمنة أو المستديرة، والنوع في مجموعه زخرفي بحت، وربما تعذرت قراءة عباراته لشدة تداخلها واشتراك حروفها.

(1) تتكون زخارفه من وضع الطوب المختلف الحرق في أوضاع رأسية وأفقية بحيث تنشأ من ذلك أشكال هندسية وكتابية لا حصر لها.

لوح 35

نماذج من الخط الكوفي

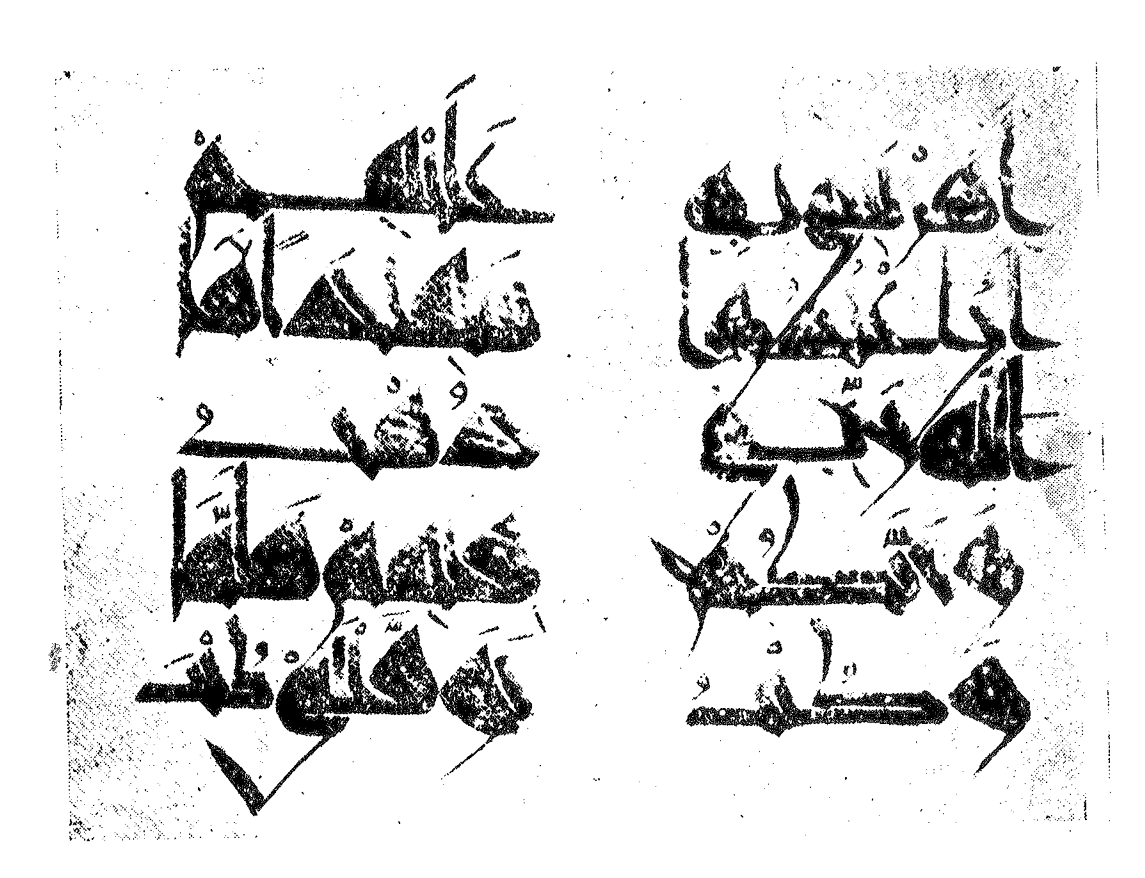
كتابة لمالك بن كثير مؤرخة في سنة 117هـ تمثل الخط الكوفي المتطور.
(تاريخ الخط العربي وآدابه لمحمد طاهر الكردي).



لوح 35ب

نماذج من الخط الكوفي

ورقة من مصحف تطوان بيّن فيه فواصل الآيات وعلامات الاعشار والدوائر الزخرفية. ومبين فيه: العنوان بالخط الكوفي وكتابة البسملة والسورة بخط اندلسي. من القرن الثامن الهجري ـ غرناطة.

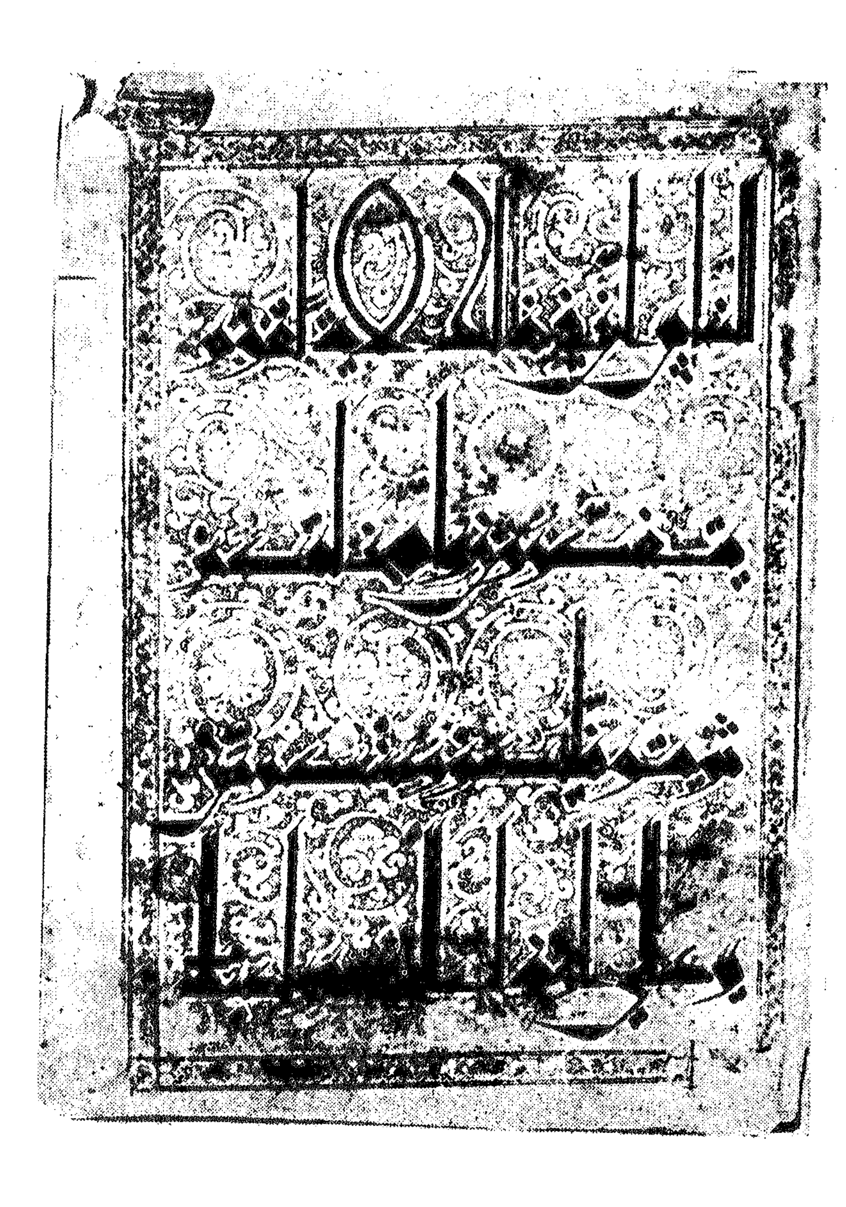


لوح 35ج

نماذج من الخط الكوفي

صفحتان من مصحف فاطمة حاضنة المعزّ بن باديس الصنهاجي بخط كوفي مغربي مضبوط بالحركات

(مكتبة جامع القيروان ـ معهد المخطوطات)

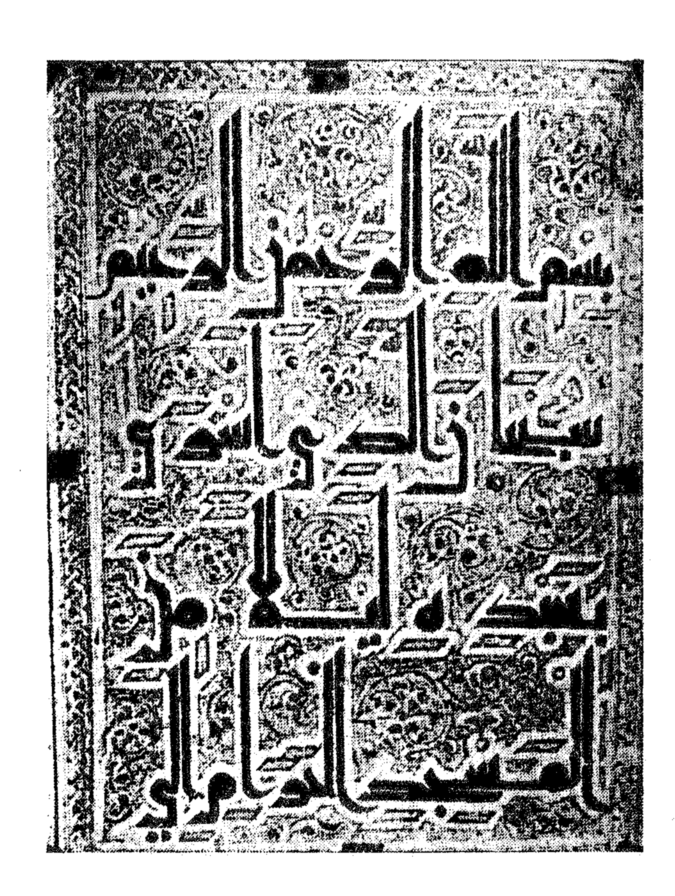


لوح 35د

نماذج من الخط الكوفي

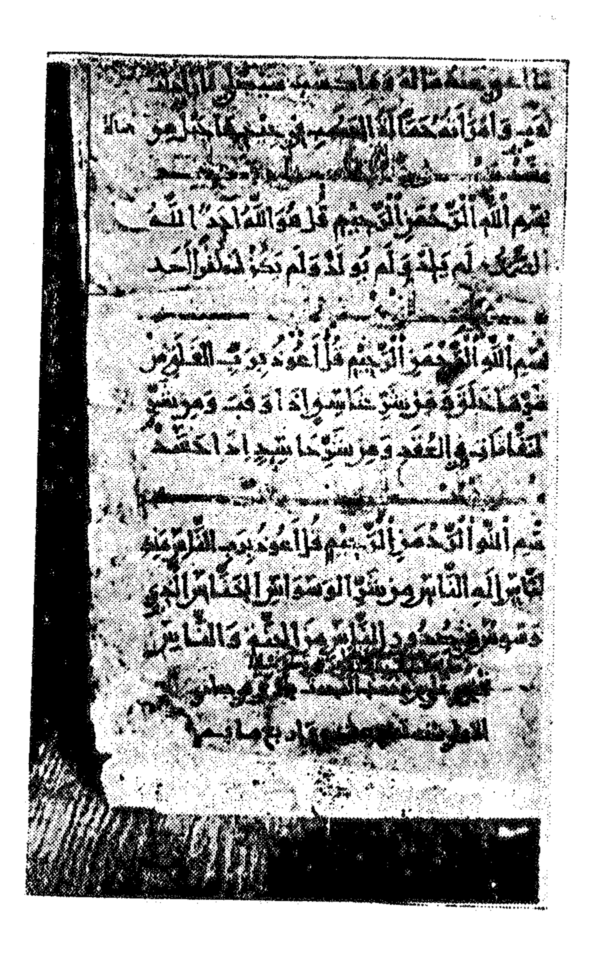
صفحة من مصحف كتب بالخط الكوفي المزهر في القرن الخامس للهجرة

(الروضة العباسية بكربلاء 653)



لوح 35هـ
نماذج من الخط الكوفي

صفحة نادرة من مصحف مذهب كتبه أبو بكر الغزنوي بخط كوفي مزهر سنة 566هـ
(الشرق الاسلامي، المستشرق كورلجي الياباني) و (دار الفن الاسلامي بالقاهرة)



لوح 35و
نماذج من الخط الكوفي

آخر صفحة من مصحف مؤرخ سنة 419 هـ كتبه علي بن محمد المحدّث
بخط كوفي مشكول بحركات
(الروضة الحيدرية ـ النجف) مديرية الآثار العامة.

لوح 35ز

نماذج من الخط الكوفي

صفحة من مصحف الغزنوي بخط كوفي متطور مضبوط بالحركات

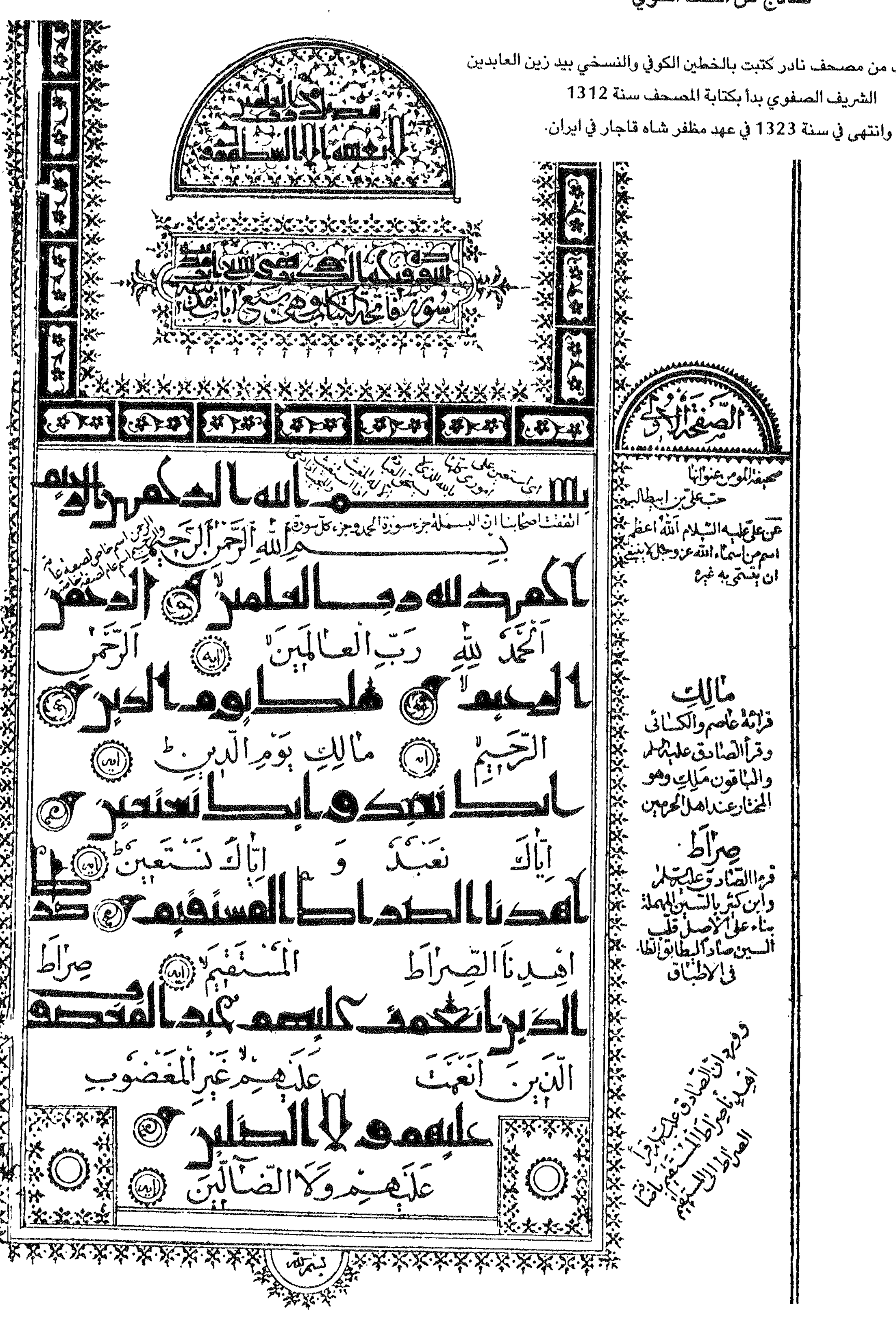
وقد كتبت فواصل السور بخط ثلثي

يعود لسنة 556هـ (دار الفن الاسلامي بالقاهرة)

لوح 35ح

نماذج من الخط الكوفي

فاتحة الكتاب من مصحف نادر كتبت بالخطين الكوفي والنسخي بيد زين العابدين الشريف الصفوي بدأ بكتابة المصحف سنة 1312 وانتهى في سنة 1323 في عهد مظفر شاه قاجار في ايران.



2 ـ خط الثلث: (لوح 36)[1]

يعبر عن الثلث بـ(أم الخطوط)، فلا يعتبر الخطاط خطاطاً إلا إذا أتقنه وهو أصعب الخطوط، ويليه النسخ ويليه الفارسي، وأول من وضع قواعد الثلث الوزير ابن مقلة[2]، وهو نوعان: قلم الثلث الخفيف، وقلم الثلث الثقيل. أما تسمية الثلث بهذا الاسم، وتسمية ما في معناه من الأقلام المنسوبة إلى الكسور، كالثلثين والنصف فعلى مذهبين[3]:

المذهب الأول: ما نقل عن الوزير ابن مقلة أن الأصل في ذلك أن للخط الكوفي أصلين من أربع عشرة طريقة، هما لها كالحاشيتين، وهما:

أ ـ قلم الطومار: وهو قلم مبسوط كله ليس فيه شيء مستدير، وكثيراً ما كتبت به مصاحف المدينة القديمة.

ب ـ قلم غبار الحلية: وهو قلم مستدير كله ليس فيه شيء مستقيم، فالأقلام كلها تأخذ من المستقيمة والمستديرة نسباً مختلفة، فإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثلث سمي قلم الثلث، وإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثلثان سمي قلم الثلثين.

المذهب الثاني: ما ذهب إليه بعض الكتاب أن هذه الأقلام المنسوبة من نسبة قلم الطومار في المساحة، وذلك أن قلم الطومار الذي هو أجلّ الأقلام مساحة، عرضه أربع وعشرون شعرة من شعر البرذون، وقلم الثلث منه بمقدار ثلثه وهو ثمان شعرات، وقلم النصف بمقدار نصفه وهو اثنتا عشرة شعرة، وقلم الثلثين بمقدار ثلثيه وهو ثماني عشرة شعرة[4].

وينسب اختراع قلم الثلث إلى أبي علي ابن مقلة، ويقال إن ابن مقلة مسبوق به فقد سبقه إبراهيم الشجري، وكان أخط أهل دهره، أخذ عن إسحاق بن حماد الكاتب ـ الذي كان في أيام خلافة المنصور والمهدي ـ خط الجليل، واخترع منه قلماً أخف منه سماه قلم الثلثين، ثم اخترع من قلم الثلثين قلماً سماه قلم الثلث[5]. وقد سمي خط الثلث في العصور المتأخرة (المحقق) بسبب تحقيق كل حرف من حروفه للأغراض المراد منها، وكانت تضاف تحت سيناته ثلاث نقط لتجميله وزخرفته، وقد سماه العثمانيون (جلي ثلث).

---

(1) لوح 36 نماذج من خط الثلث.

(2) الكردي: تاريخ الخط العربي ص101.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 52، الصائغ: تحفة أولي الألباب ص40 ـ 41.

(4) القلقشندي: السابق 3/ 52.

(5) أبو حيان التوحيدي: رسالة في علم الكتابة ص 21 ـ 27.

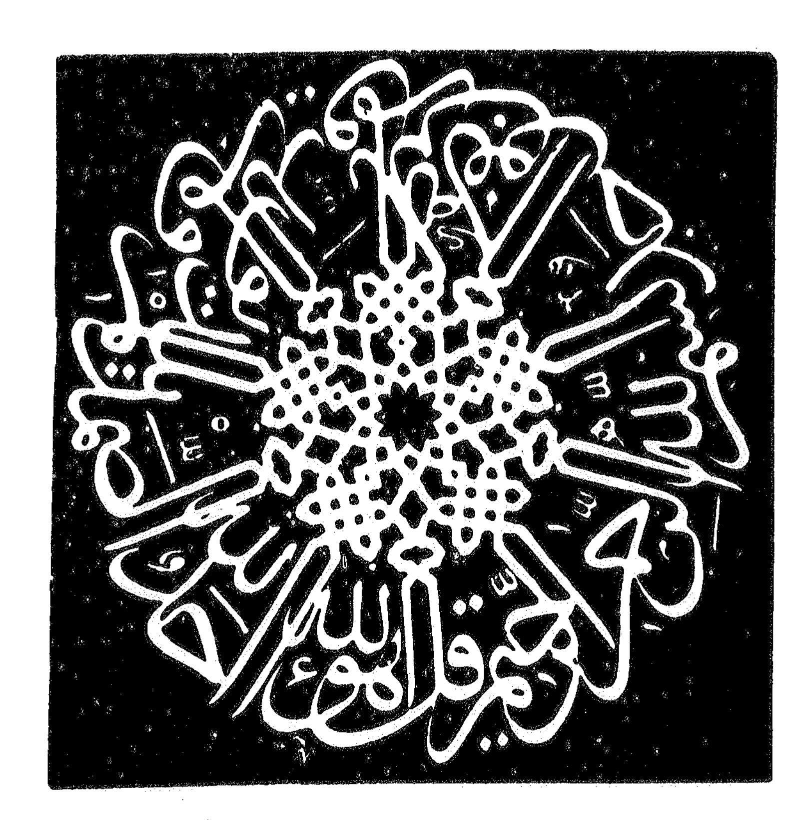
يستعمل خط الثلث في كتابة سطور المساجد والمحاريب والقباب والواجهات، وأوائل سور القرآن الكريم، وفي المتاحف وفي عناوين الصحف والكتب، وهو خط جميل يحتمل كثيراً من التشكيل سواء أكان رقيقاً أم جليلاً.



لوح 36

نماذج من خط الثلث

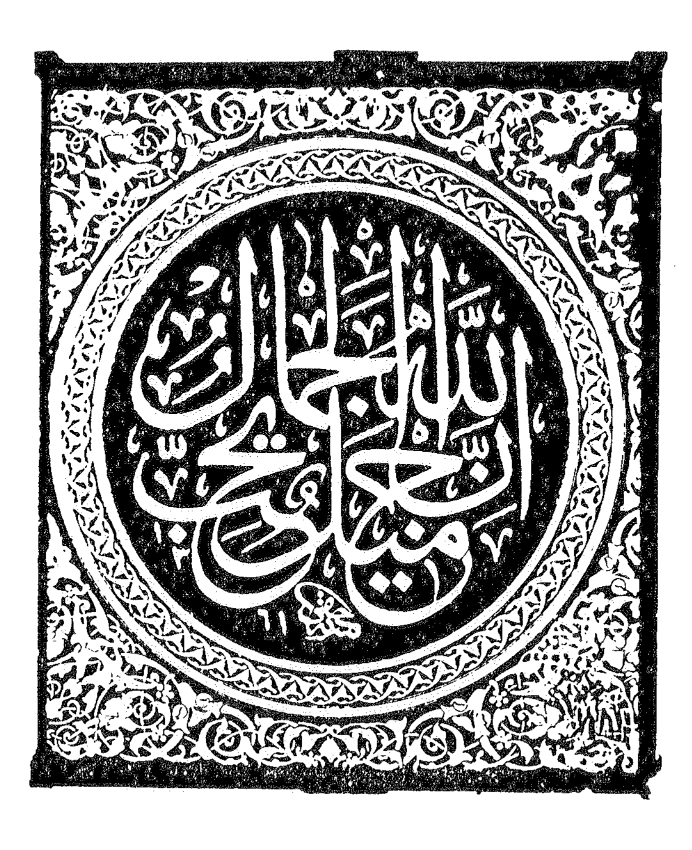
لوحة زخرفية كتبت بخط ثلثي جلي، نصها: «ولا يحيق المكر السيىء إلّا بأهله»، من كتابة الخطاط هاشم محمد سنة 1375هـ.



لوح 36ب

نماذج من خط الثلث

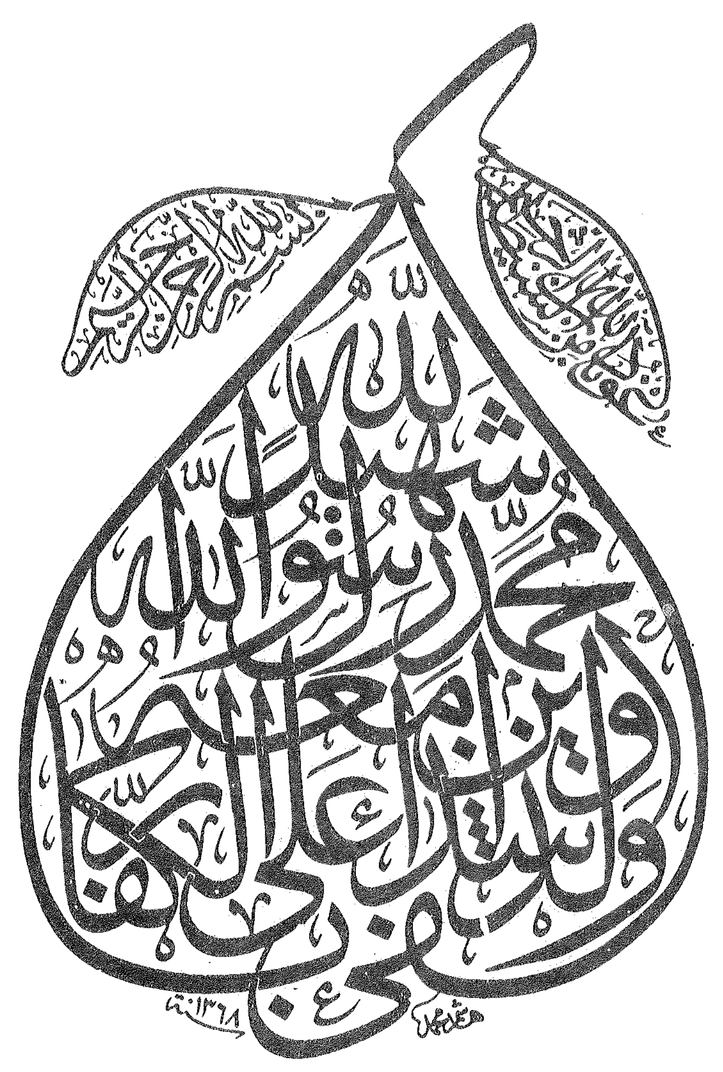
نموذج من كتابة بخط ثلثي على هيئة مستديرة حول زخرفة نجمية نصها:
بسملة، وسورة الاخلاص.



لوح 36ج

نماذج من خط الثلث

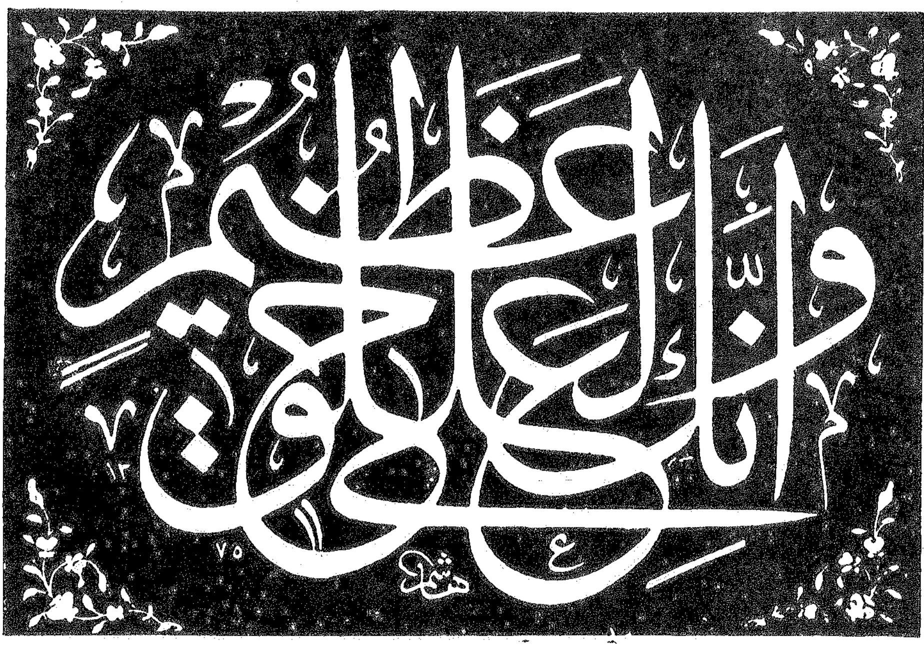
نموذج لوحة كتابة زخرفية بخط ثلثي جلي، نصها: «ان الله جميل يحب الجمال»،
كتبها الخطاط حقي سنة 1361هـ.



لوح 36د

نماذج من خط الثلث

نموذج كتابة زخرفية على هيئة كمثري بخط ثلثي. وكتب في الأوراق «اعوذ بالله...» و«بسم الله...»، كتبها الخطاط هاشم محمد البغدادي على غرار بسملة الشيخ عزيز الرفاعي.



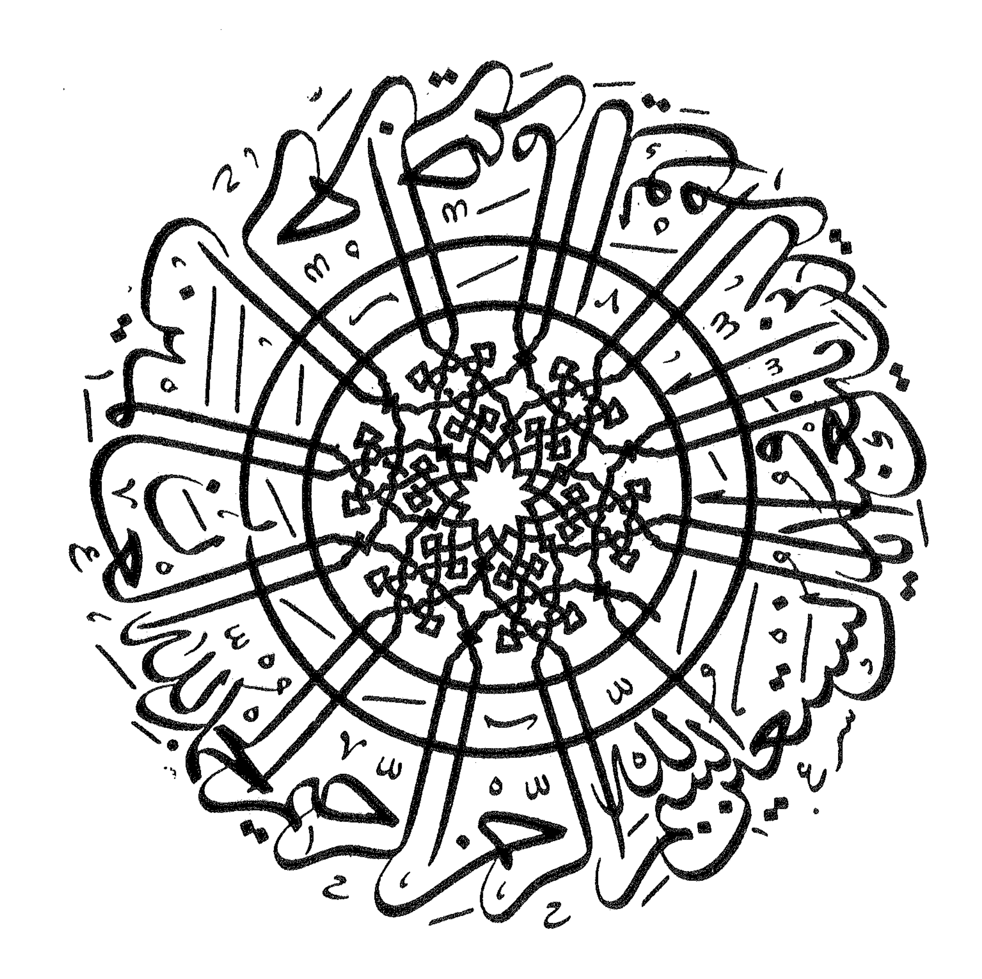
نموذج كتابة زخرفية بخط ثلثي جلي، كتبها الخطاط هاشم محمد البغدادي نصها: «وانك لعلى خلق عظيم».



لوح 36هـ

نماذج من خط الثلث

نموذج كتابة زخرفية بخط ثلثي جلي، كتبها الاستاذ ماجد في فترة تدريسه بكلية دار الفنون سنة 1376هـ. نصها: «إنه كان عبداً شكوراً».



لوح 36و
نماذج من خط الثلث

نموذج من كتابة بخط ثلثي على هيئة مستديرة تتوسطها زخرفة نجمية هندسية نصها:
«بسملة وسورة الفاتحة»، كتبها الخطاط حامد الآمدي.

3 ـ خط النسخ: (لوح 37)[1]

ينسب اختراع خط النسخ إلى أبى عبدالله الحسن بن مقلة، أخي الوزير أبي علي بن مقلة، وقد ولّد الوزير ابن مقلة وأخوه أبو عبدالله طريقة اخترعاها وكتب في زمانها جماعة لم يقاربوهما، وتفرد أبو عبدالله بـ(النسخ)، والوزير أبو علي بـ(الدرج)، وكان الكمال في ذلك للوزير، وهو الذي هندس الحروف وأجاد تحريرها، وعنه انتشر الخط في مشارق الأرض ومغاربها[2]. وقال ياقوت: كان الوزير أوحد الدنيا في كَتْبِهِ (قلم الرقاع) و(التوقيعات)، لا ينازعه في ذلك منازع، ولا يسمو إلى مساماته ذو فضل بارع. وكان أبو عبدالله أكتب من أخيه في (قلم الدفتر) و(النسخ) مسلماً له في فضيلته، غير مفاضل في كَتْبِتِه[3].

وهناك رأي يقول: إن الخط النسخي أقدم من ابني مقلة بكثير، وإنه كان مستعملاً في دواوين الكتابة سنة 40 هـ، والنسخ المخطوطة من المصاحف السابقة للقرن الرابع الهجري مكتوبة بخط كوفي، ومنها بخط نسخي، يحتمل أن علماء الكوفة اقتبسوه مباشرة من أحد الخطوط القديمة لجزيرة العرب[4]، قال صاحب إعانة المنشىء: «على أن الكثير من كتاب زماننا ـ القرن الثامن الهجري ـ يظنون أن الوزير أبا علي بن مقلة هو أول من ابتدع ذلك، وهو غلط، فإنا نجد الكتب بخط الأولين فيما قبل المائتين للهجرة مما ليس على صورة الخط الكوفي، بل نرى الخط يتغير عنه إلى نحو هذه الأوضاع المستقرة (من الخط النسخي)، وإن كان هو إلى الكوفي أميل لقرب من نقله عنه، والخط الذي استعمل للتدوين هو الخط النسخي الأول»[5]، وأقول إن المراد بابتداع ابن مقلة لخط النسخ أنه طوره بالشكل الذي وصل إليه فصار يختلف عن الخطوط السابقة، فكأنه اخترعه اختراعاً.

وقد سمي هذا القلم بالنسخ لأن الكتاب كانوا ينسخون به المصحف، ويكتبون به المؤلفات، وهو مشتق من (الجليل) أو (الطومار)، أو منهما معاً، وكان ابن مقلة يسميه (البديع)[6].

---

(1) لوح 37 نماذج من خط النسخ.
(2) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 17، وضوء الصبح المسفر 1/ 183.
(3) معجم الأدباء 10/ 29.
(4) هوداس: محاولة في الخط المغربي، حوليات الجامعة التونسية سنة 1966م، المصرف: مصور الخط العربي ص318.
(5) المصرف: مصور الخط العربي ص321.
(6) الأثري: الخطاط البغدادي ص50.



لوح 37

نماذج من الخط النسخي

كتابة قطعة من رسالة جزية على ورق البردي تمثل الخط النسخي القديم الحجازي (كتابة التدوين) سنة 90هـ

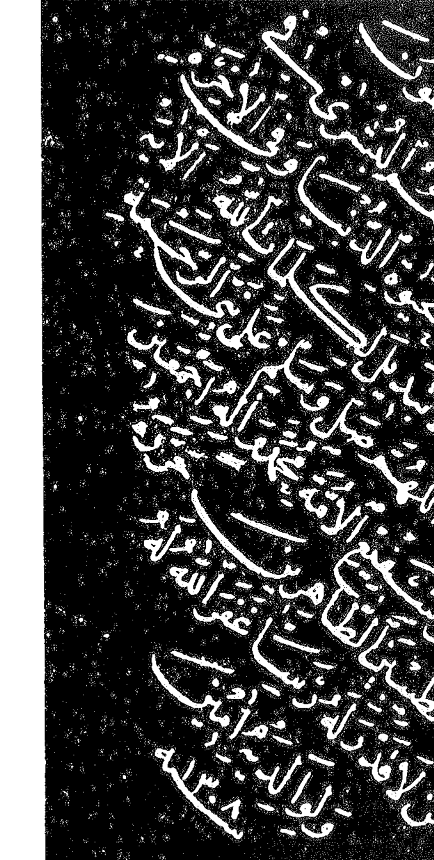
بعد لا مرا هل بو سر و ا بوحرم
ارسا الله و السلم عليك
ورحمة الله و كتب عكرمه
مرسا دوا ر ا سفل الارض
بوم الاسر لا بـ عسره لله
سسـ مر ذي الحجه سنه ثلث
واربعين ومايه

لوح 37ب

نماذج من الخط النسخي

رسالة عكرمة مؤرخة سنة 143هـ وهي بخط نسخي قديم وهي نموذج لخط التدوين.

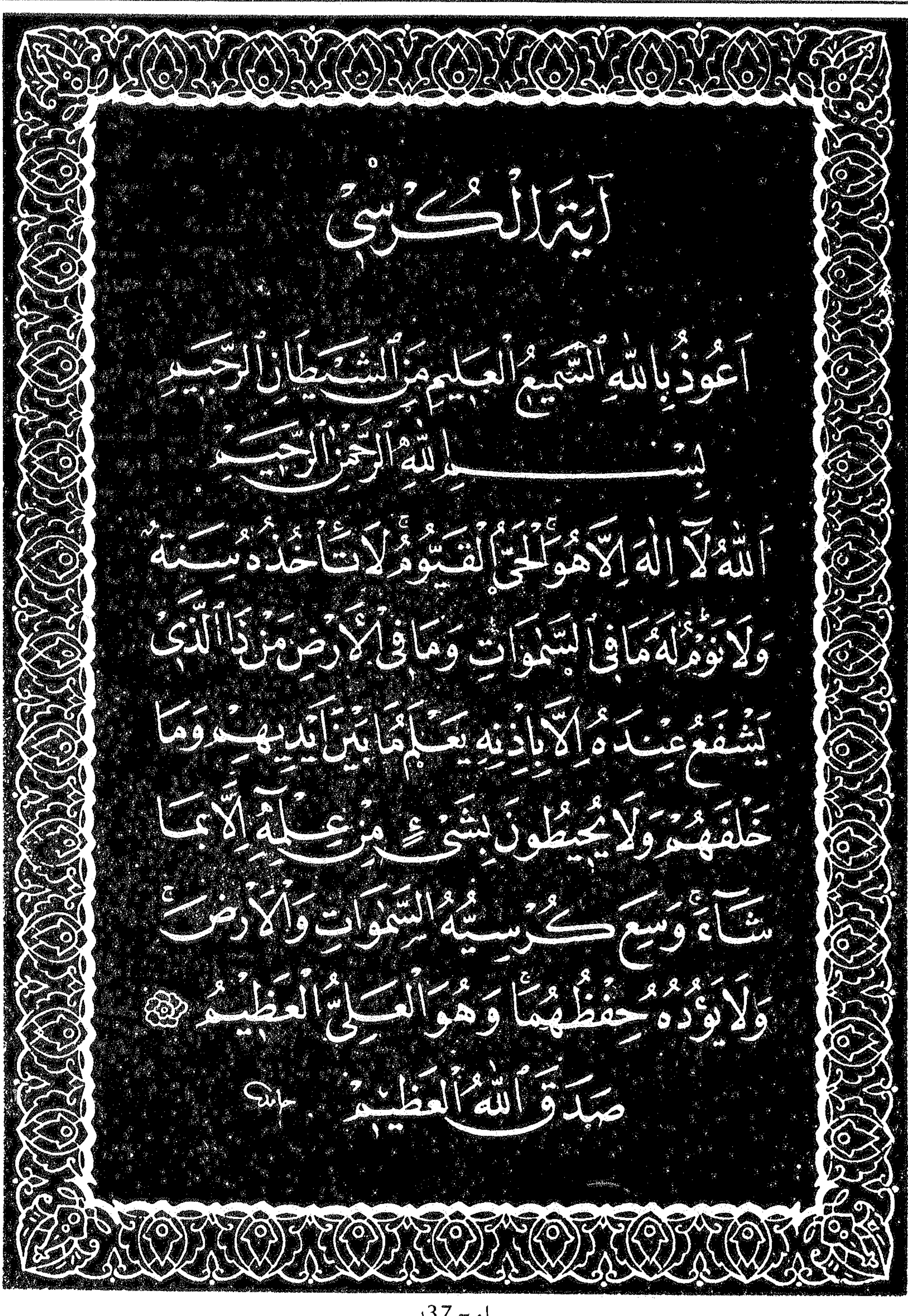
كرّم الله وجهه أنه قال لرجل رآه قبح الخط
أطل جلفة قلمك وأسمنها (١) وحرّف قطتك
وأيمنها وأسمتها (٢) وأعدل أقسامك وأقم
ألفك ولامك فهذه الوصية تضمنت
أصول الكتابة (٣) سأل الصوفي بعض الكتّاب
عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة
فقال إذا اعتدلت أقسامه وطالت
ألفه ولامه واستقامت سطوره
وضاهى صعوده حدوره (٤) وتفتحت
عيونه ولم تشتبه راؤه ونونه
وأشرق قرطاسه وأظلمت أنفاسه

لوح 37ج
نماذج من الخط النسخي

نموذج كتابة بخط نسخي، كتبها الخطاط المدعو (رسا) الذي أوفده السلطان من استانبول الى دمشق لكتابة خطوط المساجد.

نموذج كتابة بخط نسخي لاحدى صفحات مخطوطة (تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب) تأليف عبد الرحمن ابن الصايغ المتوفى سنة 845هـ. تحقيق وتقديم الاستاذ هلال ناجي.



لوح 37د
نماذج من الخط النسخي

نموذج كتابة بخط نسخي نصها: (آية الكرسي)، من كتاب الخطاط حامد الآمدي.

إن خط النسخ قريب من الثلث من حيث الجمال والروعة والدقة، وهو يحتمل التشكيل، ولكن أقل من الثلث، ويزيده التشكيل حسناً ورونقاً، ويكتب بخط النسخ القرآن الكريم والأحاديث النبوية ويصلح لبعض اللوحات الكبيرة، فقد كتبت به على التحف الثمينة المعدنية والخشبية، وكتب به على الجص والآجر والرخام، واعتبر عنصراً من عناصر الزخرفة.

نال خط النسخ عناية كبيرة في العراق في العصور العباسية، وقد بولغ في تحسينه وتجويده في عصر الأتابكة (545 هـ) حتى عرف بالنسخي الأتابكي، الذي جرى على نسبة ثابتة، وهو الذي كتبت به المصاحف في العصور الإسلامية الوسطى، وحل محل الخطوط الكوفية، وفي العصر الأيوبي في مصر والشام حلت الخطوط الثلثية والنسخية محل الخط الكوفي، وانتشر خط النسخ في شرق العالم الإسلامي وغربه، وغدا الذوق المفضل، ولم ينقضِ القرن السادس الهجري حتى قل شأن الخطوط الكوفية، سواء في كتابة المصاحف أو في النقوش على جدران المساجد[1].

إن خط النسخ يساعد الكاتب على السير بقلمه بسرعة أكثر من خط الثلث، وذلك لصغر حروفه وتلاحق مداتها مع المحافظة على تناسق الحروف وجمال الرونق[2].

4 ـ الخط المغربي: (لوح 38)[3]

اشتق الخط المغربي من الخط الكوفي القديم، وأقدم ما وجد منه يرجع إلى ما قبل سنة ثلثمائة للهجرة (912 م)، وكان يسمى الخط (القيرواني)، نسبة إلى القيروان عاصمة المغرب بعد الفتح الإسلامي، وقد أسست القيروان سنة 50 هـ (670 م)، وقد اكتسبت هذه المدينة أهمية سياسية عندما انفصل المغرب عن الخلافة العباسية، وصارت عاصمة دولة الأغالبة ومركز المغرب العلمي لإنشاء جامعتها الكبرى، فتحسن بها الخط المغربي تحسناً عظيماً وعرف بها.

ولما انتقلت عاصمة المغرب من القيروان الى الأندلس ظهر فيها خط جديد سمي بـ(الخط الأندلسي) أو (القرطبي)، وهو مقوس الأشكال على خلاف الخط القيرواني الذي كانت حروفه مستطيلة مزواة[4].

(1) ابراهيم جمعة: قصة الكتابة العربية ص63.

(2) المصرف: مصور الخط العربي ص 366، وليد الأعظمي: تراجم خطاطي بغداد ص 74.

(3) لوح 38 نماذج من الخط المغربي.

(4) عبد الفتاح عبادة: انتشار الخط العربي ص 76.

والخط المغربي من الخطوط القديمة، وهو منتشر الآن في جميع أنحاء أفريقية الشمالية (غير مصر وبعض جهاتها الوسطى والغربية)، وقد كان مستعملاً في أسبانيا في القرون الوسطى، وقد ساءت أمور هذا الخط بعد اضمحلال الدولة الموحدية، وساءت رسومه وصارت حروفه بعيدة عن الجودة والاتقان، وكثر فيه التصحيف[1].

وقد تولد من الخط المغربي هذا خط جديد انتشر في جميع أنحاء السودان، وذلك لانتشار الاسلام في تلك الأصقاع على يد أهل المغرب، فمنذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وجدت عدة حكومات اسلامية في أواسط أفريقية مركزها مدينة (تمبكتو) المؤسسة سنة 610هـ، فنشأ هناك خط جديد سمي بالخط (التمبكتي أو السوداني)، ويتميز بكبره وغلظه عن باقي الخطوط في المغرب العربي.

كما عرف نوع آخر من الخط المغربي في أفريقية سمي (الخط الأفريقي)[2]، وفي شمالي أفريقية الآن أربعة أنواع من الخط المغربي هي:

1 ـ الخط التونسي: ويشبه الخط المشرقي في رسم حروفه، إلا أنه يختلف عنه في تنقيط القاف والفاء.

2 ـ الخط الجزائري: وهو ذو زوايا، وحروفه حادة وصعب القراءة غالباً.

3 ـ الخط الفاسي (نسبة الى مدينة فاس): ويمتاز باستدارة بعض حروفه وهو خط مراكش.

4 ـ الخط السوداني: وتمتاز حروفه بأنها غليظة وذات زوايا حادة كبيرة، وقد اشتق منه الخط التكروني[3].

الخط الأندلسي أو القرطبي:

إن الخط المغربي هو امتداد للخط الأندلسي الذي اكتسب في المغرب حياة جديدة، وجمالاً جديداً، وكان في المغرب خط قديم يسمى الخط الأفريقي، وأوضاعه قريبة من أوضاع الخط المشرقي[4]، ولما تغلب الأمويون على الأندلس ظهر لهم هناك خط خاص هو المعروف بالخط الأندلسي، ويظهر فيه بعض الميل الى الاقتباس من الحروف الافرنجية، وعندما تقلص ظل العرب

(1) السابق نفسه ص 76.

(2) عبادة: انتشار الخط العربي ص 77.

(3) نسبة الى مدينة تكرون السودانية، وبلاد التكرون هي جزء من السودان الغربي يقابل بلاد مراكش جنوباً والسنغال شرقاً.

(4) ابن خلدون: المقدمة ص 366.

والأفـارقة من الأنـدلس وتلاشى ملكهم بها، وانتشروا في عـدوة المغـرب وأفريقيـة منذ ظهـور الدولـة اللمتونية، غلب خطهم الأنـدلسي على الخط الأفريقي القديم وعفى عليه، إلا بقايـا منه ظلت ببلاد الجريد التي لم يخالط أهلها كتاب الأندلس[1].

ويمتاز الخط الأندلسي عن الخط المغربي بما يشيع فيه من الاستدارات وتداخل الكلمات وإطالة أواخر الحروف، والعناية بتنسيق الكتابة وتحسينها، ويشترك الخط الأندلسي والمغربي في طريقة النقط، فالفاء لا توضع فـوقها نقطة كما يضعها المشارقة وإنما تجعل في أسفل الحرف، والقـاف لا توضع فوقها نقطتان بل توضع فوقها نقطة واحدة.

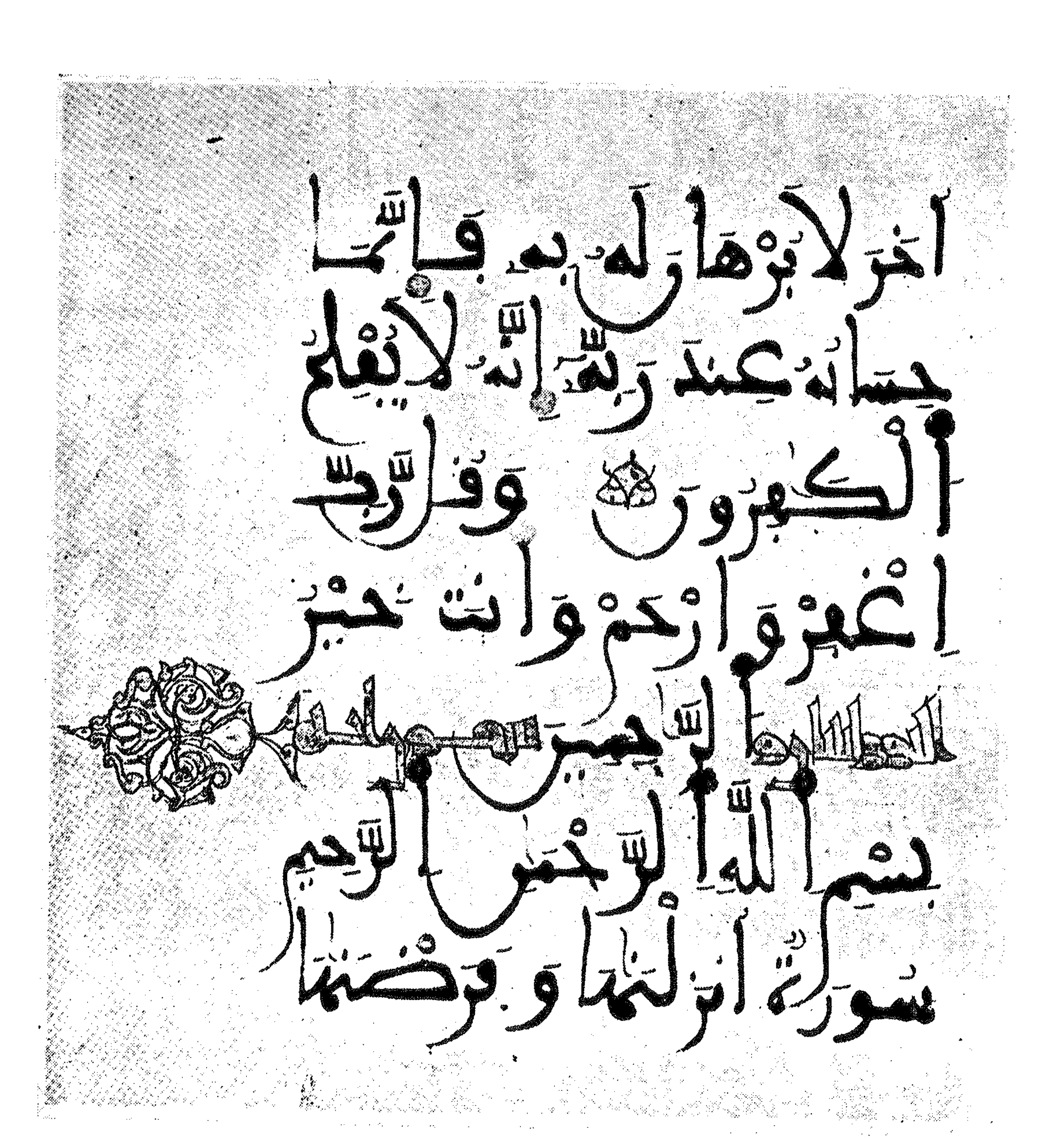
والترتيب الهجائي للحروف الأندلسية والمغربية يخالف طـريقة المشارقة، ومن هنا اختلف ترتيب بعض معـاجمهم وكتب رجـالهم عن تـرتيب المشـارقة، ويظهـر ذلك لمن نظـر في معجم مـا استعجم للبكري نشرة وستنفيلد، ومشارق الأنوار للقاضي عياض، وهذا ترتيب حروفهم:

(أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هـ، و، لا، ي)[2].

---

(1) عبد السلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها ص 27.

(2) هارون: تحقيق النصوص ونشرها ص 28.

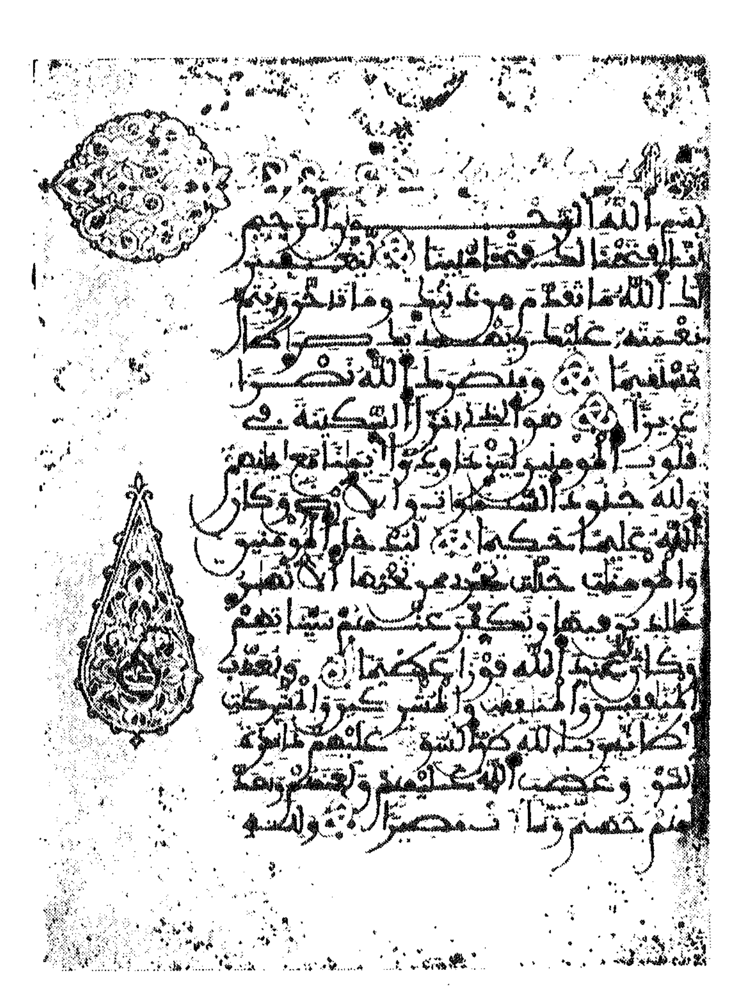


لوح 38

نماذج من الخط المغربي والأندلسي

صفحة نادرة من مصحف مغربي من القرن 8هـ ـ 14م في فاصل السورة زخرفة مذهبة وملونة بقياس: 20,4×17,5سم.

(من مكتبة جستر بيتي ـ دبلن)



لوح 38ب

نماذج من الخط المغربي والأندلسي

صفحة من مصحف بخط اندلسي كامل «الحركات» من حيث الشكل والنقط يعود لسنة 976هـ من مراكش
(المتحف البريطاني) (OPB.27)

3. Fāsī. After Louis J. Bresnier, *Cours pratique et théorique de langue arabe* (Alger, 1855) Pl. XXXII on p. 150

لوح 38ج

نماذج من الخط المغربي والأندلسي

نموذج من الكتابة بالخط الفاسي في مراكش أو هي الكتابة المغربية العالية، «ويصعب تحديد تاريخها».



سورة فاتحة الكتاب مكية
وهي سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العلمين الرحمن
الرحيم ملك يوم الدين ايا
ك نعبد واياك نستعين
اهدنا الصرط المستقيم
صرط الذين انعمت عليهم
غير المغضوب عليهم
ولا الضالين

لوح 38د

نماذج من الخط المغربي والأندلسي

صفحة نادرة من مصحف افريقي كتب بخط متطور من الكوفي الأول وفواصل آياته ثلاث نقط متراكبة يعود للقرن 13هـ ـ 19م.

(من مكتبة جستر بيتي ـ دبلن)

لوح 38هـ

نماذج من الخط المغربي والأندلسي

نموذج كتابة بخط اندلسي كتبت في القرن العشرين من كتاب «الفن والفنانون المسلمون» انطونيو غراسيا خاين طبعة مدريد.

لوح 38و

نماذج من الخط المغربي والأندلسي

نموذج كتابة من مخطوطة «الفارسية» لابن قنفد بخط قسطنطيني كتبت 959هـ من مكتبة الاسكوريال.

نموذج كتابة بالخط القيرواني القديم وهو شبيه بالخط الكوفي.

نموذج كتابة اندلسية زال استعمالها منذ أمد طويل وهي من بين أنواع الخط المغربي أسهلها في التعرف عليها.

لوح 38ز

نماذج من الخط المغربي والأندلسي

5 ـ خط الاجازة (التوقيع): (لوح 39)[1]

خط الاجازة أو التـوقيع : وهو مـا كان بين الثلث والنسخ ، وقد وضع أسـاس قواعـده يوسف الشجري (المتـوفى سنة 210هـ)، فإنه ولـده من الخط الجليل، وسماه الخط الـرياسي . أخذ يـوسف الشجري القلم الجليل عن اسحاق بن حماد ، واخترع منه قلما أدق منه ، وكتبه كتابة حسنة فأعجب به ذو الريـاستين الفضل بن سهل وزير المأمـون، وأمر أن تحرر الكتب السلطانيـة به ، ولا تكتب بغيره ، وسماه (القلم الرئاسي)، قـال بعض المتأخرين : وأظنه (قلم التـوقيعات)[2] ثم جـاء مير علي سلطان التبريزي (المتـوفى سنة 919هـ) والملقب بقبلـة الكتاب ، فوضع قـواعده الجديدة ، ويقـول الكردي : وليس في تعلمه شيء من الصعوبـة ، ولا يحتاج الكاتب إلا لكثرة التمرين فيـه ليرسخ في الذهن كيفية المزج والخلط بين الثلث والنسخ[3] .

أما سبـب تسمية هـذا الخط بـ (الاجازة)، فيبـدو أنها جاءت متـأخرة بعـد استعماله في الأعمال الرسميـة (بعد إجـازته)، ويقـال : سمي بالاجـازة لتجوز الخطـاط الجمع بين هذين النـوعين الثلث والنسخ[4]، وأما سبب تسميته بخـط (التوقيع) فبسبب استعمال الخلفاء والوزراء لـه عند التوقيع على ظهور القصص، كما يسمى بخط التواقيع أو التوقيعات ، ويستعمل هـذا الخط في كتابة عناوين سور القرآن الكريم وعدد آياتها ، وعناوين الكتب والإجازات العلمية والبطاقات الشخصية .

وخط الإجـازة كـالثلث من حيث الأغـراض التي يستعمل فيهـا ، كما أنـه يحتمل التشكيل مثل الثلث ، ويكون في ابتداء حروفه ونهاياتها بعض الانعطاف ، ويزيدها ذلك حسناً .

إن أفضل أنواع هذا الخط (الاجـازة) هو ما كتب في خواتيم المصـاحف والإجازات العلمية التي ينسب وضعهـا للخطاط عبـد الـرحمن المشهور بـابن الصايغ (المتـوفى سنـة 845هـ)، والإجـازة هي كالشهادة التي تمنح للمتفوقين في الخط عند بلوغهـم الذروة في الكتابة ، ولذلك أطلق على هذا الخط اسم الإجازة[5] .

---

(1) لوح 39 نماذج من خط الاجازة .

(2) القلقشندي : صبح الأعشى 3/ 16 ، ابن النديم : الفهرست ص13 .

(3) تاريخ الخط العربي ص 107 .

(4) تركي الجبوري : الخط العربي الاسلامي ص109 ، وليد الأعظمي : تراجم خطاطي بغداد ص77 .

(5) المصرف : مصور الخط العربي ص 379 .

توكلي على خالقي

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابـة وبسملـة في الأعلى بخط محقق، وفي الاسفل بخط شبيه بخط (التوقيع القديـم) الذي تطور الى خط الاجازة أو خط التعليق الذي ابتكره الطيبي سنة 908هـ.
ونص الكتـابة يتضمن وصيـة السلطان مراد الثـاني بن السلطان محمد الأول بن السلطـان بايزيد مـؤرخة سنة 850هـ. انظر: جامع محاسن كتابة الكتاب ص 42.
(Vakiflar Dergisi Ankara - 1958)

لوح 39
نماذج من خط الاجازة

نموذج كتابة حجة شرعية بتاريخ 910هـ كتبت باللغة العربية بخط شبيه بخط (التوقيع القديم) الذي تطور الى خط الاجازة وهي من قاضي روم ايلي، وهذا الخط مزيج من النسخي والتوقيع. (متحف طوب قبو رقم 32 سجلات الأوقاف).

انظر: Aski Yazi Lari Okuma Anahtari تاليف الخطاط: محمد يازر التركي.

لوح 39ب
نماذج من خط الاجازة



لوح 39ج
نماذج من خط الاجازة

كتابة بخط الاجازة الحالي في خاتمة مصحف شريف نصها باللغة التركية، كتبها الخطاط بور دوري قايش زاده حافظ عثمان في عهد السلطان عبد الحميد خان الثاني سنة 1322هـ.

لوح 39د

نماذج من خط الإجازة

نموذج كتابة بخط الإجازة الحالي في خاتمة كراسة (مجموعة الخطوط العثمانية)، كتبها الخطاط محمد عزت؛ معلم حسن الخط في الكتب السلطاني باستانبول سنة 1306هـ

6 ـ الديواني: (لوح 40)[1]

سمي هـذا الخط بالـديواني لاستعماله في الـديوان العثماني الهمايـوني السلطاني، فجميـع الأوامر الملكية والانعامات والفرمانات التركية سابقاً كانت تكتب به، وكان هذا الخط في الخلافة العثمانية سراً من أسرار القصور السلطانيـة لا يعرفه إلا كاتبه، أو من ندر من الطلبـة الأذكياء، ثم انتشر في عصرنا انتشاراً كبيراً بفضل مدرسة الخطوط العربية الملكية بمصر.

وأول من وضع قواعد الخط الديواني هو ابـراهيم منيف، بعد فتح السلطان محمد الفاتح العثماني القسطنطينية سنة 857هـ[2].

والخط الديواني قسمان: ديواني رقعة، وديواني جلي، فالأول مـا كان خالياً من الشكل والزخرفة، ولا بد من استقـامة سطـوره من أسفل فقط. والثاني: مـا تداخلت حـروفه في بعض وكـانت سطوره مستقيمـة من أعلى وأسفل، ولا بـد من تشكيله بـالحركـات وزخرفتـه بـالنقط حتى يكـون كالقطعـة الواحـدة[3].

وقد عرف الديواني الجلي في نهاية القـرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر الهجريين، وهو يحمل خصائص ومميزات الديواني، ابتدعه أحد رجال الفن يـدعى شهلا باشا في الدولة العثمانية وقد روج له أرباب الخط بالانتشار في أنحاء البلاد العثمانية، وأولوه العنايـة بكتابته في المناسبات الرسمية الجليلة، وهو يمتـاز على أصله الـذي تفرع منـه ببعض حركات اعـرابية ونقط مـدورة زخرفيـة، رغم أن ألفباء حروفه المفردة بقيت مشـابهة لأصلها الديواني كما تبدو للناظر لأول وهلة، وقـد ضبطت بقواعد ميزان النقط على غرار حـروف الخط الثلثي. وممن اشتهر بتجـويد هـذا الخط في مصر مصطفى بك غزلان، وقد أطلق في مصر على هذا الخط (الخط الغزلاني)، وأصدر كراريس تضم نماذج من خطه هذا[4].

وقد اعتمد هذا الخط في كتابة حروفه على الخط الـريحاني، ومن مميزاته أن حروفه متشابكة وذات زوائد رفيعة متدلية من أطرافها العليا في الغالـب، كما أنه من الصعب على الجميع الكتابة به أو قراءته، ولذا فهو صعب التزوير[5].

إن الخط الديـواني جميل جداً ومنسق للغـاية، وكتابتـه الدقيقة تكـون عادة أجمل من الكتـابات الكبيرة، ويستعمل خاصة في مراسلات الملوك والأمراء والـرؤساء، وكذلك في كتابة البراءات ومراسيم الأوسمة الرفيعة، والشهادات المدرسية والمستندات والمعـايدات والبطاقات الشخصية والتحف الفنية الدقيقة[6].

---

(1) لوح 40 نماذج من الخط الديواني.

(2) الكردي: تاريخ الخط العربي ص 102 ـ 103، المصرف: مصور الخط العربي ص 380.

(3) الكردي ص 102.

(4) المصرف ص 381.

(5) تركي الجبوري: الخط العربي الاسلامي ص 127.

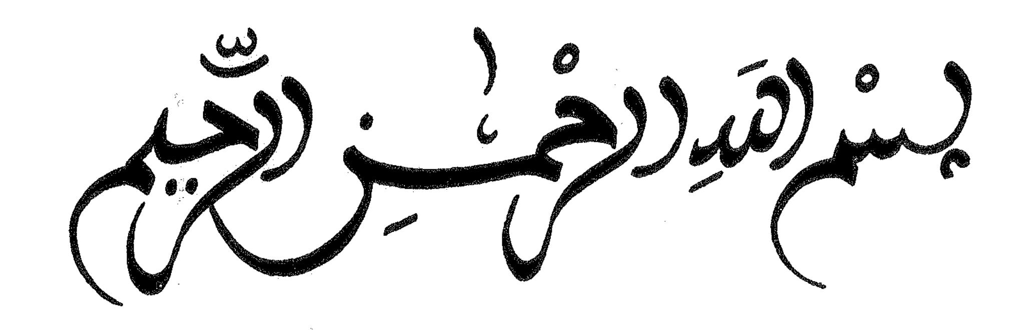
(6) وليد الأعظمي: تراجم خطاطي بغداد ص 87.



لوح 40
نماذج من الخط الديواني
نموذج بسملات بخط ديواني، من كتابات الخطاط هاشم محمد البغدادي وغيره.

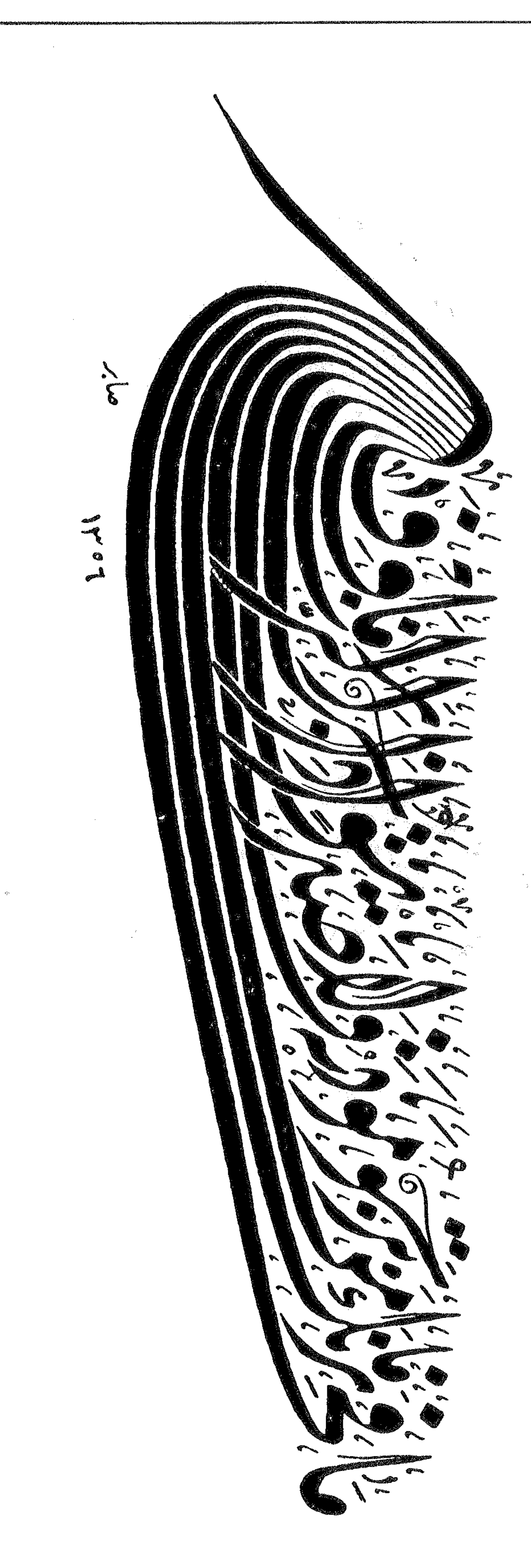


نموذج بسملة ودعاء على هيئة زورقية بخط «ديواني جلي»، كتبها الخطاط السيد ابراهيم.



نموذج بسملة كتبت بخط مماثل للخط الديواني في وثائق من الاندلس «مجلة معهد المخطوطات».

لوح 40ب
نماذج من الخط الديواني

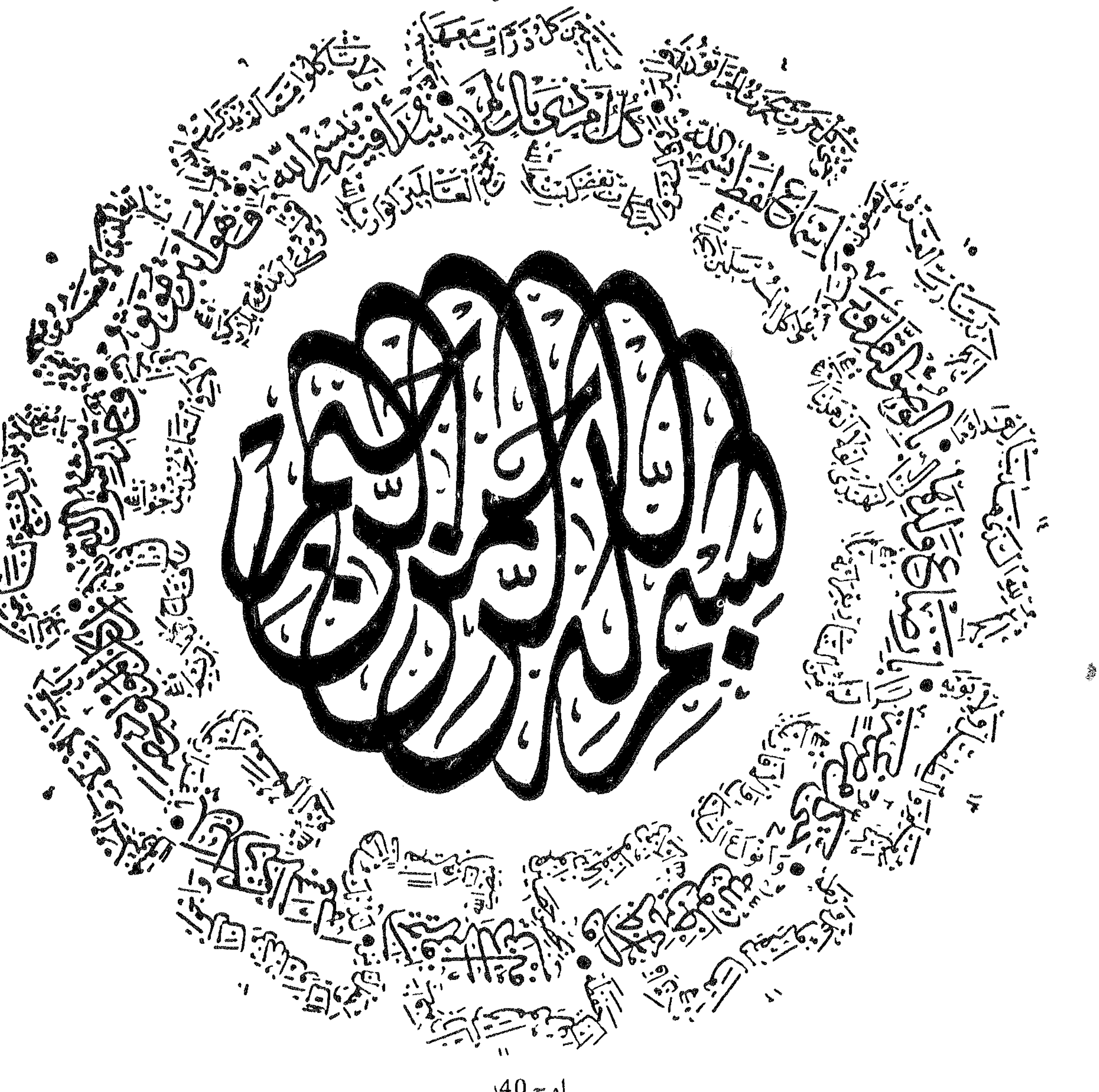


لوح 40ج

نماذج من الخط الديواني

نموذج نص كتابة زورقية الشكل بخط ديواني جلي، كتبها الخطاط الملا علي الملقب بصابر سنة 1356هـ نصها:

(ما في زمانك من ترجو مودته   ولا صديق إذا جار الزمان وفا)



لوح 40د

نماذج من الخط الديواني

نموذج بسملة دائرية الشكل بخط ديواني جلي في الوسط وحولها كتابة بخط ثلثي ونسخي وهي ادعية تبدأ ببسملة من الأعلى كتبها الخطاط عبد القادر سنة 1379هـ.

7 ـ الطُّرَّة (الطُّغْراء): (لوح 41)[1]

الطـرة أو الطغـراء أو الطغرى: كتـابـة جميلـة صغيرة بخط الثلث على شكل مخصـوص، وهي معروفة ومشهورة، وأصلهـا علامة سلطانية (شارة ملكية) مستحدثـة، تكتب في الأوامر السلطانية أو على النقود الاسلامية أو غيرها، يذكر فيها اسم السلطان أو الملك أو اسم أبيه ولقبه[2].

وأول ذكر للطغـراء يأتي مرتبطـاً باسم الشاعـر أبي اسماعيل الحسين بن علي المعروف بـالطغرائي (المتوفى سنـة 515هـ) صـاحب لامية العجـم، قال ابن خلكـان في ترجمته: «ذكـره أبو البركـات ابن المستـوفي في تـاريخ أربل، وقـال: إنـه ولي الـوزارة بمـدينـة أربل مـدة قبل خمس عشرة وخمسمائة، و(الطُّغْرائي) بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الـراء بعدها ألف مقصورة، هذه النسبة الى من يكتب الطغرى، وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ، مضمونها نعوت الملك الـذي صدر الكتاب عنه، وهي بلفظـة أعجمية»[3]، وقال البستـاني: «واتخذ السلاطين والـولاة من الترك والعجم والتتر حُفَّـاظـاً لأختامهم يـدعـون (مهـرداريـة) أي حفاظ الأختـام، وقـد يستعيض السـلاطين عن الختم بـرسـم الطغـراء السلطـانيـة على البراءات والمنشـورات، ولها دواوين مخصوصة، قيل إن واضعها على الهيئة الحاضرة في الدولة العثمانيـة السلطان مراد الأول في معاهدته مع المجر، على أن الطغـراء في الغالب لا تطبع طبعاً بل تـرسم أو تكتب، وطبعها على المصكوكـات يقوم مقام رسم الملـوك عند الافـرنج، وبعد القرن الثـاني عشر شاع استعمال المهـر (الختم) في كل أوروبا، وظل شائعاً إلى أن أصبح أكثر الناس قادرين على خط أسمائهم بأيديهم»[4].

وقيل إن أصل اسم الطغراء كلمـة (تاتارية) تحتوي على اسـم السلطان الحاكم ولقبه، و إن أول من استعملها السلطان الثالث في الدولة العثمانية مراد الأول (761 ـ 792هـ)، ويروى في أصل رسوم الطغـراء قصة مفـادهـا: أنها شعـار قديم لطـائر همايـوني (مقدس) اسطـوري كان يقـدسه سـلاطين الأوغوز، وإن كتـابة (طغـرل) جاءت بمعنى ظل جناح ذلك الطـائر الذي يشبـه العنقاء[5]، ويقول ناجي زين الـدين المصرف: واختلطت بهذه الروايـة قصة طريفـة للطغراء عن طريق آخـر لها مساس بنشوئها عنـد العثمانيين، وهي أنه لما توترت العـلاقات بين السلطان المغولي تيمـورلنك حفيد جنكيز خان، وبين السلطان بايزيد بن مراد الأول العثماني (792 ـ 805هـ) أرسل تيمورلنك انذاراً للسلطان

(1) لوح 41 نماذج من الطغراء.
(2) الكردي ص 122.
(3) وفيات الأعيان.
(4) البستاني: دائرة المعارف مادة (طابع).
(5) المصرف: مصور الخط العربي ص 382 ينقل عن مرجع تركي.

بايزيد يهدده بإعلان الحرب، ووقع ذلك الانذار ببصمـة كفه على ورق الكتاب ملطخة بالدم، حيث انتهت آخر الأمر الى معركة أنقرة التي اندحر وأسر فيها السلطان بايزيد.

إن بصمة تيمـورلنك تلك حدثت فيما بعـد واتخذت لكتابة الطغـراوات بالشكل البـدائي الذي كتبـه العثمانيـون، وأقدم مـا وصل إلينـا من نماذج شبيهـة بـالطغراوات، مـا كـان يستعمل في جليل المكاتبات باسم السلطان المملوكي الناصر حسن بن السلطان محمد بن قلاوون (752هـ)[1].

وهناك من يفرق بين الطُّرَّة والطُّغْرى من السابقين، فـالطغرى عند القلقشندي هي: كتابة اسم السلطان واسم أبيـه وألقابه على شكل مخصـوص، ولها رجل مفرد بعملهـا وتحصيلها بالـديوان، فإذا كتب الكاتب منشوراً أخـذ من تلك الطغراوات واحدة وألصقها بـه، ثم إذا ألصقها كتب بأسفلها في بقية وجعلهـا في الوسط هذه الجملـة (خلد الله سلطانه). وتـوضع هذه الطغرى بين الطـرة المكتتبة في أعلى المنشـور وبين البسملة، وكـانت مستعملـة في المناشير الى آخـر الدولـة الأشرفيـة، وآخرهم هـو السلطان شعبان بن حسين (المتوفى سنة 873هـ تقريباً)، ثم تركت بعد ذلك ورفض استعمالها.

وأما الطـرة فهي ما كـانت تكتب سابقـاً في ناصيـة الخطابـات السلطانية والمراسيـم الملكية من العهود والتقاليد، يذكر فيهـا اسم السلطان ولقبه واسم المرسل اليه وشيء قليل من مضمون الكتاب، وهي في أعلى المكتوب بقلم أدق من قلم الخطابات في سطور متقـاربة، ثم تكتب بعدها الطغرى، ثم بعـدها البسملـة، ثم يشرع في الخطبـة والمقصـود، ويترك بياض بحسب ذوق الكـاتب بين الطغـرى والطـرة، وبينها وبين الخطبـة، وكذلك بين أسطـر المكتوب، وقـد صارت فيها بعـد الطرة والطغـرى بمعنى واحد[2].

وكتابـة الاسم في الطغراء وتكييفهـا وتكوين رسمهـا، دعا الى التصرف في قـواعد الخط المألـوفة والخروج عن طور الكتـابة الصحيحة الى الـرسم، فجاء من هذا التطـوير في الرسم خط جـديد أطلق عليـه اسم (خط الطغـراء) الذي يكتـب تحت تلك الطغراوات، كما نشـاهـدهـا في الوثـائق التركيـة القديمة، ويحتمل أن يكون خط الطغراء هو الخط الذي نشأ من تزاوج الديواني والاجازة[3].

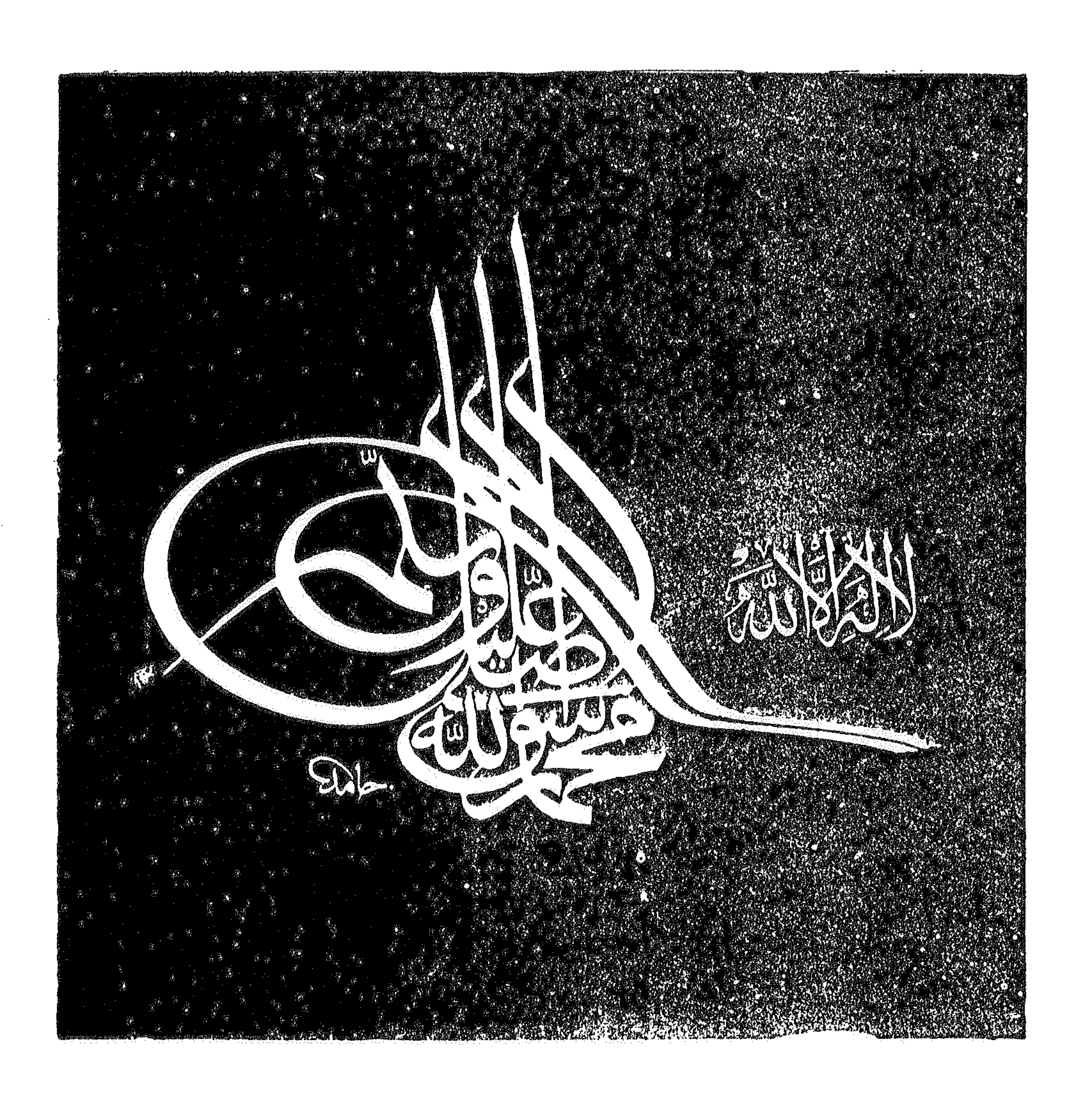
(1) محمد غريب: مجلة تحسين الخطوط الملكية ص 34، المصرف: مصور الخط العربي ص382 ـ 383.
(2) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 51، الكردي: تاريخ الخط العربي ص 123 ـ 125.
(3) المصرف: السابق ص 383.



لوح 41

نماذج من خط الطغراء

نموذج كتابة بسملة بخط ثلثي على هيئة طغراء، وفي الجانب الأيمن «انه من سليمان وانه»، كتبها الخطاط حامد الآمدي.



لوح 41ب

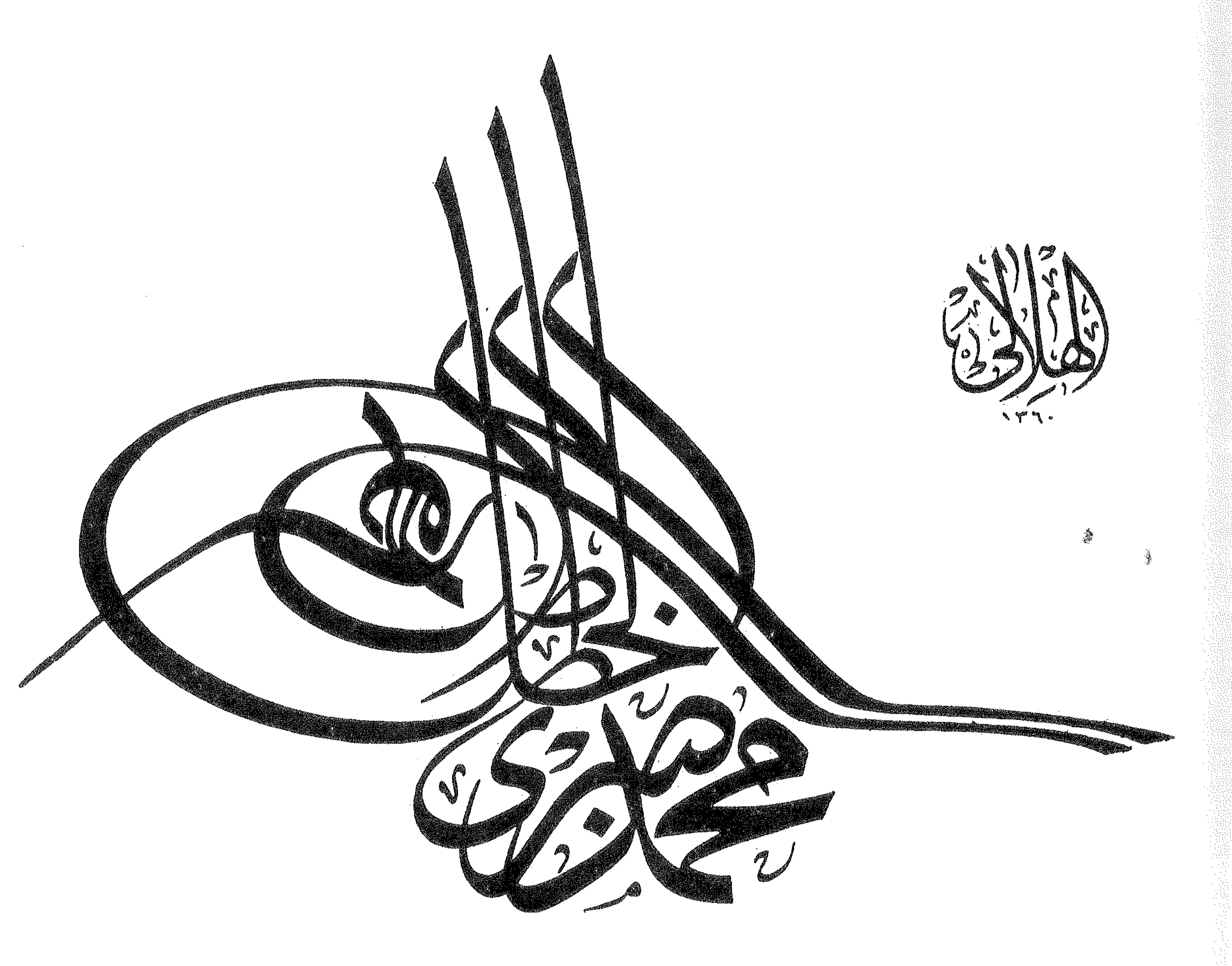
نماذج من خط الطغراء

نموذج كتابة بخط ثلثي على هيئة طغراء، نصها: «لا اله الا الله» و«محمد رسول الله ﷺ»، كتبها الخطاط حامد الآمدي.



لوح 41ج
نماذج من خط الطغراء

نموذج كتابة بخط ديواني وثلثي، نصها: (وانك لعلى خلق عظيم)، وفي الجانب الايمن «استعيذ بالله»، كتبها الشيخ عزيز الرفاعي.



لوح 41د
نماذج من خط الطغراء

نموذج كتابة طغراء بخط ثلثي جلي باسم محمد صبري الخطاط، ومن كتابته طيب الله ثراه عام 1360هـ.

وقد تطورت الطغراوات بمرور الأيام على أيدي خطاطي الدولة العثمانية حتى وصلت شكلها الأخير، كما رسمها الخطاط مصطفى راقم (1241هـ)، واسماعيل حقي طغراكش وغيرهم ممن جودوا رسومها الى آخر أيام استبدال الخط العربي في العهد الجمهوري التركي الجديد[1].

واشتهرت عدة طغراوات كان أهمها طغراء سليمان القانوني، وكانت كبيرة الحجم تبلغ عدة أمتار مربعة، وكانت تلحق بهذه الطغراء عبارة (المظفر دائماً) كما كان يكتب بالخط الديواني عبارات ملائمة أسفل هذه الطغراوات، وما زال بعض الخطاطين المعاصرين يتفنن في رسم الطغراء.

8 ـ الفارسي (التعليق): (لوح 42)[*]

كان الفرس قديماً يكتبون بخط الفهلا[2]، وعند الفتح العربي لبلاد فارس انتقلت الكتابة والحروف العربية إليهم، وأصبحت الكتابة العربية كتابتهم الرسمية والقومية، وحلت الحروف العربية محل الحروف الفهلوية الفارسية، وأفتن الايرانيون في الابتكار ومنهم الخطاط (أبو العال) الذي زاد في الحروف الباء والزاي والجيم بثلاث نقط (پ، ژ، چ)، التي لم تكن موجودة قبل ذلك في الاستعمال في الحروف العربية، فلفظوها بحسب لغتهم[3].

واهتم الفرس بالخط العربي وخاصة في أوائل القرن الثالث الهجري حيث علا سلطان الفرس في الدولة العباسية في فارس والعراق، فعمدوا الى الخط النسخي وأدخلوا في رسوم حروفه أشياء زائدة فميزته عن أصله، حتى قيل إن (حسن فارسي) كاتب عضد الدولة الديلمي (322 ـ 372هـ) استنبط قواعد خط التعليق الأول من أقلام النسخ والرقاع والثلث، وهو الذي وضع خط (التراسل) أو (التحريري) الذي انتشر في المراسلات العامة[4]، وقيل إن أقدم ما وجد من ذلك الخط الفارسي الذي سمي بالتعليق كان مؤرخاً سنة 401هـ[5]، ووجد كتاب بعد ذلك بقليل في نيسابور بخط البيهقي يعود تاريخه الى سنة 430هـ، ثم يليه في القدم بعد ذلك كتاب الأبنية للهروي سنة 447هـ وغيرها، مما يدل على قدم وجود هذا الخط قبل مير علي التبريزي الذي تنسب إليه قواعد تجويد خط

---

(1) محمد غريب: مجلة تحسين الخطوط الملكية ص34، المصرف: مصور الخط ص383.

(*) لوح 42 نماذج من الخط الفارسي.

(2) فهلا: مدينة واقعة بين همدان وأصفهان وأذربيجان، والنسبة اليها فهلوي أو بهلوي.

(3) جمعة: قصة الكتابة العربية ص 77، بيدابيش: خط وخطاطان ص122، المصرف ص 375.

(4) بيدابيش: خط وخطاطان ص 154، فخر الدين: تاريخ الخط العربي ص 28.

(5) دائرة المعارف الاسلامية ص 397 الأصل الانجليزي.

النستعليق بزمن بعيد، ومن آثار مير علي الخطية قصة (هماي وهمايون) المخطوطة في المتحف البريطاني والمؤرخة سنة 799هـ[1].

كتب الفرس بالخط الكوفي ثم طوروه حتى صار عندهم أنواع مختلفة، منها:

الخط الكوفي الايراني الذي ظهر في القرن الرابع الهجري، وكان من مميزاته أن مداته أكثر وضوحاً من الجرات، ونشأ عن هذا النوع خط آخر زويت فيه الحروف بشكل أكثر، ثم أخذ يتطور وكتبت به المصاحف السلجوقية، وأضافوا اليه الزخارف النباتية، وامتدت حروفه بتفرعات وأوراد، كما أخذوا يتفننون بتذهيبه.

وفي القرن الخامس الهجري شاع عندهم الخط الكوفي المزهر واستمر حتى القرن السادس، وامتاز هذا الخط بإضافة المراوح النخيلية المزخرفة إليه، وكان يرسم على أرضية مزخرفة بالنبات تملأ جميع الفراغات المحيطة بالحروف، وقد استمرت الكتابة به لجماله[2].

ويسمى الخط الفارسي التعليق، وقد كتبت بهذا الخط كتب الأدب والدواوين، أما كتب الحديث فكانت تكتب بالخط النسخي المستطيل، ويعتبر خط التعليق خطاً عامياً، وفي الفهرست أن خط القيراموز هو خط القرآن الذي اشتق منه الفرس خطهم، والقيراموز متولد من الخط الكوفي[3]، وكان قلم القيراموز من الأقلام التي اخترعت نتيجة المزاوجات لبعض الأقلام مثل قلم السلواطي، وقلم السحلي، وقلم الراصف، وقلم الحوائجي التي ذكرها القلقشندي[4].

ان خط التعليق الذي يكتب به الفرس اليوم، هو نوع من خط التعليق القديم المخصص للأعمال الرسمية، وهو السائد عندهم حالياً، وقد برع الفرس بهذا الخط (التعليق، الفارسي) فأخذوا يزخرفونه ويلونونه حتى امتاز بجمال حروفه وميلها من اليمين الى اليسار، ومن الأعلى الى الأسفل، كما أن حروفه صارت مختلفة السمك والطول تبعاً للقاعدة والذوق، وتمتاز حروفه أيضاً بدقتها وامتدادها، وهو لا يحتمل التشكيل ولا التركيب، وهو يشبه خط الرقعة من هذه الناحية ويستعمل في كتابة عناوين الكتب والمجلات والبطاقات الشخصية وغيرها، وقد سمي هذا النوع بالتعليق لأن حروفه معلقة بين خط النسخ والثلث، أي أنه يجمع بينهما، ويستعمل الخط الفارسي ـ التعليق الآن للكتابة في ايران والهند وأفغانستان.

---

(1) ديماند: الفنون الاسلامية ص 45 وما بعدها.

(2) تركي الجبوري: الخط العربي الاسلامي ص 115.

(3) عبادة: انتشار الخط العربي ص 20، المصرف: مصور الخط العربي ص 375.

(4) صبح الأعشى الجزء الثالث، الكردي: تاريخ الخط العربي ص 131.

والخط الفارسي التعليق ثلاثة أنواع :

1 ـ **الفارسي** العادة: المعروف عندنا ويسمى في بلاد العجم وأفغانستان بـ (نستعليق)[1]، وأول من وضع قواعد هذا الخط هو مير علي سلطان التبريزي المشهور بـ (قِبْلَة الكتاب) المتوفى سنة 919هـ، ثم أتى بعده من زاد في تحسينه مثل عماد الدين الشيرازي المعروف بالعجمي، وتعرف طريقته لدى الخطاطين بـ (قاعدة عماد)، وسلطان علي المشهدي ومير علي الهروي، وغيرهم، ثم ما زال خطاطو الفرس والترك يدخلون على هذا الخط من التحسينات حتى أصبح كما هو الآن في غاية الحسن والجمال، واشتق من هذا الخط (الخط التحريري) الذي يستعمله الفرس في المراسلات[2].

2 ـ **خط شكسته**: وله قواعد مخصوصة، وهو خط صغير ورفيع، وهو صعب القراءة ولم تطبق عليه قواعد الخط، وكان خالياً من الاعجام (التنقيط) وتصعب فيه القراءة والكتابة، وتعني كلمة شكسته في العربية (المكسور)، ويسمى بالتركية (قرمة تعليق)، ويعد هذا النوع طلسماً ولغزاً من الألغاز المعقدة، حيث لا يعرفه كل شخص، وليس في بلاد العرب من يعرف كتابته ولا قراءته، أما في بلاد الفرس والعجم فلا يعرفه إلا من تعلمه ومارسه، وكان أول من وضع قواعده شخص يسمى (شفيع) ويقال له (شفيعا) أيضاً بألف الاطلاق، ثم جاء بعده درويش عبد المجيد طالقاني فأكمل قواعده[3].

3 ـ **خط شكسته آميز**: (أي الشبيه بالشكسته المكسر)، وهو ما كان خليطاً بين خط نستعليق، وبين خط شكسته، وهو أيضاً كالطلسم إلا أنه أخف من النوع الثاني، وهذان النوعان لا يعرفان إلا في بلاد الفرس، وأشهر من يجيدهما الآن هو محمد داود الحسيني الخطاط بأفغانستان بكابل، وعلى العموم فإن خطاطي الفرس والعجم أشد اعتناء بالخط الفارسي بكل أنواعه، وأشهر خطاطيهم القدماء نجم الدين أبو بكر محمد الراوندي، فإنه ـ كما يقال ـ كان يعرف سبعين نوعاً من أنواع الخط[4]، ومن خطاطيهم المشهورين الذين طوروا وحسنوا الخط الفارسي الخطاط سلطان علي المشهدي، الذي أدخل تحسينات كثيرة عليه[5].

ويذكر من بين الخطوط التي عرفت بايران (الخط الأصفهاني) و (خط جلي تعليق)، ويستعمل لكتابة الألواح الكبيرة، وقد تفوق الخطاطون الأتراك فيه، ويذكر من أنواع هذا الخط أيضاً خط (انجه

(1) جاءت هذه الكلمة من دمج كلمتي (نسخ وتعليق) أي أنه يتكون من النسخ العربي والتعليق الفارسي.
(2) ابراهيم جمعة: قصة الكتابة العربية ص80، الكردي: السابق ص 104 ـ 105.
(3) الكردي: تاريخ الخط العربي ص 105.
(4) الكردي ص 105.
(5) تركي الجبوري: الخط العربي الاسلامي ص 118.

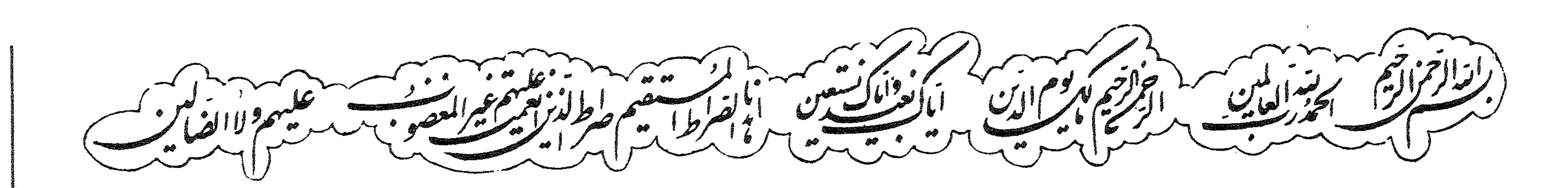
تعليق) أي الخط الدقيق، ويستعمل لكتابة المخطوطات الرفيعة، ويطلق على هذا القلم اسم (غبارى التعليق) عند الأتراك، ومن مشتقات خط التعليق فرع يقال له (تحريري)، ويستعمل عند الفرس للمراسلات[1]، وهناك خط أطلق عليه (خط الترسل) ويستعمل في الكتابات والمراسلات اليومية.

لقد عرف من الخطاطين الفرس مجموعة كبيرة لها أثرها في تطوير هذا الخط وانتشاره، وذكرت المصادر بعض هؤلاء المجودين القدماء، فمنهم ابراهيم بن هلال، وأبو الفضل الخازن الدينوري تلميذ ابن البواب (384هـ)، وأبو المعالي النحاس الأصفهاني (سنة 509هـ)، وقيل إن الذين أخذوا الخط عن ياقوت المستعصمي ستة: محمد بن عبدالله الصيرفي، وأحمد السهروردي، ويحيى الصوفي، وعبدالله أرغون، ومبارك شاه قطب، ومبارك شاه السيوفي، وجميعهم من أوائل القرن الثامن الهجري[2].

وقد حظي الخطاطون الفرس في عصور الخط الذهبية بمنزلة رفيعة وجاه واسع، حتى إن الشاه اسماعيل الصفوي كان شديد الخوف على خطاطيه، أمثال: بهزاد ومحمود نيسابوري، أثناء حربه مع الأتراك عام 920هـ، فكان يرعاهم كثيراً ويهتم بهم خوفاً على حياتهم وحفظاً لسلامتهم[3].

وقد رافق العناية بالخط الفارسي نشوء العناية بتذهيب الكتب وتزيينها وتحليتها، وقد برع الفرس بذلك، وقد ذهّبوا المصاحف والمخطوطات والكتب الشرعية، وكذلك كتب الأدب والشعر وغيرها[4].

(1) عبادة: انتشار الخط العربي ص 66، المصرف: مصور الخط العربي ص 377.
(2) بيدابش: خط وخطاطان ص 249، المصرف: السابق ص 377.
(3) عبادة: انتشار الخط العربي ص 67.
(4) ديماند: الفنون الاسلامية ص 21، 78، جمعة: قصة الكتابة العربية ص 82.



لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة

فاطلب العز في لظى وذر الذل ولو كان في جنان الخلود

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي

لوح 42

نماذج من الخط الفارسي

كراسة الخط العربي - المرحوم هاشم محمد البغدادي.

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى

فجعله غثاء احوى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا

لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما

لوح 42ب

نماذج من الخط الفارسي

كراسة الخط العربي - المرحوم هاشم محمد البغدادي.



نموذج كتابة بسملة بخط تعليق نادرة التصميم والتشكيل في ميم البسملة وحاء الرحمن، كتبها الخطاط فاني أفندي بن أحمد عنايت السليماني سنة 1266 هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد
واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

نموذج كتابة سورة الفاتحة بخط نستعليق، كتبها عبد الرزاق محمد سالم من تلاميذعبد العزيز الرفاعي.

لوح 42ج

نماذج من الخط الفارسي

امة قد فت في ساعدها
بغضها الاهل وحب الغربا

نموذج كتابة بخط تعليق، كتبها السيد علي باقر العجمي البغدادي.



لوحة زخرفية بخط تعليق، من كتابات الخطاط محمد صبري الهلالي سنة 1360هـ.

لوح 42د

نماذج من الخط الفارسي



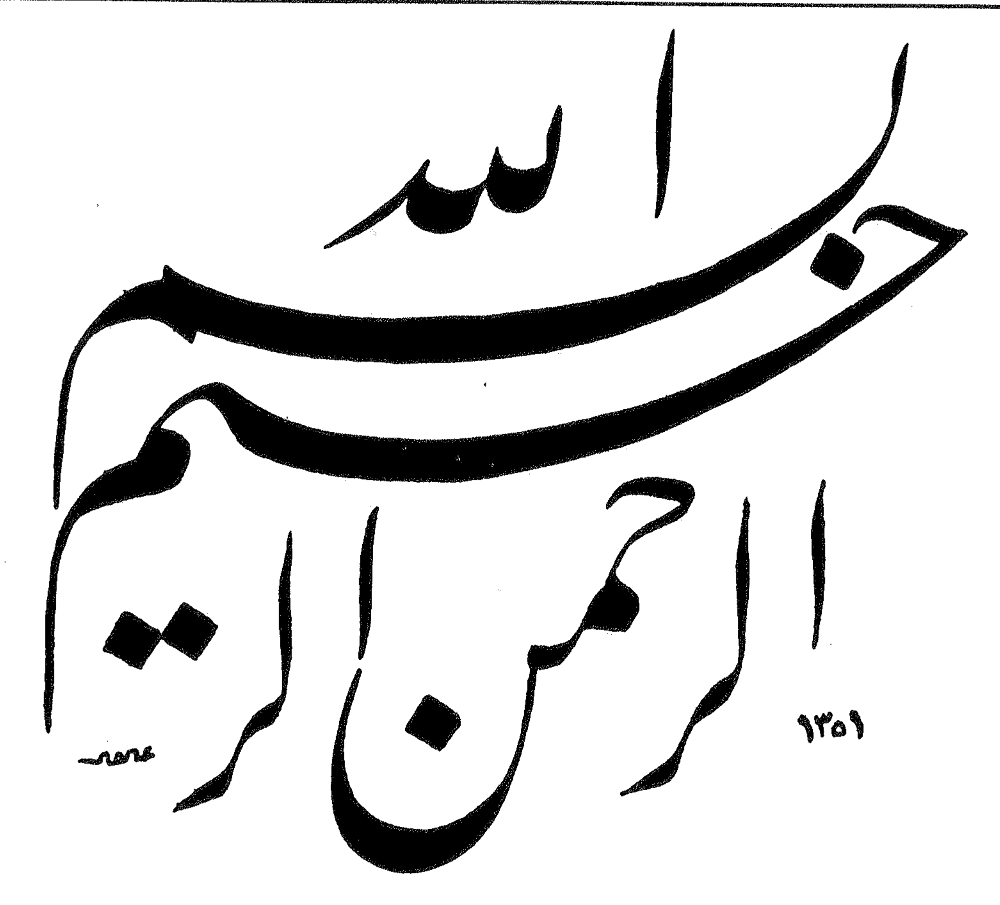
نموذج كتابة بسملة بخط تعليق، كتبها الاستاذ محمد اسعد اليساري توفي سنة 1213هـ.



لوح 42هـ

نماذج من الخط الفارسي

نموذج كتابة لوحة بسملة بخط تعليق، من كتابات الخطاط الرئيس المرحوم محمد صبري الهلالي.



نموذج كتابة بسملة متراكبة بخط تعليق جلي، كتبها الخطاط عبد القادر.



لوح 42و

نماذج من الخط الفارسي

نموذج بسملة على هيئة زورقية بخط تعليق، كتبها الخطاط السيد ابراهيم.

9 ـ خط الرقعة: (لوح 43)[1]

الرقعة من الخطوط المتأخرة المستحدثة، قيل: اخترعه ووضع قواعده الأستاذ ممتاز بك مصطفى أفندي المستشار، وكان في عهـد السلطان عبد المجيد خان، حوالي سنة 1280هـ، وكان خط الرقعة قبل ذلك خليطاً بين الـديواني وخط سياقت، وكـان ممتاز بك مشهوراً بإجادة الخط الـديواني[2]، وقد ربط بعضهم خط الرقعة بخط الرقاع القديم، وليس هذا من ذاك.

إن قلم الرقعة قصير الحروف، ويحتمل أن يكون قد اشتق من الخط الثلثي والنسخي وما بينهما، وأن أنواعه كثيرة باختـلاف غير جوهري في سجلات الدولة العثمانية، وقد عثـر على كتابات ونصوص قديمـة لهذا القلم تعود الى سنـة 886هـ، ومنها مـا كتبه السلطـان سليمان القانـوني، وهو خليط بين حروف النسخ والـديواني الدقيق القديم وغيرهـا من نصوص آل عثمان[3]، ومعنى هذا أن نشـوء خط الرقعة على هيئته الأولى قديم منذ عهد السلطان محمد الفاتح، وليس كما يظن أن مخترعه ممتاز بك سنة 1280هـ[4].

وخط الـرقعة خـط جميل بديع، في حـروفـه استقامـة أكثـر من غيره، ولا يحتمل التشكيل، ولا التركيب، وفيه وضوح ويقرأ بسهولة وهو أسهل الخطوط، وهو أصل الكتابة الاعتيادية لدى الناس في أمورهم اليوميـة، ويبين أحد الخطاطين المتمرسين خصـائص هذا الخط فيقول: «وقد جـاءت بساطة خط الرقعة لكون حروفه خـاضعة للتشكيل الهندسي البسيط، فهي سهلة الرسم معتمدة في ذلك على الخط المستقيم والقـوس والدائرة، كما أن طـواعيته لحركة اليـد السريعة بعيـداً عن الترويس والـرتوش والتعقيد، إضـافة الى كون غالبيـة حروفه واضحـة القراءة ذات شكل جميل، لولا قابليـة البعض منها للاختـلاط مع الحروف الأخرى.. فتكون مـدعاة للالتبـاس والتشابه كـالميم الأولية عند مقـارنتها مع العين الوسطية، وإحدى الحاءات الأولية، وتعدد أشكال بعض حروفه كالهاء، كما أن من مميزات هذا الخط الواضحة أنه مربوع الشكل، أي أنه قصير الطـول ممتلىء البنية نسبياً عند مقارنته بخطوط أخرى كالثلث مثلاً»[5].

ويستعمل خط الـرقعة في الكتـابـة اليوميـة والمراسـلات وعناويـن الكتب والمجلات وعنـاوين الدوائر الرسمية وفي الإعلانات التجارية وذلك لبساطته ووضوحه وبعده عن التعقيد.

---

(1) لوح 43 نماذج من خط الرقعة.
(2) الكردي: تاريخ الخط العربي ص 103.
(3) المصرف: مصور الخط العربي ص 384.
(4) المرجع السابق والصفحة.
(5) تركي الجبوري: الخط العربي الاسلامي ص 125 ـ 127.

خط الرقعة

لوح 43
نماذج من خط الرقعة

كراسة الخط العربي - المرحوم هاشم محمد البغدادي

ى س ى ى ل ل كى تمت الحروف بعون الله الملك الرؤوف .

قال النبي عليه السلام

عليكم بحسن الخط فانه من مفاتيح الرزق

قال علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه

اكرموا اولادكم بالكتابة فانه الكتابة من اهم الامور واعظم السرور

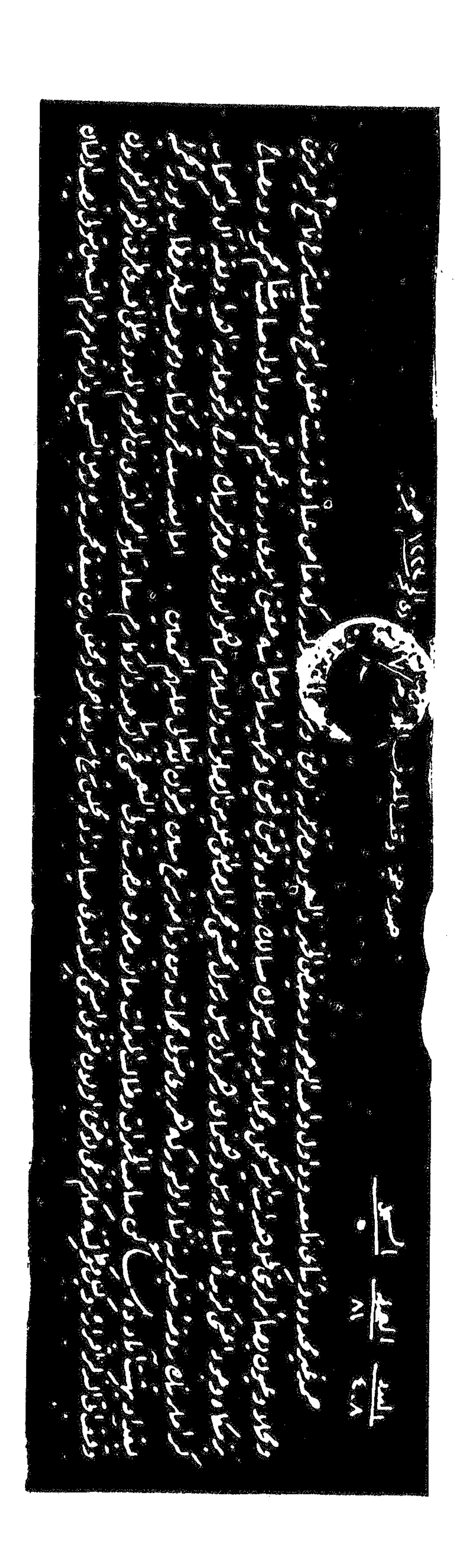
دائما تحصيل علم وادب نقد فائدهٔ ونتيجهٔ حسنه‌لي موجب ايسه حسن خط دخي او قدر سود مند در . بوندن توأم ولازم

وملزوم قبيلندن اولدرر كه ايكيسيله توغل وتشغل اعلاى قدر ومنزله سببيت ويرر . انسانلرى جهانده باعث

لوح 43ب

نماذج من خط الرقعة

نموذج كتابة بخط الرقعة بالقلم الغليظ والقلم الدقيق، كتبها المرحوم محمد افندي من خطاطي مطبعة الاركان الحربية باستانبول مؤرخة في سنة 1341هـ – 1922م.



لوح 43ج

نماذج من خط الرقعة

كتابة من حجة وقفية جامع أحمد أفندي الصرف بخط الرقعة.

10 ـ خط الريحاني: (لوح 44)[1]

إن مبتدع هذا الخط هو ابن البواب الخطاط البغدادي، فقد كتب عدة مصاحف كان أحد هذه المصاحف بالخط الريحاني، وإن السلطان سليم الأول العثماني أهدى هذا المصحف الى جامع (لاله لي) في استانبول، وهو محفوظ فيه[2]، والخط الريحاني الذي كتب به ابن البواب هذا المصحف هو مبتدعه، وهو الخط الديواني نفسه إلا أنه يختلف عنه بتداخل حروفه بعضها من بعض بأوضاع متناسبة متناسقة ولا سيما ألفاته ولامه[3]، ومما يعزز هذا ما جاء في رسالة الكتابة المنسوبة لأبي حيان التوحيدي واصفاً براعة ابن البواب بقوله: «ثم برع في الثلث وخفيفه وأبدع في الرقاع والريحان وتلطيفه، وميز قلم المتن والمصاحف»[4].

وقد أطلق على الخط الريحاني في هذا العصر (الخط الغزلاني) نسبة الى الخطاط مصطفى بك غزلان (المتوفى سنة 1356هـ) الذي أتقنه، وله فيه ذوق سليم، وكان قد تعلمه من محمود شكري باشا رئيس الديوان الملكي المصري الذي أجاده إجادة تامة.

والريحاني خط جميل جذاب المنظر إذا كان كاتبه متقناً متفنناً فيه، وكل من عرف الخط الديواني سهل عليه معرفة أوضاع الخط الريحاني، ولا يوضع على هذا الخط شيء من الشكل[5]، ومن الخط الريحاني ما هو دقيق (ناعم)، وهو قلم أدق من المحقق الكبير، إلا أنه أكثر استقامة من الثلث، أما الخط الريحاني الكبير فحروفه أقل استقامة من المحقق الكبير[6].

وقد جاء اسم الريحاني من تداخل ألفاته ولاماته في بعضها بشكل يشبه أعواد الريحان، ولذلك سمي هذا الخط قديماً بالريحاني.

---

(1) لوح 44 نماذج من خط الريحاني والخطوط التي ابتدعها ابن البواب.
(2) دائرة المعارف الاسلامية، الترجمة العربية 1/ 103.
(3) الأثري: الخطاط البغدادي ص 34.
(4) مجلة معهد المخطوطات العربية 1/ 1/ 123 ـ 127.
(5) الكردي: تاريخ الخط العربي ص 121.
(6) تركي الجبوري: الخط العربي الاسلامي ص 111.

أسماء الخطوط القديمة والحديثة

إن الخطوط القديمة والحديثة كثيرة، منها ما انقرض ومنها ما زال مستعملاً، وهناك من الخطوط ما هو أصلي مستعمل، وهناك ما هو فرعي مشتق من القلم الأصلي، إن الأقلام الرئيسية السابق ذكرها لها قواعد وأصول، أما الأقلام الفرعية فما هي إلا تعديل أو تغيير طفيف للاقلام الرئيسية، فإذا أدخل أحدهم في الأقلام الأصلية تعديلاً في بعض الحروف أطلق عليه اسماً مخصوصاً مع أن القاعدة الأصلية لم تتغير، مثال ذلك قلم الطومار وجلي الثلث، فقاعدتها هي قاعدة الثلث، ومعناهما الكتابة الغليظة على الجدران والأبواب مثلاً، وكذلك قلم الشعر قاعدته قاعدة الثلث تماماً، إلا أن لكتابة الألف مثلاً فيه قاعدة مخصوصة، وهي أن يعكف ذنب الألف من جهة الشمال عكفاً دقيقاً، وكذلك القلم المكي والقلم المدني، ففي ألفاتها تعويج الى اليمين، وفي شكلها انضجاع يسير، وهكذا[1].

ونجمل هنا أسماء أنواع الخطوط، وهي ثلاث مراحل، ما قبل الإسلام، وما بعد الإسلام، وفي العصر الحديث[2].

1 ـ خطوط ما قبل الإسلام:

الخط المصري ـ وأنواعه ثلاثة: الهيروغليفي، والهيراطيقي، والديموطيقي.

الخط المسماري

الخط الحثي

الخط الصيني

اليوناني القديم ـ ومنه تولدت خطوط أوروبا والخط القبطي أيضاً.

العبري القديم ـ وهذه الخطوط الأربعة تولدت من الخط الفينيقي الذي هو فرع من الخط المصري.

المسند الحميري

الآرامي

---

(1) الكردي: تاريخ الخط العربي ص 131.
(2) الكردي ص 129 ـ 132.

العبري المربع ـ وهذه الخطوط الستة تولدت من الخط الآرامي .

السرياني

النبطي

الفارسي القديم (الفهلوي)

الهندي بأنواعه المختلفة

التدمري

2 ـ الخطوط التي اخترعت بعد الإسلام:

قلم الطومار

قلم النصف

قلم الثلثين

قلم الثلث ـ فمن هذه الخطوط الأربعة تولدت جميع الخطوط الآتية :

قلم مختصر الطومار، قلم خفيف الثلث، قلم ثقيل الثلث، قلم الخرفاج، وقد تولد هذا من الديباج .

قلم السميعي

قلم الأشربة ـ وتولدا من مختصر الطومار.

قلم الحرم[1]

القلم المفتح

القلم الزنبوري ـ وتولدت من ثقيل الثلثين .

قلم المؤامرات[2] (ويسمى غبار الحلية)[3] أو الجناح ـ وتولد من الثلثين .

---

(1) كان للكتابة الى الأميرات من بيت الملك .

(2) كان لاستشارة الأمراء ومناقشتهم .

(3) كان لكتابة رسائل الحمام الطائر.

قلم العهود ـ تولد من الحرم

القلم المدور الكبير

القلم المدور الصغير

القلم الرياسي

قلم خفيف الثلث ـ وتولدت هذه الأقلام الأربعة من مفتح النصف .

قلم الرقاع ـ تولد من خفيف الثلث .

قلم النرجس

قلم الريحاني[1]

قلم المنثور

وكذلك الأقلام الآتية : المرصع، واللؤلؤي، والوشي، والحواشي، والمقترن، والمدمج، والمعلق، والقصص، والمسلسل، والحوائجي، والاختزال، والحيري، والكوفي، والمدني، والمكي، والبصري، والأصفهاني، والعراقي، والمشق، والتجاويد، والمصنوع، والمائل، والراصف، والسلواطي، والسحلي، والقيراموز، والشعر.

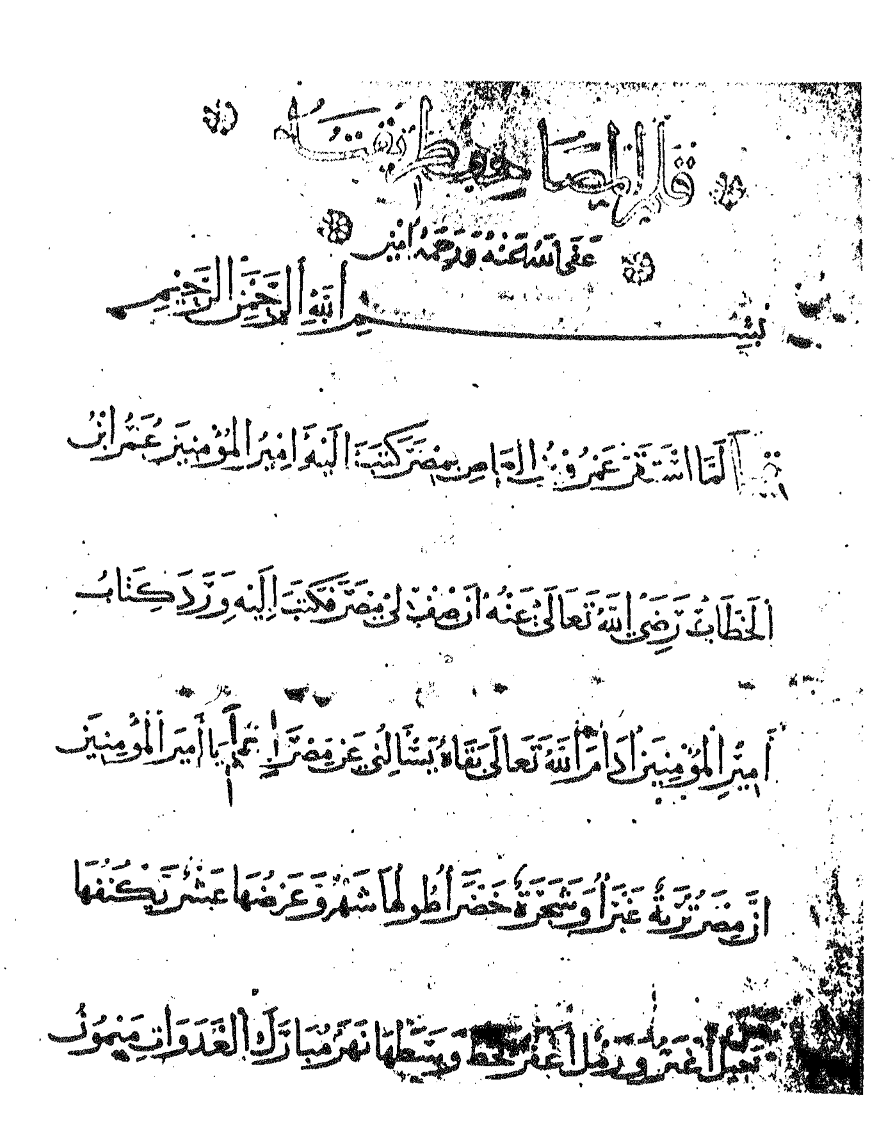
---

(1) انظر فيه وفي الاقلام التي بعده لوح 44 .

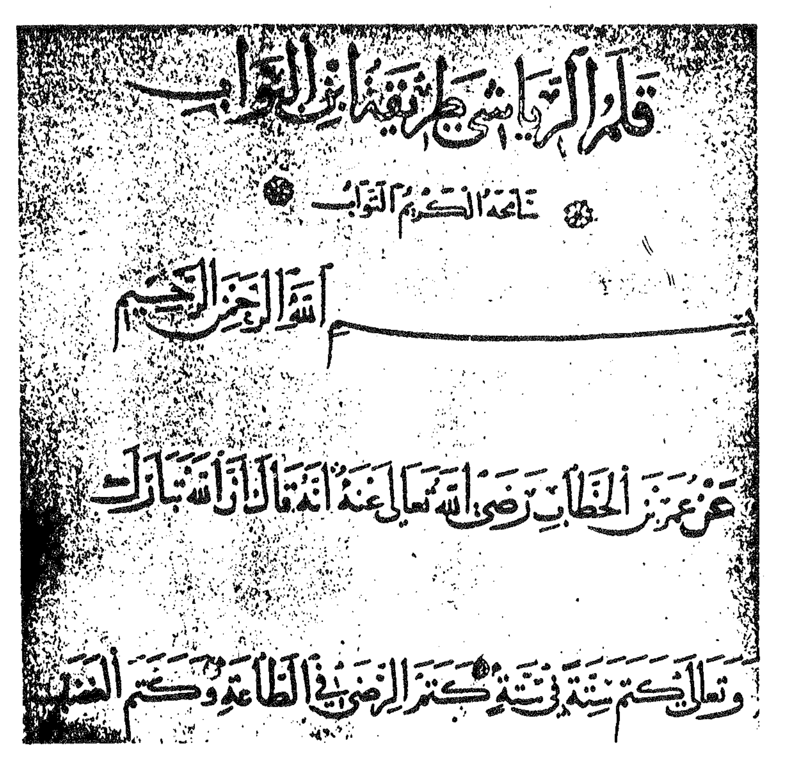


لوح 44
الخطوط التي اخترعها ابن البواب خط الريحان

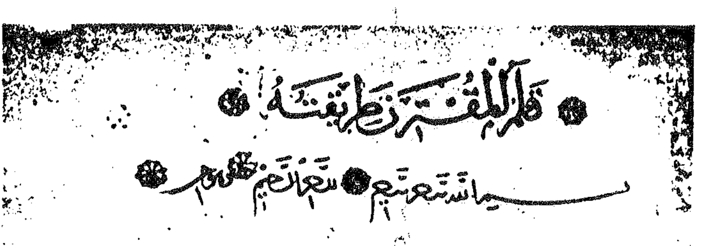
تطور الخط في العصر العباسي



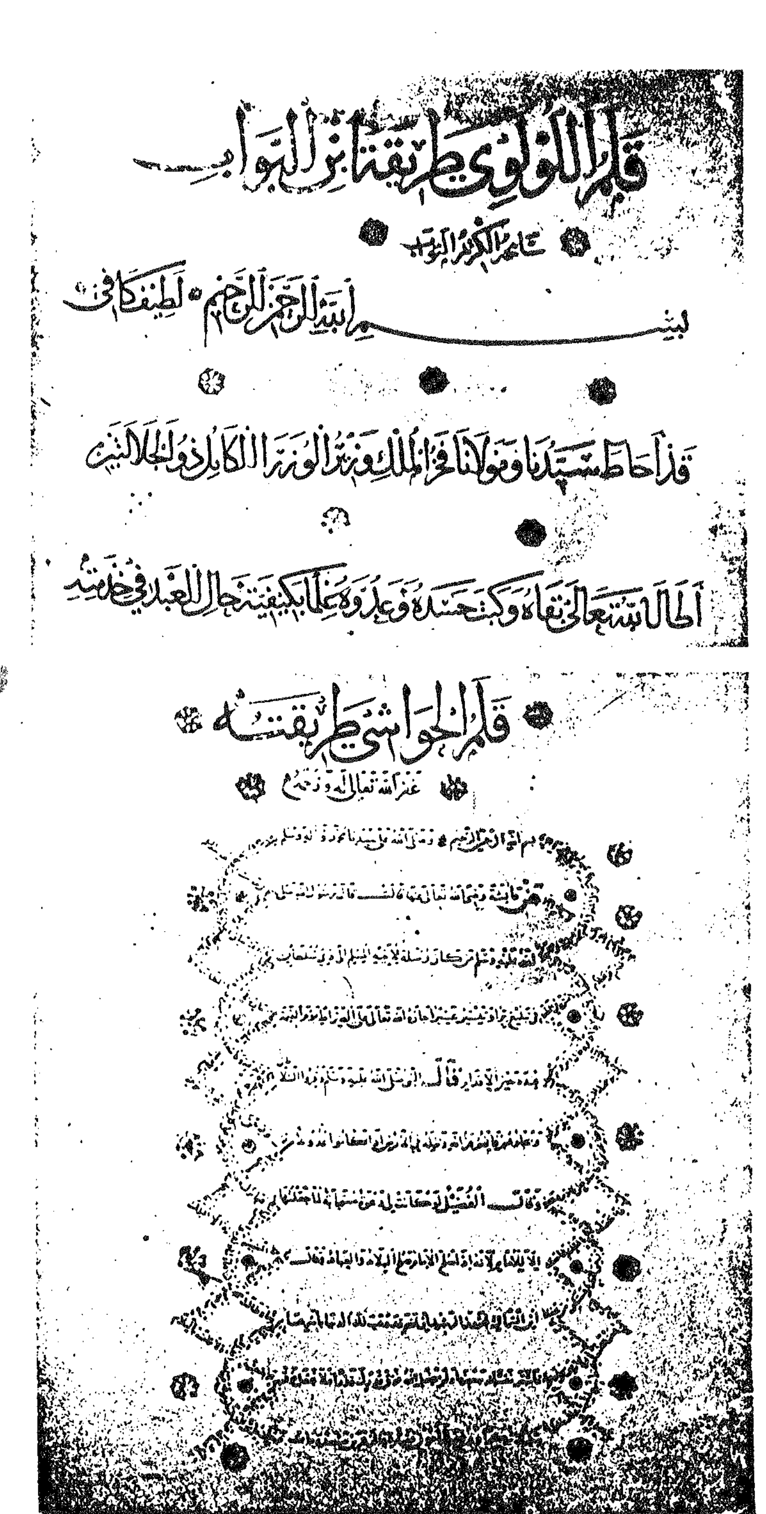
لوح 44ب
الخطوط التي اخترعها ابن البواب خط المصاحف



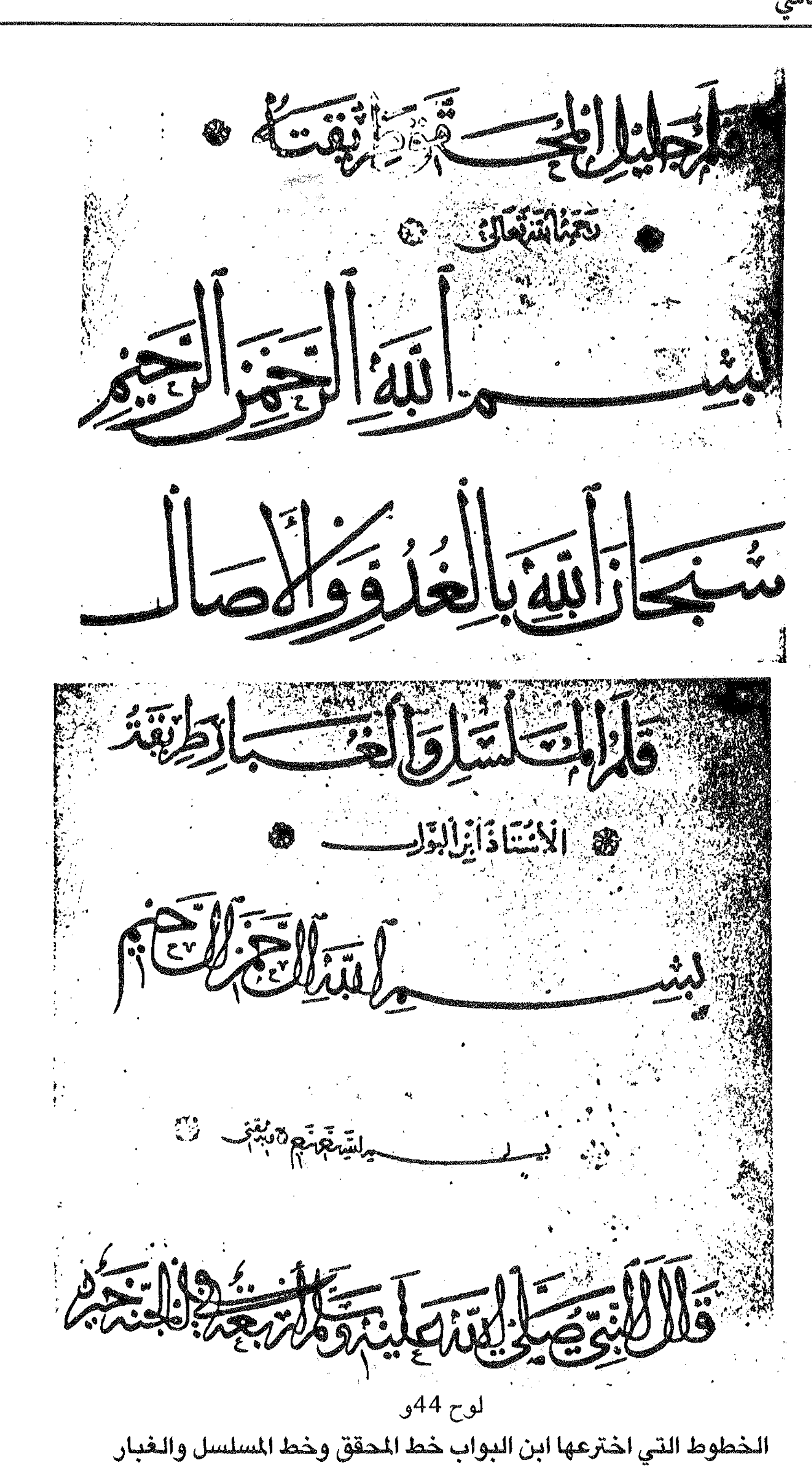
لوح 44ج
الخطوط التي اخترعها ابن البواب
خط الرقاع وخط الرياشي



لوح 44د
الخطوط التي اخترعها ابن البواب
خط المقترن وخط العقد المنظوم



لوح 44هـ
الخطوط التي اخترعها ابن البواب
خط اللؤلؤي وخط الحواشي



لوح 44و
الخطوط التي اخترعها ابن البواب خط المحقق وخط المسلسل والغبار

لوح 44ز
الخطوط التي اخترعها ابن البواب
خط المنثور وخط التواقيع

3 ـ الخطوط التي في العصر الحديث:

قلم الثلث
قلم النسخ
قلم الرقعة
قلم الفارسي
قلم الديواني
قلم التعليق ـ ويسمى الإجازة وهو بين الثلث والنسخ
قلم الريحاني
القلم الكوفي بأنواعه المتعددة
القلم المغربي ـ ولا يستعمله إلا أهل المغرب الأقصى بجميع أنواعه .
قلم التاج ـ وهو ما اخترع حديثاً بمصر سنة 1348هـ .
قلم سياقت ـ وقد انقرض منذ قرن أو يزيد .

ونختم أسماء الأقلام ببعض ماجاء في الشعر من ذكر الخطوط المستعملة في هـذا العصر، قال أحدهم[1]:

تعليقُ ردفِكَ بـالخصرِ الخفيفِ لـه	ثلثُ الجمالِ وقـد وفَّتْـه أجفـانُ
خَـدٌّ عليـه رِقاعُ الـروضِ قـد جعلتْ	وفي حـواشيـه للصُّـدْغينِ رَيْحانُ
خَطَّ الشبـابُ بطـومار العَـذارِ بـه	سطـراً فصـاحتُـه للنـاسِ فتـانُ
محققٌ نسـخ صبري عن هـواه ومن	تـوقيع مـدمعيَ المنثـورِ بـرهـانُ
بأحسن مـا قلـمُ الأشعـارِ خَطَّ على	ذاك الجبينِ فـلا يسلـوهُ إنسـانُ
أقسمتُ بـالمصحفِ الشامي وأحْرُفِه	مـا مرَّ بـالبـالِ يـومـاً عنك سُلوانُ
ولا غُبـارَ على حُبِّي فعنـدَكَ لي	حسـابُ شـوقٍ لـه في القلبِ ديـوانُ

---

(1) الكردي : تاريخ الخط العربي ص 132 .

ونظم الخطاط المرحوم محمد طاهر الكردي[1] في الخطوط هذه الأبيات :

الله أرجـــوه كـل الخير فهـــو لمن	يـرجـوه كـافيـه مـن هم واكـدارِ
إنْ مسَّني الضُّرُّ أسكُنْ تحتَ رحمتـهِ	فإنَّ رحمتَـه بين الـورى سـاري
لا يُفْلِحُ المرءُ يـومـاً صـار ملتجِئـاً	لغيرِهِ وهما إنْ شـاءَ في النـارِ
إنْ كـان عنـدَك ثلثُ العَـزْمِ من نـَدَمٍ	يكفي لمحـوِ سَوادِ الـذَّنْبِ والعـارِ
قـد ينسخُ اللهُ أمـراً بـالـدُّعَـاءِ إذا	ذكـرتَ ربَّكَ في يُسْرٍ وإعْسَـارِ
فـانظـرْ لـديـوانِكَ المملوءِ من لَغَطٍ	واستغفـرِ اللهَ واسكبْ دمعَكَ الجاري
ووقِّعْ الـذنبَ حـالاً كي يُقَـالَ غـداً	ادخلْ إلى جنَّـةٍ خُصَّتْ لأبـرارِ
وابـرزْ كفـارسَيّ ميدانِ الـوغى عَجِـلاً	لطـاعـةِ اللهِ واهْجُـرْ كُلَّ أغْيَـارِ
ولا تكنْ قـانِطـاً من زلَّـةٍ وقعتْ	ولا تكُنْ آمِنـاً من مَكْـرِ جَبَّـارِ
وخَفْ مـن اللهِ وارْجُ الخيرَ منـه وقُلْ	يـا رَبِّ عبـدَكَ آجـرْهُ مـن النـارِ

(1) الكردي ص 132 . كنت أزور الأستاذ الفنان الكردي في مكتبه المتواضع اثناء اقامتي بمكة المكرمة واشتغالي أستاذاً بكليتي الشريعة والتربية سنة 1389 ـ 1391هـ (1967 ـ 1970م)، وانعقدت بيننا صداقة كريمة، وكنت معجباً بخطه وما كتبه من آيات وسور على البيضة أو حبة القمح أو الرز، وكنت أسائله وأفيد منه في الشعر والأدب، وينشدني على استحياء من شعره ذي النفحات الدينية وكان الرجل خجولاً متواضعاً ذا أدب جم، وكان آنذاك قد ضعف بصره، وقد أهداني بعض خطوطه التي أعتز بها، وليست بين يدي الآن لأدونها في هذا الكتاب، يرحمه الله وطيب الله ثراه .

اللغات التي تكتب بالخط العربي

اللغات التي تكتب الآن بالخط العربي (غير اللغة العربية) هي : اللغات التركية، والهندية، والفارسية، والأفريقية .

أولاً ـ اللغات التركية[1]:

اللغة التركية من اللغات الطورانية[2]، وهي منتشرة في تركية أوروبا وتركية آسيا، وروسية أوروبا، وروسية آسيا بتركستان وشواطىء بحر الخزر والقوقاس، ويتفاهم بها المغول الأتراك من الأزابكة والتتر والتركمان والعثمانيين وغيرهم . وأشهر فروعها التي تكتب بالخط العربي :

1 ـ **التركية العثمانية** : وهي اللغة الرسمية للحكومة، وهي أكثر اللغات التركية تهذيباً وانتشاراً .
2 ـ **التركية القازانية** : أو اللغة التترية، وهي لغة التتار المسلمين .
3 ـ **التركية القرمية** : وقد امتزجت بها كلمات كثيرة من العربية والروسية .
4 ـ **التترية النوجائية أو المكارسية** : وهي شبه التركية القرمية والآذرية .
5 ـ **التركية الآذرية (الأذربيجانية) أو التركية الترنسقوقاسية** .
6 ـ **التركية الداغستانية** : وفي داغستان لغة أخرى تكتب بالخط العربي تسمى (الكومكية) .
7 ـ **اللغة الجركسية** : وليس للغتهم الوطنية حروف تكتب بها، ولكن وضع لها حديثاً حروف جديدة .
8 ـ **التركية الأنبورغية، أو التركية القرغيزية** .
9 ـ **التركية الجغتائية** : وهي لغة التركمان وأكثر بلاد خيوه (خوارزم) وبخارى وغيرها .
10 ـ **التركية التكية** : وهي لغة قبيلة تكية من قبائل التركمان بالتركستان .
11 ـ **اللغة الأوزكية** : وهي منتشرة في التركستان الروسية ومركزها مدينة سمرقند .
12 ـ **اللغة الكشغرية** : وهي لغة شائعة في التركستان الصينية ومركزها مدينة كشغار .

(1) انظر في هذا : عبد الفتاح عبادة : انتشار الخط العربي ص 47 ـ 56، الكردي ص 48 ـ 51 .
(2) الطورانية : نسبة الى طوران وهي بلاد تركستان، واسم طوران في الأصل أطلقه الأتراك على بلادهم عندما كان الفرس في ابان تمدنهم .

ثانياً ـ اللغات الهندية :

اللغة الهندية من اللغات الآرية، أو اللغات الهندوأوربية[1]، وهي منتشرة في جميع الهند والسند وسيلان وملقا وغيرها، وأهمها اللغة الأوردية الهندوستانية، ومن فروعها التي تكتب بالخط العربي :

1 ـ **اللغة الأوردية** : وتعرف باللغة الهندوستانية الشمالية .

2 ـ **اللغة الدكنية** : وتعرف باللغة الهندوستانية الجنوبية .

3 ـ **اللغة الكشميرية** : وتكتب بالخط العربي منذ أوائل القرن الخامس الهجري .

4 ـ **اللغة السندية** : ومركزها مدينة كراجي، وتنقسم الى ثلاث لهجات .

5 ـ **اللغة الجاتكية** : أو اللغة المولثانية ومركزها مدينة ملتان .

6 ـ **اللغة الملاكية (الملقية)، أو لغة الملايو**: وهي شائعة في شبه جزيرة ملقا .

7 ـ **اللسان الجاوي، أو البيجون** : وهو فرع من لغة الملايو، شائع في جزيرة جاوة .

ثالثاً ـ اللغات الفارسية[2]:

الفارسية من اللغات الآرية وهي شائعة في بلاد الفرس وأفغانستان وكردستان وبلوخستان والتاميز، ومن فروعها التي تكتب بالخط العربي :

1 ـ **اللغة الفارسية** : وكان الفرس قبل الاسلام يكتبون بالخط البهلوي .

2 ـ **اللغة الأفغانية** : وتسمى في قندهار (بشتوية)، وفي بيشاور (بختوية) .

3 ـ **اللغة البلوشية** : (البلوخستانية) .

4 ـ **اللغة الكردية** : ويكتب الأكراد لغتهم بالخط العربي منذ زمن بعيد، ولم يكن لهم خط مستقل .

---

(1) وتدعى اللغة الآرية أو الهندوأوربية (اليافيثية) أيضاً، نسبة الى يافث بن نوح، وتنقسم الى جنوبية : وهي لغات جنوب آسية ومنها السنسكريتية وفروعها الهندية والفارسية والأفغانية والكردية والأرمينية وغيرها. وشمالية : ومنها لغات أوروبا، والسنسكريتية هي لغة الهنود القديمة، وهذه اللغة لا يتكلمون بها ولكن كتب علومهم الروحية مكتوبة بها، ومعنى السنسكريتية : اللغة التامة أو المهذبة. (عن : عبادة : انتشار الخط العربي ص 47 وما بعدها) .

(2) في كتاب الفهرست (ص 15 ـ 16) قال ابن المقفع : للفرس سبعة أنواع من الخطوط، منها كتابة الدين ويسمى دين دفيريه يكتبون بها الوستاق. . وكتابة أخرى تسمى ويش دبيريه وهي ثلثمائة وخمسة وستون حرفاً يكتبون بها الفراسة والزجر وخرير الماء وطنين الآذان واشارات العيون والايحاء والغمز وما شاكل ذلك، . . . وكتابة أخرى يقال لها الكشتج وهي ثمانية وعشرون حرفاً يكتب بها العهود والمرنة والقطائع، وبهذه الكتابة كانت نقوش خواتيم الفرس وطرز ثيابهم وفرشهم وسكة دراهمهم. . . وكتابة أخرى يقال لها نيم كشتج وهي ثمانية وعشرون حرفاً يكتب بها الطب والفلسفة. . . وكتابة أخرى يقال لها الشاه دبيرية وكانت ملوك الأعاجم يتكاتبون بها فيما بينهم دون العوام ويمنع منها سائر أهل المملكة حذراً من أن يطلع على أسرار الملوك من ليس بملك. . . وكتابة أخرى يقال لها راز سهرية كانت الملوك تكتب بها الأسرار مع من يريدون من سائر الأمم وعدد حروفها وأصواتها أربعون حرفاً. . . ولهم كتابة أخرى يقال لها راس سهرية يكتب بها المنطق والفلسفة، وهي أربعة وعشرون حرفاً .

رابعاً ـ اللغات الأفريقية:

وهي منتشرة في أفريقية، ولها فروع كثيرة، ومن أشهر لغاتها التي تكتب بالخط العربي هي :

1 ـ **اللغة البربرية الشحلية** : وهي لغة البربر سكان مراكش الأصليين .

2 ـ **اللغة البربرية الريفية** : وهي لغة البربر سكان الجزائر الأصليين .

3 ـ **اللغة النوبية** : وهي لغة البرابرة سكان وادي النيل بين الشلال الأول والرابع .

4 ـ **اللغة الحوسية** : وهي شائعة في مملكة حوس من السودان الغربي، وتسمى لغة سقطو .

5 ـ **اللغة السواحلية** : وهي شائعة في زنجبار وما والاها .

6 ـ **اللغة الملجاشية** : وهي لغة بعض قبائل جزيرة مدغشقر .

7 ـ **اللغة الحبشية** : المسلمون منهم يكتبون لغاتهم الحبشية بالخط العربي، ومن الشعوب الحبشية التي تكتب بالخط العربي شعب آغو والغالا والكوش، وكذلك أهل هرر .

الفصل الخامس

اعلام الخط المبدعون في العصر العباسي

1 ـ ابن مقلة

نبغ في العصر العباسي فنانان بلغا في الخط غاية في الجودة والاتقان، هما ابنا مقلة، وهما أخوان، أولهما: الوزير أبـو علي محمد بن علي بن الحسن بن عبدالله بن مقلة (المتوفى سنـة 328 هـ)، والثاني: أخوه أبو عبدالله الحسن بن علي بن الحسن بن عبدالله بن مقلة (المتوفى سنة 338 هـ)[1].

ومقلة لقب أبيهما علي، ذكـره ابن النديم[2] ولم يبيّن سبب تلقيبه بـه، وقد بيّن ياقـوت الحموي سبب التسمية في ترجمة أبي عبدالله الحسن أخي الوزير فقـال: «ومقلة اسم أم لهم كان أبوها يرقصها، فيقول: يا مقلـة أبيها، فغلب عليها»[3]، ومـات أبـوهم علي الملقب بمقلة في ذي الحجـة سنـة تسع وثلاث مائة، وله يوم مات سبع وستون سنة وأشهر، وصلى عليه ابنه أبو علي[4].

ولـد الوزيـر أبـو علي محمد بن علي بن مقلـة في يـوم الخميس لتسع بقين من شوال سنـة اثنتين وسبعين ومائتين (272 هـ) ببغداد[5]، وقتل سنة ثمان وعشرين وثـلاث مائة[6] وعمره ست وخمسون سنة، أي في عز كماله ونضجه وعطائه.

ورث ابن مقلة موهبة الخط عن أبيـه علي، فقد كان كاتباً مليح الخط[7]، وعلى خطه كتب ولداه أبو علي وأبو عبدالله، وكذلك ورث هذه الصنعة جماعة من ذراريهم[8] وقال ابن النديم إنه رأى مصحفاً بخط علي بن مقلة[9].

---

(1) ابن النديم: الفهرست ص 14، ياقوت: معجم الأدباء 9/ 28، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 3/ 268.

(2) الفهرست ص 14.

(3) معجم الأدباء 9/ 28.

(4) ياقوت: معجم الأدباء 9/ 28، وانظر الخطاط البغدادي ص 53.

(5) ابن النديم: الفهرست ص 14، ابن خلكان: وفيات الأعيان 2/ 62.

(6) وقيل سنة 326 هـ ابن النديم ص 14، وابن الجوزي: المنتظم 6/ 309، 6/ 311.

(7) ياقوت: معجم الأدباء 9/ 30.

(8) ياقوت: السابق والصفحة.

(9) ابن النديم ص 14، وقد انفرد مؤلف كتاب تحفة خطاطين ص 428 بأن علياً هذا كان زياتاً يبيع الزيت، ورغب ابنه أبو علي عن عمل ابيـه وانصرف الى الدرس، أمـا المصـادر العربيـة التي تـرجمت لابن مقلـة فلم تذكـر هـذا. انظر الخطـاط البغدادي ص 53.

وهكذا انتشرت الكتابة في أسرة ابن مقلة فأبدعت فيها وجودت، على أن الفضل والكمال كانا للوزير أبي علي الذي بلغ مرتبة عالية في العلم والفن، فقد أتقن النحو وحفظ اللغة وأبدع في الأدب شعره ونثره، وامتاز بفضائل كثيرة فاق بها أقرانه من أهل عصره وقد أشاد بذلك الصولي فقال: «ما رأيت وزيراً ـ منذ توفي القاسم بن عبيدالله ـ أحسن حركة، ولا أظرف إشارة، ولا أملح خطاً، ولا أكثر حفظاً، ولا أسلط قلماً، ولا أقصد بلاغة، ولا آخذ بقلوب الخلفاء، من محمد بن علي . . .»[1].

تنقَّل ابن مقلة في أعمال الدولة، وكان قديراً طموحاً أدى به طموحه إلى المحن والهلاك، ذكر ابن خلكان أنه كان في أول حياته يتولى بعض أعمال فارس ويجبي خراجها وتنقلت به الحال الى أن استوزره المقتدر بالله[2]، أما ابن الطقطقي فيذكر أنه: «كان في ابتداء أمره يخدم في بعض الدواوين في كل شهر بستة دنانير، ثم انه تعلق بأبي الحسن ابن الفرات الوزير واختص به، وكان ابن الفرات كالبحر سماحاً وجوداً، فرفع من قدره وأعلى شأنه، فمكث بين يديه يعرض عليه رقاعاً في مهمات الناس، وينتفع بسبب ذلك، وكان ابن الفرات يأمره بالتحصيل من هذه الجهة، إيثاراً لنفعه، فما زال على ذلك حتى علت حاله، وكثر ماله، ولما ولي ابن الفرات الوزارة الثانية، تمكن ابن مقلة في دولته ونبغت حاله، وعرض جاهه، ثم ان الشيطان نزغ بينه وبين أبي الحسن علي بن الفرات، فاستوحش كل منهما من صاحبه، فكفر ابن مقلة إحسان ابن الفرات، ودخل في جملة أعدائه والسعاة عليه، حتى جرت النكبة على ابن الفرات، فلما رجع ابن الفرات الى الوزارة قبض عليه، وصادره على مائة ألف دينار، أدتها عنه زوجته، وكانت ذات مال طائل»[3]، ولا شك أن هذه الرواية رغم صحتها لا تخلو من عصبية لابن الفرات.

تقلب ابن مقلة في وظائف الدولة، واستوزر مرات، وعاش حياة عريضة مترفة، فقد علت حاله وكثر ماله، ومن مظاهر ذلك أنه كان له بستان كله شجر ليس فيه نخل، فجعل له شبكة أبريسم، وكانت تفرخ الطيور التي لا تفرخ في الشجر كالهزار والقماری والببغ[4] والبلابل والطواويس، وكان فيه من الغزلان والنعام وحمر الوحش كثير، وبُشِّر بطائر بري وقع على طائر بحري وباضا وأفرخا فأعطى من بشره بذلك مائة دينار[5]، وكان يتصدق بخطه، وأُخذ خطه بألف ألف دينار[6]، ولكن طموحه أداه الى المهالك فاشترك في مؤامرات الحكم وغدر السلطة والسلطان، وذاق بسبب ذلك

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 3/ 268.

(2) وفيات الأعيان 2/ 61.

(3) الفخري ص 270 ـ 271 ط صادر.

(4) جمع الببغاء.

(5) الصائغ: تحفة أولي الألباب ص 48.

(6) الصائغ: تحفة أولي الألباب ص 48، ابن خلكان: وفيات الأعيان 4/ 199.

ضروباً من العذاب والبلاء، كان من مثله في غنى عن هذا الجاه الزائل.

استوزر ابن مقلة ثلاث مرات في أيام الخلفاء: المقتدر بالله، والقاهر بالله، والراضي. فقد استوزر (المقتدر بالله) ابن مقلة وخلع عليه لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة 316 هـ، وقبض عليه يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة 318 هـ، ثم نفاه الى شيراز من بلاد فارس بعد أن صادره[1].

واستوزره (القاهر بالله)، فأرسل إليه الى شيراز رسولاً يجيء به، ورتب له نائباً عنه فوصل ابن مقلة في عيد الأضحى من سنة 320 هـ وخلع عليه، ولم يزل وزيره حتى اتهم بمعاضدة علي بن بليق على الفتك به، فاستتر في أول شعبان من سنة 321 هـ. وسعى مع الحسن بن هارون في خلع القاهر بالله، فكانا يراسلان قواد الساجية والحجرية ويخوفانهم من شره، ويذكران لهم غدره ونكثه مرة بعد مرة، وكان ابن مقلة يجتمع بالقواد ليلاً، تارة في زي أعمى، وتارة في زي مكد، وتارة في زي امرأة، حتى ملأ صدورهم، فاتفقوا على خلعه، وهجموا على القصر، فقبضوا عليه وحبسوه ثم سملوا عينيه[2].

واستوزره (الراضي بالله)، وقد بويع بالخلافة بعد القاهر بالله لستٍ خلون من جمادى الأولى من سنة 322 هـ، بعد ثلاثة أيام من ولايته، فكانت الكلمة العليا في أول الأمر له ولحاجبه محمد بن ياقوت، ثم حدثت الوحشة بينهما، اذ تحكم ابن ياقوت في البلاد بأسرها، وخرج الأمر من يد ابن مقلة، فسعى به إلى الراضي، وأدام السعاية، فبلغ ما أراده، وقبض الخليفة على محمد بن ياقوت وعلى أخيه المظفر وحبسهما، ومات محمد في الحبس، ثم أطلق المظفر بعد أن أخذ عليه ابن مقلة العهد أنه يواليه ولا ينحرف عنه، ولا يسعى له ولا لولده بمكروه. وكان المظفر يظن ان ابن مقلة سمَّم أخاه، فكان لذلك يتحين الفرصة للقبض عليه، فاتفق مع الجنود الحجرية أن يقبضوا على ابن مقلة، فقبضوا عليه في دهليز دار الخلافة لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة 324 هـ، وأرسلوا إلى الراضي بالله يعرفونه صورة الحال، وعددوا له ذنوباً وأسباباً تقتضي ذلك، فاستحسن عملهم، واستوزر عبد الرحمن بن عيسى، وسلم إليه ابن مقلة، فضربه بالمقارع وعلقه، وأخذ خطه بألف ألف دينار، ثم خلص، وجلس بطالاً في داره[3].

(1) ابن الأثير: الكامل 8/ 184، الجهشياري: الوزراء والكتاب ص 45، 47، ابن كثير: البداية والنهاية 11/ 158، المسعودي: التنبيه والاشراف ص 329.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان 4/ 198، ابن الأثير: الكامل 8/ 279.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان 4/ 199.

ولما استولى محمد بن رائق على الخلافة، وقوي أمره، احتاط على أملاك ابن مقلة وضياعه وأملاك ولده أبي الحسين، فأخذ ابن مقلة في السعي به من كل جهة، وكتب إلى الراضي سراً يشير عليه بامساكه، وضمن له أنه متى فعل ذلك وقلده الوزارة، استخرج له ثلاث مئة ألف ألف دينار، فلما استوثق من الراضي، سار إليه سراً، حتى إذا وصل دار الخليفة، لم يمكنه من الوصول إليه، وخاس (الراضي) بعهده، فاعتقله في حجرة، ووجه من غد الى ابن رائق، وأخبره بأسره لابن مقلة، فالتمس ابن رائق من الخليفة قطع يده اليمنى التي كتب بها رسالة إليه، فقطعت، ورد الى سجنه، ولم يجد منجى من محنته حتى مات فيه[1]، وقد وصف الطبيب ثابت بن سنان الحراني - في زمن الراضي - المحنة التي ابتلي بها ابن مقلة وصفاً حزيناً مؤلماً جاء فيه قوله: «أمرني الراضي بالله بالدخول الى ابن مقلة، آخر اليوم الذي قطعت يده فيه، فدخلت إليه، فعالجته. وسألني عن خبر ابنه أبي الحسين[2]، فعرفته خبر سلامته، فسكن إلى ذلك غاية السكون، ثم ناح على نفسه، وبكى على يده، وقال: يد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات، وكتبت بها القرآن دفعتين، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص، أتذكر وأنت تقول لي: إنك في آخر نكبة، والفرج قريب، قلت: بلى، قال: ترى ما حل بي، فقلت: ما بقي بعد هذا شيء، والآن ينبغي أن نتوقع الفرج، فانه عمل بك ما لم يعمل بنظير لك، وهذا انتهاء المكروه، ولا يكون بعد الانتهاء الا الانحطاط. فقال: لا تغفل، إن المحنة قد تشبثت بي تشبثاً تنقُّلني به من حال إلى حال، حتى تؤديني إلى التلف، كما تتشبث حمى الدقّ بالأعضاء فلا تفارق صاحبها حتى تؤديه إلى الموت. ثم تمثل بهذا البيت[3]:

إذا ما ماتَ بعضُك فأبْكِ بعضاً فـإنَّ البعضَ من بعـضٍ قريبُ

قال ثابت: فكان الأمر على ما قال، فلما قرب إتيان أمره من بغداد، نقل من ذلك الموضع الى موضع أغمض منه، فلم يوقف له على خبر، وحجبت عنه، ثم قطع لسانه، وبقي في الحبس مدة طويلة، ثم لحقه ذرب، ولم يكن له من يعالجه ولا من يخدمه، حتى بلغني أنه كان يستقي الماء بيده اليسرى وفمه، ولحقه شقاء شديد إلى أن مات، ودفن في دار السلطان. ثم سأل أهله بعد مدة تسليمه إليهم، فنبش وسلم اليهم، فدفنه ابنه أبو الحسين في داره، ثم نبشته حرته المعروفة بالدينارية، ودفنته في دارها بقصر أم حبيب وذلك سنة 328 هـ[4].

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان 4/ 199، ابن الطقطقي: الفخري ص 272.

(2) ابو الحسين ابن محمد بن مقلة، يرد تارة باسم أبي الحسن، وكان شاعراً ذكره الثعالبي باسم أبي الحسن، وقال عنه إنه من أبناء الوزراء وبقية بني مقلة. (يتيمة الدهر 3/ 100) ط الصاوي 1934.

(3) البيت للخريمي الشاعر يبكي عينه التي ذهبت، انظر: طبقات ابن المعتز ص 293، والشعر والشعراء ص 542.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان 2/ 81، ابن الأثير: الكامل 8/ 347، ابن كثير البداية والنهاية 11/ 196.

قال ثابت: ومن عجائبه أنه كان يراسل الراضي بالله من الحبس بعد قطع يده، وقبل أن يقطع لسانه، ويطمعه في المال الذي وعد تصحيحه له، ويقول: إن قطع يده ليس مما يمنعه أن يستوزر، لأنه يمكنه أن يوقع بحيلة يحتال بها، أو يعمل بيده اليسرى. ولقد كانت تخرج من عنده له رقاع - بعد قطع يده - الى ابنه أبي الحسين، وقبل أن يُضَيَّقَ عليه، ويذكر ابنه أنها كانت بخط جيد من خطه، وأنه كان يكتب بيده اليسرى، أو يسند القلم على ساعد يده اليمنى فيكتب به» ومن نكد الدنيا أن مثل تلك اليد النفيسة تقطع[1].

وقد نسب ابن خلكان قطع لسانه بعد قطع يده اليمنى الى بجكم[2]، أما ابن الأثير فيروي خلاف ذلك، إذ يقول: لما قرب بجكم من بغداد سمع الخدم يتحدثون بقطع يد ابن مقلة، وأنه قال: إن وصل بجكم، فهو يستخلصني، وأكافىء ابن رائق، وصار يدعو على من ظلمه وقطع يده، فوصل خبره إلى الراضي وابن رائق، فأمرا بقطع لسانه[3].

ومن طريف ما يروى عن أمر ابن مقلة، أنه تقلد الوزارة ثلاث مرات، وسافر ثلاث مرات، وذهب للقتال ثلاث مرات، ودفن بعد موته ثلاث مرات[4]. لقد ذاق ابن مقلة من العذاب ما لم يذقه أحد، فقد قطعت يده، وقطع لسانه، وحبس وضرب بالمقارع، وأحرقت داره ثلاث مرات، وعجز ولم يجد أحداً يخدمه، كان في الحبس يستقي الماء بيده اليسرى وفمه، وعطش فلم يجد ماء فبال وشرب بوله، ومات في السجن فدفن في دار السلطان، ثم حمل فدفن في داره، ثم أخرج فدفن في مكان آخر[5].

---

(1) الثعالبي: ثمار القلوب ص 168.

(2) ابن خلكان 2/ 62. وبجكم هذا أمير تركي كان في أول أمره من غلمان أبي علي العارض ثم اتصل بابن رائق أمير الأمراء، وتلقب بـ (الرائقي) نسبة اليه، ثم فارقه، وانتهى أمره بأن تغلب على بغداد في خلافة الراضي بالله، وتولى إمرة الأمراء مكان ابن رائق وضرب الدنانير والدراهم باسمه، وصور عليها صورته شاكي السلاح (مروج الذهب 2/ 529) ولم يزل على ذلك حتى قتله غلام من الأكراد قرب نهر جور وهو يتصيد (ابن الأثير: الكامل 8/ 121)، ونهر جور، قال ياقوت: (نهر بين الأهواز وميسان فيما أحسب). وذلك في شهر رجب من سنة 329 هـ، فعاد ابن رائق واستولى على بغداد (ابن كثير: البداية والنهاية 13/ 200).

(3) ابن الأثير: الكامل 8/ 121.

(4) و (5) الصائغ: تحفة أولي الألباب ص 49، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص 304، الثعالبي: ثمار القلوب ص 168، ابن الطقطقي: الفخري ص 272.

أدبه:

عرف الوزير ابن مقلة بأنه أديب شاعر بالإضافة إلى إبداعه في الخط والكتابة، فما روي من أسلوبه قوله في الشعر والغناء: «يعجبني الشعر تأدباً لا تكسباً، وبتعاطي الغناء تطرباً لا تطلباً»[1]، وقوله في الحكمة: «إذا أحببت تهالكت، وإذا أبغضت أهلكت، وإذا رضيت آثرت، وإذا غضبت أثّرت»[2]. ومن إنشائه من رسالة أنفذها من سجنه الى الوزير أبي الحسن ابن الفرات قوله:

«أمسكت ـ أطال الله بقاء الوزير ـ عن الشكوى، حتى تناهت البلوى في النفس والمال، والجسم والحال، الى ما فيه شفاء للمنتقم، وتقويم للمجترم، حتى أفضيت الى الحيرة والتبلد، وعيالي الى الهتكة والتشرد. وما أبداه الوزير ـ أيّده الله ـ في أمري إلا بحق واجب، وظن غير كاذب، وعلى كل حال فلي ذمام وحرمة، وصحبة وخدمة، إن كانت الاساءة أضاعتها، فرعاية الوزير ـ أيده الله تعالى ـ بحفظه، ولا مفزع إلا الى الله بلطفه، وكنف الوزير وعطفه، فإن رأى ـ أطال الله بقاءه ـ أن يلحظ عبده بعين رأفته، وينعم بإحياء مهجته، وتخليصها من العذاب الشديد، والجهد الجهيد، ويجعل له من معروفه نصيباً، ومن البلوى فرجاً قريباً»[3].

شعره:

ونقلت الكتب التي ترجمت له مقطوعات من شعره، منها ما صح له، ومنها ما اختلط بشعر ابنه (أبي الحسين)، ومنها ما استشهد به من شعر الآخرين.

ومن شعره ما رواه ابن الطقطقي، قال: حدث أبو الحسن بن ثابت بن سنان، عن أبي الحسن علي بن هشام، قال: لما تقلد الفضل بن جعفر بن الفرات الوزارة، لقيت ابن مقلة ـ وكان معزولاً مستتراً ـ فقلت له: يقبح بك ـ يا سيدنا ـ أن تتأخر عن لقاء هذا الوزير وتهنئته بوزارته، فقال: ما آمنه، ولا لي حاجة الى الاجتماع به، فقلت: ينبغي أن تكتب إليه رقعة تعتذر فيها عن تأخرك، وتهنئه تهنئة تقوم مقام حضورك، فقال: أخاف أن يجيبني بما يستدعي حضوري، وأنشدني لنفسه:

وقائلةٍ قد أضعتَ الصوابَ   بتركك هذا الوزيرَ الجديدا

فقلتُ لها لا عَداكَ السرورُ   ولا كان قولُكِ إلاّ سَدِيدا

أمثلي تطاوعهُ نفسُهُ   على أن يُرَىٰ خاضعاً مستزيدا[4]

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان 2/ 62، ابن العماد: شذرات الذهب 2/ 311.

(2) المصدران السابقان والصفحات.

(3) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 3/ 268.

(4) الفخري ص 254، ولا توجد الأبيات في طبعة صادر.

ومما يروى لابن مقلة قوله[1]:

جرّبني الدهرُ على صَرْفِهِ   فلم أخُرْ عند التصاريفِ

ألِفْتُ يوميهِ ويا رُبّما   يُؤلفُ شيءٌ غيرُ مألوفِ

وكتب الى ولده وقد مرض[2]:

لقّاك ربّك صحةً وسلامةً   ووقاكَ بي من طَارقِ الأرزاءِ

ذُكِرَتْ شكاتُكَ لي وكاسي في يدي   فمزجتُها دمعي مكانَ الماءِ

وحدَّث أبو عبدالله أحمد بن إسماعيل المعروف بزنجي، كاتب ابن الفرات، قال[3]: «لما نُكِب ابن مقلة وحُبِس، لم أدخل إليه في محبسه، ولا كاتبته، ولا توجعت له، على ما بيني وبينه من المودة والصداقة، خوفاً من ابن الفرات، فلما طالت به المحنة، كتب إليّ رقعة، فيها:

تُرَىٰ حُرِّمتْ كُتْبُ الأخلاء بينهم   أبِنْ لي أم القرطاسُ أصبحَ غاليا

فما كان لو ساءَلْتَنَا كيف حالُنَا   وقد دَهَمَتْنَا نكبةٌ هي ما هِيَا

صديقُكَ من راعَاكَ في كل شِدَّةٍ   وكُلاًّ تراهُ في الرَّخاءِ مُرَاعِيَا

فهبْكَ عدُوِّي لا صديقي فإنَّني   رأيتُ الأعادي يَرْحَمونَ الأعادِيَا

وقال يشير إلى قطع يده[4]:

ما سئِمْتُ الحياةَ لكن توثَّقـ   ـتُ بأيمانِهمْ فبانَتْ يميني[5]

بِعْتُ ديني لهم بدنيايَ حتّى   حرموني دنياهُمُ بعدَ ديني

(1) ابن الطقطقي: الفخري ص 244 ط دار المعارف، ص 270 ط صادر.

(2) ابن الطقطقي ص 244، ط دار المعارف، ص 271 ط صادر.

(3) الفخري ص 244، والنجوم الزاهرة 3/ 268 وفيه: محمد بن اسماعيل.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان 4/ 201، ابن الجوزي: المنتظم 6/ 311، ابن العماد: شذرات الذهب 2/ 311، والأبيات عدا الثاني في الفخري ص 272 ط صادر.

(5) في الفخري: ما مللت الحياة.

ولقد حُطْتُ (1) ما استطعتُ بجهدي   حِفْظَ أرواحِهم فما حَفِظـــوني
ليس بعـــدَ اليمينِ لـــذَّةُ عيشٍ   يـا حيـاتي بـانتْ يميني فبيني

ومن الشعر المنسوب إليه وليس له، هذان البيتان اللذان نسبها ابن الطقطقي إليه، وقال ابن خلكان: (من المنسوب إليه)، ورواهما الثعالبي لأبي الحسن ابن مقلة ابنه[2]:

لستُ ذا ذِلَّةٍ إذا عضَّني الدهـ   ـرُ ولا شـامخا إذا واتـاني
أنـا نـارٌ في مُـرتَقَىٰ نَفَسِ الحا   سدِ مـاءٌ جـارٍ مع الإخـوانِ

ومن شعر ابنه أبي الحسن ابن مقلة الذي عزى إلى أبيه الوزير ابن مقلة، قوله[3]:

وإذا رأيتَ فتًى بأعلَىٰ رُتْبَـةٍ   في شـامخٍ من عِـزِّهِ المترفّعِ
قالت لي النفسُ العروفُ بقَدْرِها   مـا كـانَ أولاني بهذا الموضعِ

ومما ينسب لابن مقلة بيت قاله في قطع يده هو[4]:

إذا ما ماتَ بعضُكَ فابْكِ بعضاً   فإنَّ البعضَ من بعضٍ قريبُ

والبيت استشهد بـه ابن مقلة وهو مع آخر للخريمي يذكر عينه، وكان مبتلياً بمرض في عينه وعمي لما أسنّ فرثى عينه بشعر كثير منه هذا البيت، وبعده[5]:

يُمَنِّيني الطبيبُ شِفَاءَ عيني   وهلْ غيرُ الإلهِ لهُ طبيبُ

وقد قيل في ابن مقلة وفي خطه وفي قطع يده شعر ونثر، وقد كبر على الناس أن يصاب ابن مقلة بما أصيب، وينزل به ما نزل، وتذهب يده التي كتبت كلام الله، وخطت كل رائع نفيس، من ذلك ما

---

(1) في الفخري: ثم أحسنت ما استطعت.
(2) ابن الطقطقي: الفخري ص 272، ابن خلكان 4/ 201، اليتيمة 3/ 100.
(3) الثعالبي: يتيمة الدهر 3/ 101، ابن خلكان: وفيات الأعيان 4/ 201، ابن العماد: شذرات الذهب 2/ 311.
(4) ابن العماد: شذرات الذهب 2/ 311،
(5) انظر شعره في طبقات ابن المعتز ص 293، ابن الجراح: كتاب الورقة ص 100، ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص 542.

قاله بعض الشعراء في قطع يده[1]:

لَئِنْ قطعـوا إحـدىٰ يـديـهِ مَخَافَةً   لأقـلامـهِ لا للسيـوفِ الصـوارمِ
فما قطَعُـوا رأيـاً إذا مـا أجـالَـهُ   رأيتَ الـرَّدَىٰ بين اللَّهَا والغـلاصمِ

وقال الثعالبي يصف خط ابن مقلة[2]:

خطُّ ابنِ مقلـةَ مَنْ أرعـاهُ مقلتَـهُ   ودَّتْ جوارِحُهُ لو أصبحَتْ مُقَلا
فالدرُّ يصفَرُّ لاستحسـانهِ حَسَداً   والبـدرُ يحمَرُّ مـن أنوارِه خَجَـلا

وقال الثعالبي أيضاً في خط ابن مقلة[3]:

سقَىٰ اللهُ عيشـاً مضَىٰ وانقضَىٰ   بـلا رجعـةٍ أرتجيهـا ونُقْلَـهْ
كـوجـهِ الحبيبِ وقلبِ الأديبِ   وشِعْـرِ الـوليـدِ بخطِّ ابنِ مُقْلَـهْ

وقال الصاحب بن عباد يصف خط ابن مقلة[4]:

خـطُّ الـوزيـرِ ابـنِ مقلَـهْ   بستـانُ قـلـبٍ ومُـقْـلَـهْ

وقال شاعر آخر[5]:

سبقَ الـدمعُ في المسيلِ المطَـايَا   إذ روى من أحَبَّ عنـه بقلَّـهْ
وأجـادَ السطورَ في صفحـةِ الخَـ   ـدِّ ولَمْ لا يُجيـدُ وهـو ابنُ مُقْلَةْ

---

(1) ابن الطقطقي: الفخري ص 245.
(2) ثمار القلوب ص 167، وتمثل أبو عبيد بالبيت الأول، وفيات الأعيان 1/ 345.
(3) ثمار القلوب ص 167. والوليد في البيت الثاني هو أبو عبادة البحتري المتوفى سنة 283 هـ.
(4) الثعالبي: ثمار القلوب ص 167.
(5) المصدر السابق والصفحة، والبيتان في تحفة أولي الألباب ص 49، ونسبهما المحقق هلال ناجي لأثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي، مع خلاف يسير في الرواية.

وقال الآخر[1]:

تسلسلَ دمعي فوقَ خدِّيَ أسْطُراً ولا عجبٌ من ذاكَ وهو ابن مُقْلَةِ

وقد ضُرب المثل بخط ابن مقلة، كما ضرب المثل بفصاحة سحبان وحكمة لقمان، قال الشاعر[2]:

فصاحةُ سَحْبانٍ وخطُّ ابنِ مقلةٍ وحكمةُ لقمانٍ وزهدُ ابنِ أدْهَمِ
إذا اجتمعتْ في المرءِ والمرءُ مفلسٌ ونودي عليهِ لا يُبَاعُ بدِرْهَمِ

ومما قيل في ابن مقلة وخطه من النثر ما نقله أبو حيان التوحيدي في رسالته (علم الكتابة) قال: «قال لنا أبو عبدالله بن الزنجي الكاتب[3] - ورأيته بأذربيجان يكتب لإبراهيم بن المرزبان السلار -: أصلح الخطوط وأجمعها لأكثر الشروط، ما عليه أصحابنا بالعراق، فقلت: ما تقول في خط ابن مقلة؟ قال: ذاك نبي فيه، أفرغ الخط في يده، كما أوحي الى النحل في تسديس بيوته»[4].

وقال الثعالبي في خطه: «خط ابن مقلة يضرب مثلاً في الحسن، لأنه أحسن خطوط الدنيا، وما رأى الراؤون، بل ما روى الراوون مثله في ارتفاعه عن الوصف، وجريه مجرى السحر»[5]، وجاء في أساس البلاغة سجع للزمخشري قوله: «في خطه حظ لكل مقلة، كأنه خط ابن مقلة»[6]، وذكر ابن النديم أن لقدامة بن جعفر رسالة في ابن مقلة تعرف بـ(النجم الثاقب)[7].

(1) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 17، الصائغ: تحفة أولي الألباب ص 50.
(2) الثعالبي: ثمار القلوب ص 79، الشريشي: شرح المقامات 2/ 82، ويروي: (وعفة مريم) بدلاً من (وزهد ابن ادهم) وابراهيم بن أدهم: من مشهوري الصوفية.
(3) هو أبو عبد الله محمد (وقيل أحمد) بن اسماعيل المعروف بزنجي كاتب ابن الفرات. (الفهرست ص 190، معجم الأدباء 6/ 417، الفخري ص 243).
(4) أبو حيان التوحيدي: رسالة في علم الكتابة منشورة في مجلة أرس اسلاميكا م 13 - 14 ص 27، وثلاث رسائل لأبي حيان تحقيق ابراهيم الكيلاني دمشق 1951.
(5) ثمار القلوب ص 166.
(6) أساس البلاغة: مقل.
(7) الفهرست ص 144.

خط ابن مقلة:

أخذ ابن مقلة الخط عن الأحول[1] اسحاق بن إبراهيم الذي كان يعلم المقتدر وأولاده، ويكنى بأبي الحسين، وله رسالة في الخط والكتابة سماها (تحفة الوامق) لم يُرَ في زمانه أحسن خطاً منها، ولا أعرف بالكتابة، وهو أستاذ أبي علي بن مقلة[2].

ثم انتهت جودة الخط وتحريره على رأس الثلاثمائة الى الوزير أبي علي محمد بن مقلة، وأخيه أبي عبدالله الحسن بن علي بن مقلة، وولَّدا طريقة اخترعاها وكُتب في زمنهما فلم يوازوهما، وتفرد أبو عبدالله بالنَّسْخ، والوزير أبو علي بالدَّرْج، وكان الكمال في هذه الصناعة للوزير، فإنه اخترع وهندس الحروف وأجاد تحريرها، وأسس قواعدها، ومنه انتشر الخط في مشارق الأرض ومغاربها[3].

قال ياقوت: «كان الوزير أوحد الدنيا في كَتْبه (قلم الرقاع) و(التوقيعات) لا ينازعه في ذلك منازع، ولا يسمو إلى مساماته ذو فضل بارع، وكان أبو عبدالله أكتب من أخيه في (قلم الدفتر) و(النسخ) مسلماً له في فضيلته، غير مفاضل في كَتْبَته»[4]، وقد أكمل قواعد الخط من بعد ابن مقلة وتممها ابن البواب، واخترع غالب الأقلام التي أسسها ابن مقلة[5]، وابن مقلة أول من هندس الحروف وقدر مقاييسها وأبعادها بالنقط، وضبطها ضبطاً محكماً، وكان قد أخذ الخط عن الأحول المحرر من صناع البرامكة، وكذلك أخوه أبو عبدالله الحسن ابن مقلة، وكان خطهما في غاية الجودة.

الكتابة المنسوبة:

ولما نبغ ابن مقلة أطلق على خط النسخ اسم (البديع)، وكان قد سمي النسخ بهذا الاسم لأن الكُتَّاب كانوا ينسخون به المصحف، ويكتبون به المؤلفات، وهو مشتق من (الجليل) أو (الطومار) أو منهما معاً، وكان ابن مقلة يسميه البديع. وكان الكتاب المجودون في عصر المأمون يسمون الخطوط المتقنة يومئذٍ بـ(الخطوط الأصلية الموزونة)، ثم سميت في زمن ابن مقلة (الكتابة المنسوبة)، وحين بدأ ذيوع هذا الوصف للخطوط الجميلة المكتوبة وفق الرسوم والقوانين التي ابتكرها ابن مقلة، زيادة على

(1) هناك أكثر من شخص سمي بالأحول، انظر تحقيق ذلك في: الخطاط البغدادي - القسم الثاني للأثري ص 55 - 57.
(2) ابن النديم: الفهرست ص 13، ياقوت: معجم الأدباء 6/ 61.
(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان 4/ 198، القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 17، ضوء الصبح المسفر 1/ 183، الصائغ: تحفة أولي الألباب ص 46.
(4) معجم الأدباء 10/ 29.
(5) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 17.

مبتكرات سابقيه وعرفت بالكتابة المنسوبة، طفق الناس يتساءلون عن اشتقاقها وسبب تسميتها، أسميت منسوبة لتناسبها أم لأنها نسبت إلى واضعها، وما سبب إعجاب كافة الناس بها، ونجد جواب ذلك وغيره في رسالة أبي حيان التوحيدي الذي يرى أنه: «تناسب الخط في أشكاله الهندسية المتقنة الجودة، ونسبتها إلى إمام من أئمته، ذلك أن الكاتب إذا بلغ في تعلم صناعة الخط غاية قدرته، كانت لخطه ملامح خاصة يعرف بها، ومعان تخصه، ويعرفها أهل التمييز والنقد، كما تعرف وجوه الناس ـ وإن تشابهت أعضاؤها وتشاكلت أجزاؤها ـ بمعان تخص كل وجه منها، تعرفها القلوب، وتشهدها العيون وكل كاتب يبلغ بالتجويد حداً، تميل به نفسه إلى معان تخص خطه، وتميزه عن غيره ممن يكتب على طريقته، ولو اجتهد في محاكاة خطه، فينسب الخط ـ من هذه الجهة ـ إلى كاتبه المجيد.

ثم علل أبو حيان إعجاب الناس بـ(الكتابة المنسوبة) بما توفر فيها من التناسب والانسجام والحسن، وان حسن الكتابة جمال مطلوب للنفس، وصحة نسبتها صورة معشوقة للقلب، فإذا ناسب كل حرف مجاوره وما بعد مجاوره، وما قبله في كلمته، واعتدلت مقاديره، وبهر العيون صفاؤه وقوته، طلبته النفس، وعشقته، كالصوت: إذا تناسب فحررت الألحان، وعد بالأوزان، شرف شأنه، ودان له ذوو الأخطار. والخط المنسوب من حيث تشاكله وتناسبه وإشراق معانيه، كالجوهر محبوب الشيمة، محفوظ القيمة، معدود من الأعلاق النفيسة، والذخائر الكريمة»[1].

كتابته المصحف:

لقد كتب ابن مقلة المصحف الشريف مرتين، وقد كان أحد هذين المصحفين في خزانة كتب بهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز، ورآه ابن البواب في ثلاثين جزءاً، وجمع ابن البواب أجزاءه من خزانة بهاء الدولة، فاجتمع له تسعة وعشرون جزءاً، وبقي جزء واحد لم يظفر به ابن البواب رغم كثرة تفتيشه، فعلم أن المصحف ناقص، وقص نبأه على بهاء الدولة، فطلب منه أن يتممه له، فأجابه الى ما أراد، ولكن على شريطة أنه إذا أبصر الجزء الناقص منها ولا يعرفه، أن يخلع عليه خلعة ومائة دينار، فما زال يتخير له من خزانته من أنواع الكاغد السمرقندي والصيني والعتيق ما يشابه كاغد المصحف، حتى ظفر بما يوافقه، وكتب الجزء، وذهبه وعتق ذهبه، وقلع جلداً من جزء من الأجزاء فجلده به، وجلد الذي قلع منه الجلد وعتقه، ومضى على ذلك نحو السنة، فأحضر له المصحف

(1) أبو حيان: رسالة في علم الكتابة، نشرها خليل محمود عساكر في مجلة معهد المخطوطات العربية 1/ 1 / 123 ـ 127، والنجوم الزاهرة 3/ 268، والخطاط البغدادي ص 67.

كاملاً، فلم يزل بهاء الدولة يقلبه جزءاً جزءاً، وهو لا يقف على الجزء الذي بخط ابن البواب، وأراده على أن يدله على الجزء الذي كتبه بخطه، فأبى عليه، وقال له: لا تعرفه فيصغر في عينك، هذا مصحف كامل بخط أبي علي بن مقلة، وتكتم سرنا[1].

وقال الثعالبي: «إن ابن مقلة كتب كتاب هدنة بين المسلمين والروم بخطه، فوضعوه في كنيسة قسطنطينية، فكانوا يبرزونه لحسن خطه في الأعياد، ويجعلونه في جملة زينتهم في أخص بيوت العبادة، ويعجبون من فرط حسنه، وكونه غاية في فنه»[2].

ولم يصل الى عصرنا شيء من كتابة ابن مقلة بخطه، ويظن بعضهم أن هناك مصحفاً أو كتاباً في إحدى المدن العراقية دُوِّن عليه أنه بخط ابن مقلة، ولكن لم تثبت صحة ذلك حتى الآن[3]، وقد ذُكر أن في مكتبة متحف هراة بأفغانستان مصحفاً كتب بخط الوزير ابن مقلة (خطه كوفي)[4]، كما ذكر أن بالأندلس مصاحف ذات شهرة، يقول: ابن خليل السقوني: إنه رأى في مسجد من مساجد أشبيلية الجزء الرابع من مصحف بأحرف تشابه حروف الكوفة، ويؤكد أبو الحسن بن طفيل أنه كان بخط ابن مقلة المشهور[5]، ولا شك أن الجزم بصحة نسبة هذه المصاحف إلى ابن مقلة أمر صعب.

مؤلفاته:

لقد ألف ابن مقلة رسائل في الكتابة والخط وغيرها، وقد حفظت كتب الكتابة والتراجم والأدب طرفاً من هذه الرسائل، وقد وصلت بعض هذه الرسائل وما زالت مخطوطة من ذلك:

1 ـ رسالة في علم الخط والقلم. مخطوطة في دار الكتب المصرية.

2 ـ رسالة في ميزان الخط. مخطوطة بمكتبة العطارين بتونس.

3 ـ أصناف الكتاب. مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط.

وسترد نقولٌ من هذه الرسائل وآراء ابن مقلة في الخط والكتابة عند الحديث عن أدوات الكتابة في فصل قادم.

(1) ياقوت: معجم الأدباء 15/ 122، الخطاط البغدادي ص 51.
(2) ثمار القلوب ص 167، وفيات الأعيان 2/ 61.
(3) الخطاط البغدادي ص 50.
(4) مقالة للأب دبور كوي: مجلة معهد المخطوطات العربية م2 ج1 ص32.
(5) المقري: نفح الطيب 2/ 641، وانظر: خوليان ريبيريا بحث بعنوان (المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية)، مجلة معهد المخطوطات العربية سنة 1377 هـ ص 95 ترجمة جمال محمد محرز وانظر: المصرف: مصور الخط العربي ص 319.

رأي ابن مقلة في تجويد الخط:

ونختتم الكلام عن ابن مقلة بذكر رأيه في وجوه تجويد الكتابة والخط، بحسن التشكيل وحسن الوضع، لتكون نبراساً وهادياً للمتعلمين في تجويد الكتابة وتحسين الخط، قال ابن مقلة[1]:

«تحتاج الحروف في تصحيح أشكالها إلى خمسة أشياء:

الأول ـ التوفية: وهي أن يؤتى كل حرف من الحروف حظه من الخطوط التي يركب منها، من مقوس ومنحنٍ ومنسطح.

الثاني ـ الإتمام: وهو أن يعطى كل حرف قسمته من الأقدار التي يجب أن يكون عليها، من طول أو قصر أو دقة أو غلظ.

الثالث ـ الإكمال: وهو أن يؤتى كل خط حظه من الهيئات التي ينبغي أن يكون عليها، من انتصاب، وتسطيح، وانكباب، واستلقاء، وتقويس.

الرابع ـ الإشباع: وهو أن يؤتى كل خط حظه من صدر القلم الذي يتساوى به فلا يكون بعض أجزائه أدق من بعض، ولا أغلظ، إلّا فيما يجب أن يكون كذلك من أجزائه بعض الحروف من الدقة عن باقيه، مثل الألف والراء ونحوهما.

الخامس ـ الإرسال: وهو أن يرسل يده بالقلم في كل شكل يجري بسرعة من غير احتباس يضرسه، ولا توقف يرعشه.

وأما حسن الوضع فيحتاج الى تصحيح أربعة أشياء:

الأول ـ الترصيف: وهو وصل كل حرف متصل الى حرف.

الثاني ـ التأليف: وهو جمع كل حرف غير متصل الى غيره على أفضل ما ينبغي ويحسن.

الثالث ـ التسطير: وهو إضافة الكلمة الى الكلمة حتى تصير سطراً منتظم الوضع كالمسطرة.

الرابع ـ التنصيل: وهو مواقع المدات المستحسنة من الحروف المتصلة».

وقال في (مواد البيان): «وهذه المدات تستعمل لأمرين:

أحدهما تحسن الخط وتفخمه في مكان، كما يحسن مدة الصوت اللفظ ويفخمه في مكان.

الثاني: أن المدة ربما وقعت ليتم السطر إذا فضل منه ما لا يتسع لحرف آخر».

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 139، المصرف: مصور الخط العربي ص 372 ـ 373.

2 ـ ابن البواب

هو أبو الحسن علي بن هلال بن عبد العزيز المشهور بابن البواب، كان أبوه هلال بواباً لبني بويه، ولذلك لقب بـ (السِّتْري) لأنه ملازم لستر الباب[1]، وقد كان ابن البواب يُعَيَّر بلقب أبيه هذا ويُهجَىٰ به، على ما نقل ابن الجوزي، قال: «بلغنا أن أبا الحسن البَتّي[2] دخل دار فخر الملك أبي غالب، فوجد ابن البواب جالساً في عتبة باب ينتظر خروج فخر الملك، فقال: جلوس الأستاذ في العتب رعاية للنسب. فرد ابن البواب وقال: لو أن لي من أمر الدنيا شيئاً، ما مكنت مثلك من الدخول. فقال البَتّي: ما تترك صنعة الشيخ رحمه الله»[3]، ويروى أيضاً أنه قال: «لا يترك الأستاذ صنعة الوالد بحال»[4]، وهجاه آخر بهذا النسب في قوله[5]:

مـاذا رأيتم من النسَّاخ متَّخِذا	سِبَالَ لِصٍّ على عُثْنُونِ مُحْتَالِ
هـذا وأنتَ ابنُ بوابٍ وذو عَدَمٍ	فكيفَ لو كنتَ ربَّ الدارِ والمالِ

على أن هذا اللقب لم يقعد بابن البواب، بل استطاع أن يرقى بفنه وعلمه فبلغ مبلغاً يعجز عنه أولو الحسب والنسب.

انصرف ابن البواب منذ صباه الى تحصيل العلم، فقرأ القرآن، وتفقه بالفقه الحنبلي فقد كان من أهل السنة[6]، وأخذ العربية عن أبي الفتح عثمان بن جني (المتوفى سنة 392هـ)، وصحب أبا الحسين ابن سمعون الواعظ البغدادي المشهور[7]، وصار ابن البواب نفسه واعظاً، وعظ في جامع المنصور

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان 1/ 345، وانظر ترجمته في: معجم الأدباء 15/ 18، الكامل في التاريخ 9/ 121، البداية والنهاية 12/ 14، شذرات الذهب 3/ 199، النجوم الزاهرة 4/ 257، مقدمة ابن خلدون 2/ 346 ط كاترمير، صبح الأعشى 3/ 17، تلخيص معجم الآداب لابن الفوطي مخطوط نسخة مصورة في مكتبة المتحف العراقي، الخطاط البغدادي لسهيل أنور والقسم الثاني منه تحقيقات الشيخ بهجة الأثري.

(2) ترجمته في: ياقوت: معجم الأدباء 3/ 254.

(3) ابن الجوزي: المنتظم 8/ 10.

(4) ياقوت: معجم الأدباء 15/ 124ط الرفاعي.

(5) ياقوت 15/ 124. والسبال: الشوارب واحدها السَبَلة، والعثنون اللحية، جمعها عثانين، يشير الى طول لحية ابن البواب.

(6) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 4/ 257، ابن العماد: شذرات الذهب 3/ 199.

(7) ابن الجوزي: المنتظم 8/ 10، ابن كثير: البداية والنهاية 12/ 14، ابن خلكان: وفيات الأعيان 1/ 492.

ببغداد[1]، وعبر الرؤيا وقال النظم والنثر، وكان رجلاً ديِّناً، وأثنى عليه غير واحد في دينه وأمانته[2].

عمل ابن البواب في أول نشأتـه مزوّقاً يصور الدور، دهـاناً في السقـوف، ثم صوّر الكتب، ثم تعاطى الكتابة ففاق فيها المتقدمين وأعجز المتأخرين[3]، ووصفه ابن الفوطي فقال: «صاحب الخط الـذي اشتهـر ذكـره في العـالم، وفـاق بحسن الخط في بني آدم... والى الآن [4] لم يلحق شـأوه، وهيهات»[5]، وأثنى عليه ابن الفوطي وذكر محاسنه وآدابه فقال: «كان مع ما رزقه الله من المعجزات في حسن خطه وجـودة ضبطه، قد رزق مـلاحة الكتاب، ومحاسن الآداب، من الفضل الظـاهر والنظم الباهر، كأنما ألفاظه الفصيحة مدامة تُعَلُّ بماء المزن...»[6].

لقد تـرقَّتْ أحوال ابن البواب، فتوثقـت صلته برجال الـدولة البويهيـة، فاتصل بالوزيـر فخر الملك محمـد بن علي الواسطي، الـذي كان واليـاً على العراق من قبل بهاء الـدولة بن عضـد الدولـة، وصار من ندمائه[7]، وكان لا يفارقه لفضائلـه التي اجتمعت فيه، من حسن الخط والانشاء والشعر، وكان فخر الملك من أعظم وزراء آل بويه بعد ابن العميد والصاحب بن عباد[8].

وعمل ابن البـواب بشيراز لبهاء الـدولة بن عضـد الدولـة أميناً لخزانة كتبـه، وكان ابـن البواب يتصرف فيها على اختيـاره ويراعيها له، وأن أمـرها كان مـردوداً إليه، وقد مرّ في تـرجمة ابن مقلة أنَّ ابن البواب ظفر في هـذه المكتبة بمصحف بخط ابن مقلة ينقص منه جزء فأكمله بخطـه وعرضه على بهاء الدولة[9].

---

(1) ابن الأثير: الكامل 9/ 121، ابن الجوزي: المنتظم 8/ 10.
(2) ابن العماد: شذرات الـذهب 3/ 199، ابن كثير: البدايـة والنهايـة 12/ 14، والخطاط البغـدادي ص 12 تحقيقات الأثري.
(3) ياقوت: معجم الأدباء 15/ 122، ابن العماد: شذرات الذهب 3/ 199.
(4) أي في زمن ابن الفوطي المتوفى سنة 713 هـ.
(5) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب الورقة 235، والخطاط البغدادي ص 12 هامش.
(6) المصدر السابق نفسه.
(7) ياقوت: معجم الأدباء 15/ 121.
(8) ابن الفوطي الورقة 235، ابن خلكان 2/ 65.
(9) ياقوت: معجم الأدباء 15/ 122.

هيئتـــــه:

قلما تذكر كتب التراجم والتاريخ صورة الأعلام وهيئتهم، إلا أن ابن البواب تميز بهيئة مخصوصة جـالبة لـلانتباه، وداعيـة إلى الإعجاب والتعجب، من ذلك أن ابن البـواب كان يعتم ويطيل لحيتـه إطالـة فاحشة، لا يتنـاولها بالتشـذيب، حتى كان موضع تنـدر من أصحابـه ومن الناس، من ذلك قصته مع أبي نصر بن مسعود، وذلك ما حدّث به غرس النعمة محمد بن هلال المحسِّن بن إبراهيم بن هلال الصابي في كتاب (الهفوات النادرة)، قال: «كـان في الديوان كاتب يعرف بأبي نصر بن مسعود، فلقي يوماً أبا الحسن علي بن هلال البواب، الكاتب ذا الخط المليح، في بعض الممرات، فسلم عليه، وقبّل يده، فقال له ابن البواب: الله الله يا سيدي، ما أنا وهذا؟ فقال له: لو قبّلت الأرض بين يديك لكان قليلاً، قال: لمَ؟ولِمَ ذاك يا سيدي؟ وما الـذي أوجبه واقتضاه؟ قال: لأنك تفردت بأشياء ما في بغداد كلها مـن يشارك فيها، منها الخط الحسن، وأنـه لم أرَ في عمري كاتباً من طـرف عمامته الى لحيته ذراعـان ونصف غيرك، فضحك أبـو الحسن منـه، وجـزاه خيراً، وقـال لـه: أسألك أن تكتم هـذه الفضيلة عليَّ، ولا تكرمني لأجلها، قال له: ولِمَ تكتم فضائلك ومناقبك؟ فقال له: أنا أسألك هذا. فبعد جهد ما أمسك»[1]، قال راوي الخبر: «وكـانت لحية ابن البواب طـويلة جـداً. وقد هُجي ابن البواب بذلك، وقد مر بنا هجاء الشاعر وتعييره بنسبه وذكر شواربه ولحيته، قال[2]:

مـــاذا رأيتم من النسّـــاخ مُتَّخِـــذاً ... سِبَـــال لِصٍّ على عُثْنـــونِ محتـــالِ
هـــذا وأنـــتَ ابنُ بـــوابٍ وذو عـــدمٍ ... فكيف لـــو كنتَ ربَّ الـــدارِ والمالِ

وفاتـــــه:

لم تذكـر المصادر سنة ولادة ابن البواب، ولكنهـا ذكرت وفاته، وأكثـر المصادر[3] تجمع على أنه توفي في جمادى الأولى سنـة ثلاث عشرة وأربعمائة (413هـ)، وحـددت بعض الروايـات يوم الخميس ثاني جمادى الأولى، ودفن ببغـداد في جوار الإمام أحمد بن حنبل. وهنـاك من ذكر أنه توفي سنـة ثلاث وعشرين وأربعمائة[4]، وجعل ابن الأثير وفاتـه سنة 412هـ[5]، ولكن الثابت بإجماع المصـادر أنه توفي

---

(1) الهفوات النادرة ص 310، وياقوت: معجم الأدباء 14/ 133.
(2) ياقوت: معجم الأدباء 15/ 124.
(3) ابن خلكـان: وفيات الأعيـان 3/ 29، ابن الجوزي: المنتظم 8/ 10، ابن الفـوطي الـورقـة 235، ابن تغري بـردي: النجوم الزاهرة 4/ 257، ابو الفداء: المختصر في تاريخ البشر 4/ 49، ابن العماد: شذرات الذهب 3/ 199.
(4) ابن خلكان 3/ 29 في إحدى الروايتين وابن كثير 12/ 14.
(5) ابن الأثير: الكامل 9/ 121 في إحدى الروايتين.

سنة 413هـ في خلافة القادر بالله الذي ولي الخلافة سنة 381 وتوفي سنة 422هـ[1].

لقد رثى الشعراء وفضلاء العصر ابن البواب وذكروا محاسنه وفضائله وجودة خطه، وأهم وأطول مرثية رثي بها ابن البواب هي قصيدة الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن أبي أحمد الحسيني الموسوي نقيب الطالبيين ببغداد، المتوفى سنة 436هـ، وتقع المرثية في خمسة وثلاثين بيتاً، اختار منها ابن الجوزي بيتين، واختار منها ياقوت الحموي في معجم الأدباء ستة أبيات، وهي في ديوان الشريف المرتضى المخطوط كاملة، والقصيدة تعبر عن عاطفة صادقة وتقدير كبير لابن البواب، وفيها إشارة الى أنه توفي شاباً أو كهلاً، قال[2]:

من مثلهـــا كنت تخشى أيها الحَذِرُ … والـدهـرُ إنْ هَمَّ لا يُبْقي ولا يَـذَرُ

نَعــاكَ نـــاعٍ الى قلبٍ كأنَّ بـــهِ … لَـــوَاذِعَ الجمـــرِ لمَّا ســـاءهُ الخَبَرُ

فلـمْ يكنْ ليَ إلاَّ أنْ أقُـــولَ لــــهُ … بفِيكَ ـ نـاعي هـذا الراحلِ ـ الحَجَرُ

كـم ذا نـــداء لماضٍ غير ملتفتٍ … وكم عتـــاب لجانٍ ليس يعتـــذرُ

فكلَّما استُلَّ منـــا صـــاحبٌ فمضى … ولا إيـاب لـهُ قـالـوا: هـو القَـدَرُ

وليس يـدري الفتى لِمَ طالَ عُمْرُ فتى … ولا لأيِّـــهِ حـــالٍ ينقضي العُمُـــرُ

وقـد طُلبنـا فـلا نُجْحٌ ولا ظَفَـرٌ … وقـد هَـرَبْنـا فـلا منجىً ولا عَصَرُ[3]

وهـــذه عَبْرةٌ لا شك مـــائلـــةٌ … مِنَّـــا العيـــونَ ولكنْ أيـن معتَبِرُ

نُعَلُّ مـن كلِّ مكـــروهٍ ويملكُنَـــا … حُبُّ الحياة التي أيَّـــامُها غَـرَرُ

ومـــا التـزامُ المُنىٰ والمرءُ رَهْنُ ردَىً … إلا جنـونٌ يغـولُ العقلَ أو سُكُـرُ

يـا قـاتلَ اللهُ هـذا الدهـرَ يـزرعنا … ثم الحصـــادُ فمنـــه النفعُ والضَّرَرُ

فإنْ يكـنْ معطيـاً شيئـاً فمـرتجعٌ … وإنْ يكنْ مبطئـاً يـومـاً فمبتَـدِرُ

داءٌ عَـرَا آلَ قحطـــانٍ فـزالَ بهمْ … وذاقَ منـهُ نِـزارٌ واحتَسَى مُضَرُ

من بعـد أنْ لبسوا التيجـانَ واعتصموا … وأُركِبـوا ثَبَجَ الأعـوادِ واشتهـروا

(1) ياقوت: معجم البلدان 15/ 122.

(2) نقلنا القصيدة عن الأثري: القسم الثاني من الخطاط البغدادي ص 23 ـ 24.

(3) العَصَر: الملجأ.

وأوسعوا النـاسَ مـن رَغْبٍ ومن رَهَبٍ … وعـاقبُـوا بـاجترام الـذَّنْبِ واغتفروا

تنـدَىٰ مفـارِقُهم مِسْكـاً فإنْ جَهِلُـوا … نَمَّتْ عليهـا بَـرِيَّـا نَشْرِهـا الأُزُرُ

ويسْحَبـونَ ذُيـولَ الرَّيْطِ ضـامِنَـةً … أنْ ليـسَ تسحـب إلا منهـم الحِبَرُ

قـالـوا قضَىٰ غيرَ ذي ضَعْفٍ ولا خَـوَرٍ … فقلتُ: مـا كلُّ أسبابِ الـرَّدى كِبَرُ

وغـرَّني منك بُـرْءٌ بعـدَ طـولِ ضنًى … ومَنْ يَبِتْ خَطِـراً أودى بـهِ خَطَـرُ

(رُدِّيتَ يـا ابنَ هـلالٍ والـرَّدى غـرضٌ … لم يُحْمَ منـه على سُخْطٍ لـه البَشَرُ)[1]

مـا ضَرَّ فقـدُك والأيـامُ شـاهـدةٌ … بأن فضلَكَ فيهـا الأنجمُ الـزُّهُـرُ

أغنيتَ في الأرض والأقـوام كلهـم … من المحاسِن مـا لم يُغْنِـهِ المطَـرُ

فأنتَ شمسُ الضحى للسارينَ وللسـ … ـارينَ في جُنحِ ليلٍ ضوؤك القَمَـرُ

إن تُمْسِ مَيْتـاً بـلا سَمْعٍ ولا بَصَرٍ … فطـالما كنتَ أنتَ السمعُ والبصرُ

وانْ تَبِتْ حَصِراً عن قـول فـاضلـةٍ … فطـالما لم يكـنْ من دأبكَ الحَصَرُ

قـالـوا اصطبرْ عنـه يأساً أو مجاملـةً … والصَّبْرُ يُلْعَقُ في أثنـائِه الصَّبِرُ

ولـو درى مَـنْ على حُـزْنٍ يقـرِّعني … بمَنْ فُجِعتُ ومن خُـولِسْتُهُ عَـذَروا

وكيف أسلُـو ومـا في غيره عِـوَضٌ … من الـرجـالِ ولا لي عنـهُ مصطَبَرُ

وكيـف لي بعـدَهُ ميلٌ إلى وَطَـرٍ … وليس لي أبـداً في غيره وَطَـرُ

مجاوراً دارَ قـومٍ ليس جـارُهُـمُ … بنصرهـم أبـدَ الأيـامِ ينتصرُ

في أربـعٍ كُلَّما زادوا بها نقصـوا … نَقْصَ الفَنَـاءِ وقلُّـوا كلما كَثُـروا

فـاذهبْ كما شاءتِ الأقـدارُ مقتلِعاً … منَّـا بـهِ الخوف مجنوبـاً بـه الحذرُ

فللقلـوبِ التي أبهجْتَهـا حَـزَنٌ … وبـالعيـونِ التي أقـررتَها سَهَـرُ

ومـا لعيشٍ وقـد ودَّعْتَـهُ أرَجٌ … ولا لليلٍ وقـد فـارقْتَـهُ سَحَـرُ

وما لنـا ـ بعـدَ أنْ أضحَتْ مـطالِعُنا … مسلوبـةً مـنك ـ أوضـاحٌ ولا غُـرَرُ

(1) هذا البيت زيادة من معجم الأدباء.

وقد ذكره أبو العلاء المعري في بيت من قصيدة في سقط الزند مطلعها[1]:

طَربْنَ لضَوْءِ البارقِ المتَعالي ... ببغداد وَهْناً ما لهُنَّ وما لي

والبيت هو:

ولاحَ هلالٌ مثلُ نونٍ أجادَها ... بماءِ النَّضارِ الكاتبُ ابنُ هلالِ

قال صاحب شرح التنوير في تفسير البيت[2]: «ابن هلال: هو علي بن هلال المعروف بابن البواب، شبه هلال رجب بنون خط ابن البواب بالنضار الجاري، أي بماء الذهب».

ورثاه شاعر لم يذكر اسمه ببيتين استحسنهما ابن خلكان غاية الاستحسان وهما[3]:

استشعر الكُتَّابُ فقْدَكَ سالِفاً ... وقضَتْ بصحةِ ذلك الأيامُ

فلِذَاكَ سُوِّدَتْ الدُّوِيُّ كآبةً ... أسَفاً عليكَ وشُقَّتِ الأقلامُ

وقد ضُرب المثل بجودة خط ابن البواب وحسنه، وذكر في الشعر، من ذلك ما ورد في قطعة لبعض الشعراء، ذكرها ابن خلكان في روايته، قال[4]: «سألني بعض الفقهاء بمدينة حلب عن قول بعض المتأخرين، من جملة أبيات في صفة كتاب:

كتابٌ كوشي الروضِ خَطَّتْ سطورَهُ ... يَدُ ابنِ هلالٍ عن فمِ ابنِ هلالِ

فقلت له: هذا يقول إن خطه في الحسن مثل خط ابن البواب، وفي بلاغة ألفاظه مثل رسائل الصابىء، لأنه ابن هلال أيضاً. قال: ثم سألت الفقيه المذكور عن بقية الأبيات التي منها هذا البيت، فأنشدنيها، وهي:

ولمَّا أتَىٰ منكَ الكتابُ الذي حَوىٰ ... قلائِدَ سِحْرٍ للبيانِ حلالِ

وقفتُ على رَبْعٍ من الفضلِ آهلٍ ... وقوفي بربعٍ للأحبةِ خالي

أرقْرِقُ من دمعي وأُدْمِنُ لَثْمَهُ ... وأسألُ أطلالاً تُجيبُ سؤالي

وهِمْتُ به حتى توهَّمْتُ لفظَهُ ... نجومَ ليالٍ أو سُمُوطَ لآلي

كتابٌ كوشي الروضِ خَطَّتْ سُطُورَهُ ... يَدُ ابنِ هلالٍ عن فمِ ابنِ هلالِ

(1) ديوان سقط الزند ص 101.

(2) شرح التنوير على سقط الزند 4412.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان 3/ 29 ط عبد الحميد، ابن كثير: البداية والنهاية 12/ 14.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان 3/ 29.

وأورد ياقوت بيتين لبعض المتأخرين يمدح رجلاً اسمه ابن بدر بجودة الخط، وقد ضرب المثل بجودة خط ابن هلال[1]:

يا ابنَ بدرٍ علوتَ في الخَطِّ قَدْراً ... حينما قايسُوكَ بابنِ هلالِ

ذاكَ يحكي أباهُ في النقصِ لمَّا ... جئتَ تحكي أباكَ عندَ الكمالِ

أدبـــه:

تعاطى ابن البواب بالاضافة الى الخط الذي أحسن فيه وأجاد، تعاطى الشعر والنثر، وعرفنا له من الشعر قصيدتين، الأولى هي رائيته المشهورة في الخط، نذكرها عند الحديث عن خطه. وله قصيدة في المدح، وشعر نظم لم يرتفع الى مستوى جيد الشعر، ولكنها ليست بالسوء الذي وصفها به من تحامل عليه، فقد وصفها ياقوت بالضعف، وقد كتب الحسن بن علي الجويني قصيدة ابن البواب بخطه، ثم كتب تحتها قوله: «هذا شعر ابن البواب، وهو عورة سترها ذلك الخط، ولولا أن الاجماع واقع من أن الرجل يفتن بشعره وولده، لكان صاحب تلك الفضيلة يرتفع عن هذه النقيصة»[2]، وهذه هي قصيدة ابن البواب يمدح أحد الأعيان وقد أهداه أقلاماً[3]:

ولو أني أهديتُ ما هو فَرْضٌ ... للرئيسِ الأجَلِّ من أمثالي

لنظمت النجومَ عِقْداً إذا رصَّـ ... ـعَ غيري جواهراً بلآلي

ثم أهديتُها إليه وأقررْ ... تُ بعجزي في القولِ والأفعالِ

غير أنِّي رأيتُ قدْرَكَ يعلو ... عن نظيرٍ ومُشْبِهٍ ومِثالِ

فتفاءلتُ في الهديةِ بالأقـ ... ـلامِ علماً مني بصدقِ الفالِ

فاعتقِدْها مفاتحَ الشرقِ والغر ... بِ سريعاً والسَهْلِ والأجبالِ

فهي تَسْتَنُّ إنْ جرينَ على القِرْ ... طاسِ بين الأرزاقِ والآجالِ

فاختبرْها موقِّعاً برسومِ الـ ... ـبرِّ والمكرُماتِ والأفضالِ

(1) معجم الأدباء 15/ 129.

(2) ياقوت: معجم الأدباء 15/ 127، والجويني هذا هو صاحب الخط المنسوب الكاتب البغدادي المتوفى في مصر سنة 583 هـ، وكان يقال: لم يكتب أحد بعد ابن البواب أجود من الجويني انظر ترجمته في معجم الأدباء 9/ 43، ووفيات الأعيان 1/ 144.

(3) ياقوت: معجم الأدباء 15/ 127.

واحْظَ بـالمهـرجـان وابْلِ جـديـدَ الـ ــــــدهرِ في نعمـــةٍ بغير زوال
وابقَ للمجـدِ صـاعـدَ الجَدِّ عـزّاً والـــرئيسَ الأجلَّ نجمَ المعـــالي
في سرورٍ وغبطـــةٍ تـــدَعُ الحا ســدَ منهـا مقطَّعَ الأوصـالِ
عضَّـدَتْها السعـودُ واستـوطن الإقْـ ـــبالُ فيهـا وسالَمْتها الليـالي
أيها الماجـدُ الكـريمُ الـذي يبـ ـــدأُ بـالعـارفاتِ قبلَ السـؤالِ
إنَّ آلاءكَ الجزيلـــةَ عنـــدي شرعَتْ لي طـريقـةً في المقـالِ
أمَّنتني لـديكَ من هُجْنَـةِ الـرَّدْ دِ وفَـرْطِ الإضْجـارِ والإمْـلالِ
وحقـوقُ العبيـدِ فـرضٌ على السا دةِ في كلِّ مـوسمٍ للمعـالي
وحيـاةُ الثنـاء تبقى على الـدهـ ـــرِ إذا مـا انقضتْ حيـاةُ المالِ

أما ما وصل من نثره، فرسالة أنشأها ابن البواب في الكتابة، كتبها الى بعض الرؤساء، نقل هذه الرسالة ابن الفـوطي من خط الحسن بن علي الجويني الكاتـب، وقد أثنى ابن الفوطي على نثر ابن البواب فوصفه بقوله: «كأنما ألفـاظه الفصيحة مدامة تُعَلُّ بماء المزن»[1]، وأثنى على نثره يـاقوت أيضاً مفضلاً نثره على شعره.

وسنذكـر رسالة ابن البـواب هذه عند الحديث عن خطه، لأنها في صفـة الخط، مقرونة بـرائيته التعليمية في الخط.

خطـــه:

أخذ ابن البـواب الخط عن محمد بن أسد بن علي بن سعيـد الكاتب المقرىء البـزاز البغدادي، المتوفى في المحرم من سنة عشر وأربعمائة ودفن بالشونيزي[2]، وأخذ ابن البواب الخط كذلك عن محمد ابن السمسماني، والسمسماني ومحمد بن أسـد كلاهما أخـذا الخط عن الوزيـر ابن مقلة، والسمسماني نسبة الى السمسم[3]، وقد كان يبيع السمسم وكان أديباً مشهوراً بمعرفة النحو، وتوفي سنة 415هـ[4].

(1) تلخيص مجمع الآداب الورقة 235 .
(2) البغدادي: تاريخ بغداد 12/ 10 ، ابن خلكان: وفيات الأعيان 1/ 345 ، ابن الجوزي: المنتظم 7/ 296 .
(3) هذه النسبة على غير قياس، والوجه أن يقال: السمسمي.
(4) السيوطي: بغية الوعاة 343 ، ابن خلكان: وفيات الأعيان 1/ 345 .

أما من أخـذ عن ابن البواب فأشهرهـم محمد بن منصور بن عبـد الملك، وعنه أخذت الكـاتبة زينب، ويقال فـاطمة، وتعرف بشهدة الأبري، وقـد توفيت سنة 574 ، وأخذ عن ابـن البواب أيضاً الحسن بن علي الجويني (المتوفى سنة 583هـ)، وعلي بن حمزة البغدادي، والـوزير ابن صدقة، وعمر ابن الحسين غلام ابن خرنقا، وبنـو العديم الحلبيون، وأبو طالب الكـرخي، وأبو منصور الفضل بن عمر، وابن البرفطـي، ومحمد بن سعدى الـرازي، وبينهان الأصفهاني، وابن التبني، وعلي بـن طلحة الرازي (المتوفى سنة 515 هـ)، وهناك جمهور من الكتاب أخذوا عن ابن البـواب ونسبوا اليه ولم يثبتوا في أصل شجرة الخط، وإنما ذكروا في الفروع التي لم يقدر لها الاستمرار، من هؤلاء: اسحاق بن خليل المكي، وعلي بن عبدالله البغدادي، والشيخ أويس بن زيد، وطلحة بن عامر، والشيخ علي بن زيد، وغيرهم[1].

يعد ابن البواب أكبر كتّاب الخط بعد ابن مقلـة، لأنه استطاع أن يقلب الخط الكوفي بعده على وجـه يسترعي الانتبـاه، وأن يستنبط منـه أسلـوب الثلث والنسخ، ويعلـو بهما الى مـرتقى رفيع من الكمال[2]، وجاء في (ميـزان الخط على وضع أستاذ السلف) عنـد الكلام عن ابن مقلـة: «أن الأستاذ علي بن هـلال المعروف بـابن البواب، هـو الذي أكمل الخط وأتمه، واخترع الكتـابة بأفضل أسلـوب مقبول، استناداً إلى خط ابن مقلة، وتدرج خط علي بن هلال في مدارج الكمال على مر الأيام، وارتقى كثيراً من بعد على يد ياقوت المستعصمي»[3].

وجـاء في رسـالـة الكتـابة المنسـوبـة: «. . . فـرأى (ابن البـواب) ابني مقلـة قـد اتقنـا قلمي (التوقيعات) و(النسخ)، لكي يـرسخا ـ رحمهما الله ـ في اتقانهما ذلك الـرسخ، فكمّل معناهما وتممه، ووجـد شيخه ابن أسـد يكتب الشعـر بنسخ قـريب من (المحقق) فأحكمـه، وحرر (قلم الـذهب) وأتقنـه، ووشى بـرد الحواشي وزينه، ثم بـرع في (الثلث) و(خفيفـه) وأبـدع في (الرقـاع) و(الـريحان) وتلطيفه، وميز قلم المتن والمصاحف، وكتب بـ (الكوفي) فأنسى القرن السالف»[4].

وبالإضافـة الى جهد ابن البـواب في إتمام ما بـدأه ابن مقلة من تطوير الخط ونقلـه من الكوفي الى النسخ والثلث، فإنه أكمل قواعـد الخط وأتمها، واخترع غالب الأقلام التي أسسهـا ابن مقلة، وأبدع في أوضاع الحروف العربية وأبعادها، وبلغ شأواً بعيداً لم يبلغه أحد في عصره، وانتهت إليه الرياسة في الخط في أيامه، ولم يقاربه أحد في خطه[5]، ويعود اليه الفضل في ابتداع الخط الريحاني الذي كتب فيه

(1) الخطاط البغدادي ص 18 ، المصرف: مصور الخط العربي ص 320 .
(2) سهيل أنور: الخطاط البغدادي ص8 .
(3) المرجع السابق ص 8 .
(4) ابو حيان: رسالة الكتابة المنسوبة، مجلة معهد المخطوطات 1/ 1/ 123 ، والخطاط البغدادي ص 48 .
(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان 1/ 435 ، القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 17 ، الصائغ: تحفة ذوي الألباب ص 50 .

مصحفاً كان بحوزة السلطان سليم الأول العثماني الذي أهداه الى جامع (لا له لي) في استانبول[1]، والخط الريحاني هو الخط الديواني نفسه، إلا أنه يختلف عنه بتداخل حروفه بعضها في بعض بأوضاع متناسبة متناسقة، ولا سيما ألفاته ولاماته، فإن تداخلها بعضها في بعض يشبه أعواد الريحان، ولذلك سمي هذا الخط قديماً بالريحاني، وقد وصف ابن البواب الخط الريحاني بقوله: «وأما الريحاني فهو بالقياس الى المحقق كالحواشي الى النسخ، وكوضع حروف الريحان على مثال حروف المحقق إلا أن فيه دقة، ويضبط بجملة قلمه، ويختص هذان القلمان بألا تطمس فيهما ميم ولا واو ولا عين ولا قاف ولا فاء وأن يكونا منيّرين»[2]، وأطلق على الريحاني في العصر الحديث الخط الغزلاني نسبة الى مصطفى غزلان الخطاط المصري (المتوفى في أواخر سنة 1356هـ)، فإنه كان يتقنه اتقاناً كبيراً وله ذوق سليم فيه[3].

ان خط ابن مقلة لم يصل إلينا حتى نستطيع أن نقارن ونعرف مدى التطور الذي حدث بعده على يد ابن البواب، ولكن الخطوط التي وصلت بخط ابن البواب تنبىء عن فن متطور بالغ الجودة والاتقان.

لقد وصل من آثار ابن البواب الخطية عدد من النماذج لا يستهان به، من ذلك:

1 ـ خطه لشعر سلامة بن جندل، ففي خزانة قصر بغداد بمتحف سراي طوب قبو شعر سلامة مرقوم بـ(125) يستهل الكلام فيه بالبسملة ويقول: قال سلامة بن جندل. ويقرأ في ختامه امضاء علي بن هلال بخطه مكتوباً بهاء الذهب، ومؤرخاً بشهر رمضان سنة 413هـ (لوح 45)[4].

2 ـ وفي خزانة كتب الأوقاف بمتحف الآثار التركية الاسلامية (كتاب بزوغ الهلال) لأبي الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب، الكاتب المشهور بخطه، مؤرخاً بسنة 408هـ ورقمه 2015.

3 ـ وفي خزانة كتب أيا صوفيا مجموعة في الآداب رقمها 2120 جاء في أولها: (قلم الثلث طريقة الأستاذ الجليل علي بن هلال المعروف بابن البواب).

4 ـ وفي خزانة قصر بغداد بمتحف طوب قبو (   ) صفحتان من الخط بـ(قلم الطومار طريقة الأستاذ علي بن هلال).

5 ـ وهناك جملة امضاءات لابن البواب جاءت على الشكل الآتي:

---

(1) دائرة المعارف الاسلامية 1/ 103 الترجمة العربية.

(2) الطيبي: جامع محاسن كتابة الكتاب ص 17، 27.

(3) الكردي: تاريخ الخط العربي ص 121.

(4) نماذج من خط ابن البواب.

ـ (كتبه علي بن هلال حامداً لله تعالى على نعمه ومصلياً على نبيه محمد وآله وعترته)[1].

ـ (كتبه علي بن هلال في شهر رمضان من سنة ثمان وأربع مائة حامداً لله ومصلياً على نبيه محمد وآله).

ـ (كتبه علي بن هلال في شهر رمضان من سنة ثمان وأربع مائة حامداً لله على نعمه ومصلياً على نبيه محمد وآله).

ـ (علي بن هلال المعروف بابن البواب).

وهناك كتابات أخرى ذكرها كتاب الخطاط البغدادي[2].

ويروى أن ابن البواب كتب أربعة وستين مصحفاً، وأن أحد هذه المصاحف كتب بالخط الريحاني، وأن السلطان سليماً الأول العثماني أهدى هذا المصحف الى جامع (لا له لي) في استانبول، وهو محفوظ فيه[3]. وقد مر بنا في ترجمة ابن مقلة كيف أن ابن البواب أتم المصحف الذي كتبه ابن مقلة وكان ينقص منه جزء، وقدمه الى بهاء الدولة بن عضد الدولة[4].

أما قيمة هذه الآثار النفيسة في زمنه فلم تكن تحظى بالمكانة المأمولة، فقد عرض ياقوت لخط ابن البواب ونصيبه من الرواج بعد وفاته فرأى أنها لم تنل ما تستحقه من الإقبال، واستدل على ذلك بأنه وجد رقعة بخطه كتبها الى بعض الأعيان يسأله فيها مساعدة صاحبه ابن منصور وانجاز وعد وعده به لا يساوي دينارين، وقد بسط القول في ذلك، واستطالها ياقوت إذ بلغت نحو السبعين سطراً، فألغى إثباتها، وقد بيعت بسبعة عشر ديناراً إمامياً، وبلغه أنها بيعت مرة أخرى بخمسة وعشرين ديناراً.

وذكر ياقوت عن نفاق خط ابن البواب بعد عصره رواية عند الحديث عن كمال الدين عمر بن أحمد المعروف بابن العديم، أن مما رغب الناس في خط ابن العديم أنه اشترى وجهة واحدة بخط ابن البواب بأربعين درهماً، ونقلها الى ورقة عتيقة، ووهبها من حيدر الكتبي، فذهب بها وادّعى أنها بخط ابن البواب، وباعها بستين درهماً زيادة على التي بخط ابن البواب بعشرين درهماً، ونسخ لياقوت هذه الرقعة بخطه، فدفع فيها كتّاب الوقت ـ على أنها بخطه ـ ديناراً مصرياً، ولم يطب قلبه ببيعها، وكتب له أيضاً جزءاً فيه ثلاث عشرة قائمة، نقلها من خط ابن البواب، فأعطي فيها أربعين درهماً ناصرية ـ قيمتها أربعة دنانير ذهباً ـ فلم يفعل.

قال ياقوت: «وأنا أعرف أن ابن البواب لم يكن خطه في أيامه بهذا النفاق، ولا بلغ هذا المقدار من الثمن»[5].

---

(1) جاءت كلمة (هلال) في كل المواضع (هلل).

(2) سهيل انور: الخطاط البغدادي ص 22 ـ 23، ص 24 وما بعدها.

(3) الخطاط البغدادي القسم الثاني ص 33، دائرة المعارف الاسلامية 1/ 103 الترجمة العربية.

(4) ياقوت: معجم الأدباء 15/ 122.   (5) ياقوت: معجم الأدباء 14/ 133، الخطاط البغدادي ص 17، 18.

رائية ابن البواب ورسالته في صناعة الخط:

1 ـ الرائيـــــــة :

ترك ابن البـواب قصيدة نفيسة ضمنها قواعـد علم الخط ، وقد احتفل القدمـاء والمحدثون بها ، وأثنوا عليها وشرحوها ، وذكر المعنيون بالخط هـذه القصيدة وبينوا صفاتها ، فقد ذكرها كاتب جلبي في (كشف الظنون) وقال : «وصفهـا الأدباء بغاية البلاغـة ، وقد استقصى ابن البواب أدوات الخط» ، ثم أورد منها بيتين[1].

وذكرها ابن خلدون في المقدمة[2] في كلامه على الخط والكتابة ، فقال : «وللأستاذ أبي الحسن علي ابن هلال الكاتب البغدادي الشهير بابـن البواب قصيدة من البحر البسيط (كذا)[3] على روي الراء ، يذكر فيها صناعة الخط وموادها ، من أحسن ما كتب في ذلك ، رأيت إثباتها في هذا الكتاب لينتفع بها من يريد تعلم صناعة الخط»[4].

شرحت الرائية أكثر من شرح ، وأهم شروحها هو شرح ابن الوحيد شرف الدين محمد بن شريف ابن يوسف الكاتب (المتوفى سنة 711هـ)[5] ، وهناك شرح آخر هو شرح الشيخ برهان الدين بن عمر الجعبري (المتوفى سنة 732هـ)[6].

ونثبت هنا أصل القصيدة كما وردت بتحقيق الشيخ الأثري[7] ، قال ابن البواب :

---

(1) كشف الظنون 1/ 711 .

(2) المقدمة طبعة كاترمير 2/ 346 والقصيدة فيها ثلاثـة وعشرون بيتاً ، وقد سقطت هـذه القصيدة من الطبعات العربية للمقدمة .

(3) الصواب من بحر الكامل ، ولعله من وهم النساخ .

(4) وقد ذكرها من المحدثين الأستاذ الحصري في كتابه (دراسات عن مقدمة ابن خلدون) ط دار المعارف مصر 1953 ، ونبه الى الفقر الساقطة من المقدمة في الطبعات العربية ، وذكرها أيضا محمد طاهر الكردي في (تاريخ الخط العربي) ص 428 ـ 429 ولم تسلم من التحريف .

(5) حقق هذا الشرح وطبعه الأستاذ هلال ناجي ، ط تونس 1967م .

(6) كشف الظنون .

(7) الخطاط البغدادي ص 31 ـ 32 القسم الثاني .

يـا مَنْ يُـريـدُ إجـادةَ التحـريـرِ ... ويـرومُ حسنَ الخطِ والتصـويـرِ

إنْ كـان عـزمُكَ في الكتـابـة صـادقـاً ... فـارغبْ الى مـولاكَ في التيسيرِ

أعْـدِدْ مـن الأقـلامِ كـلَّ مثقَّفٍ ... صُلْبٍ يصـوغُ صنـاعـةَ التحبيرِ

وإذا عمـدتَ لبَرْيِـهِ فتَـوَخَّـهُ ... عنـدَ القيـاسِ بأوْسَطِ التقـديـرِ

انظُـرْ إلى طَـرَفيـهِ فـاجعلْ بَـرْيَـهُ ... من جـانبِ التـدقيقِ والتَّخْصِيرِ

واجعلْ لجلفتـهِ قَـوامـاً عـادِلاً ... يخلـو عن التطـويلِ والتقصيرِ

والشقَّ وسِّطْـهُ ليبقَـى بَـرْيُـهُ ... من جـانبَيْـهِ مُشَـاكلَ التقـديـرِ

حتـى إذا اتقنتَ ذلـكَ كُلَّـهُ ... إتقـانَ طَبٍّ بـالموادِّ خبيرِ

فـاصْرِفْ لـرأيِ القَطِّ عَـزْمَكَ كُلَّـهُ ... فـالقَطُّ فيـه جملـةُ التـدبيرِ

لا تطمعَـنَّ في أنْ أبـوحَ بسِرِّهِ ... إنّي أضِـنُّ بسِرِّهِ المَسْتُـورِ

لكنَّ جملـةَ مـا أقـولُ بأنَّـهُ ... مـا بينَ تحريفٍ إلى تـدويـرِ

وأَلِقْ دَواتَكَ بـالـدُّخـانِ مُـدَبَّـراً ... بـالخَلِّ أو بـالحِصْرِمِ المعصـورِ

وأضِفْ إليـه مَغْـرَةً قـد صُـوِّلَتْ ... مع أصفـرِ الـزرنيخِ والكـافـورِ

حتّى إذا مـا خُمِّرتْ فـاعْمَدْ إلى الـ ... ـورقِ النقيِّ النـاعـمِ المخبـورِ

فـاكْبِسْـهُ بعـدَ القَطْـعِ بـالمِعْصَارِ كَيْ ... ينـأىٰ عـنِ التَّشْعيـثِ والتغيير

ثم اجعـلِ التمثيلَ دأبَكَ صـابِـراً ... مـا أدْرَكَ المأمـولَ مثلُ صبـورِ

إبْـدَأ بـهِ في اللَّـوْحِ منتضِيـاً لـهُ ... عـزمـاً تجرّدُهُ عـن التشميرِ

لا تخجَلَنَّ مـن الـرديءِ تخطُّـهُ ... في أولِ التمثيـلِ والتسطيرِ

فـالأمـرُ يصعُبُ ثـم يـرجعُ هَيِّنـاً ... ولَـرُبَّ سهلٍ جـاء بعـدَ عسيرِ

حتّـى إذا أدركتَ مـا أمَّلْتَـهُ ... أضحَيْتَ رَبَّ مسَرَّةٍ وحُبُـورِ

فـاشْكُـرْ إلهَكَ واتَّبِـعْ رِضْـوانَـهُ ... إنَّ الإلـهَ يُحِبُّ كـلَّ شَكُـورِ

وارْغَبْ لكفِّـكَ أن تخُطَّ بنـانُهـا ... خيراً تخلِّفُـهُ بـدارِ غُـرورِ

فجميعُ فعـلِ المرءِ يلقـاهُ غـداً ... عنـدَ التقـاءِ كتـابـهِ المنشـورِ

2 ـ رسالة ابن البواب في الخط :

روى ياقوت الحموي[1] رسالة أنشأها ابن البواب في الكتابة، كتبها الى بعض الرؤساء، ونقلها من خط الحسن بن علي الجويني الكاتب، وهذا نصها :

«قد افتتحت خدمة سيدنا الأستاذ الجليل ـ أطال الله بقاءه، وأدام تمكينه وقدرته وتمهيده، وكبت عدوه ـ بالمثال المقترن بهذه الرقعة، افتتاحاً يصحبه العذر الى جليل حضرته من ظهور التقصير فيه، والخلل البادي لمتأمليه.

وقد كان من حقوق مجلسه الشريف أن يخدم بالغايات المرضية من كل صناعة، تأدياً لسؤدده وعلائه، وتصدياً للفوز بجميل رأيه، ولم يعد بي عن هذه القضية جهل بها، وقصور عن علمها. لكني هاجر لهذه الصناعة منذ زمن طويل هجرة قد أورثت يدي حَبْسَةً ووقفة، حائلتين بينها وبين التصرف والافتنان والوفاء بشرط الإجادة والإحسان. ولا خفاء عليه ـ أدام الله تأييده ـ بفضل الحاجة ممن تعاطى هذه الصناعة الى فرط التوفر عليها، والانصراف بجملة العناية إليها، والكلف الشديد بها، والولوع الدائم بمزاولتها، فإنها شديدة النِّفَار، بطيئة الاستقرار، مطمعة الخداع، وشيكة النِّزاع، عزيزة الوفاء، سريعة الغدر والجفاء، نَوَار[2] قيدها الأعمال، شَمُوس قهرها الوصال، لا تسمح ببعضها الا لمن آثرها بجملته، وأقبل عليها بكليته، ووقف على تألفها سائر زمنه، واعتاضها عن خِلِّه وسَكَنِه[3]. لا يؤسيه حيادها، ولا يغره انقيادها، يقارعها بالشهوة والنشاط، ويوادعها عند الكلال والملال، حتى يبلغ منها الغاية القصية، ويدرك المنزلة العلية، وتنقاد الأنامل لتفتيح أزهارها، وجلاء أنوارها، وتظهر الحروف موصولة ومفصولة، ومعماة ومفتحة، في أحسن صيغها، وأبهج خلقها، منخرطة المحاسن في سلك نظامها، متساوية الأجزاء في تجاورها والتئامها، لينة المعاطف والأرداف، متناسبة الأوساط والأطراف، ظاهرها وقور ساكن، وَمُفَتّشُها بَهِجٌ فاتن، كأنما كاتبها ـ وقد أرسل يده، وحثَّ قلمه ـ رجَّح فيها فكره ورويته، ووقف على تهذيبها قدرته وهمته. القلب بها في حجر ناظره، والمعنى بها مظلوم بلفظه، وما ذهبت في هذه الخدمة مذهب المُطْرِف المُغْرِب[4] بها، ولا المعوَّل على

(1) معجم الأدباء 15/ 127، وانظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان 1/ 144، ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب الورقة 235، ابن العماد: شذرات الذهب 3/ 199، الخطاط البغدادي ص 15 ـ 16 القسم الثاني.

(2) نوار: أي نفور.

(3) سكنه: أي زوجه.

(4) المغرب: المجاوز للحد.

شوافعها[1]، لكن نهجت بها سبيلاً لأمثالها، إقامة لرسم الخدمة المفروضة للسادة المنعمين على خدمهم وصنائعهم.

فإن سعدتُ بنَفَاقِها[2] عليه، وارتضائها لديه، سلمت من وصمة التضجيع[3] والاهمال، وهُجْنة التقصير في شكر الانعام والافضال، ولسيدنا الاستاذ الجليل ـ أطال الله بقاءه ـ علوُّ الرأي في الأمر بتسلم ما خدمت به، وتصريفه بين عالي أمره ونهيه، إن شاء الله تعالى».

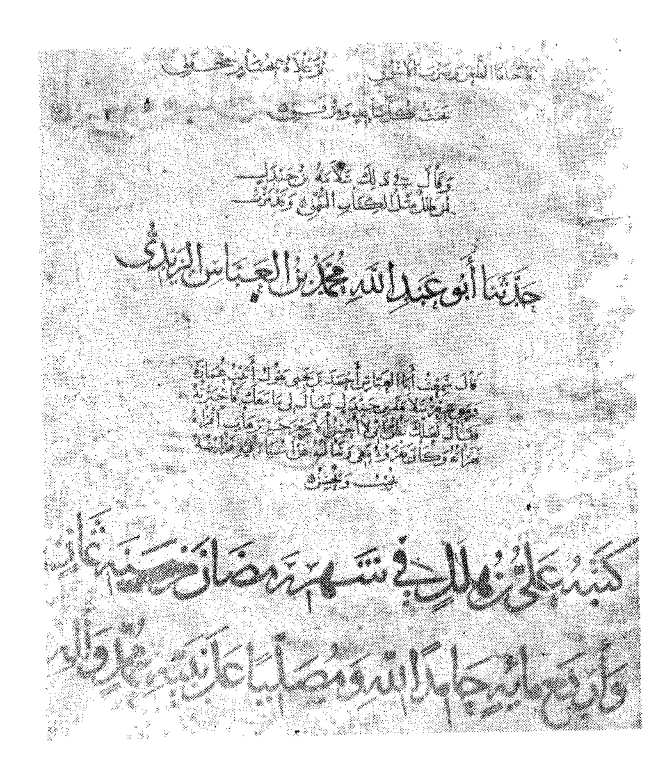
(1) الشافع: المعين.

(2) نفاقها: رواجها.

(3) وصمة التضجيع: عيب التقصير.

كتبه علي بن هلال

في سنة ثمان وأربعمائة



لوح 45

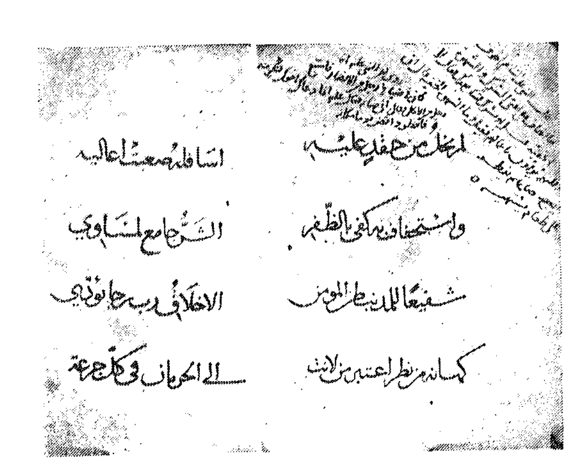
نماذج من خطوط ابن البواب

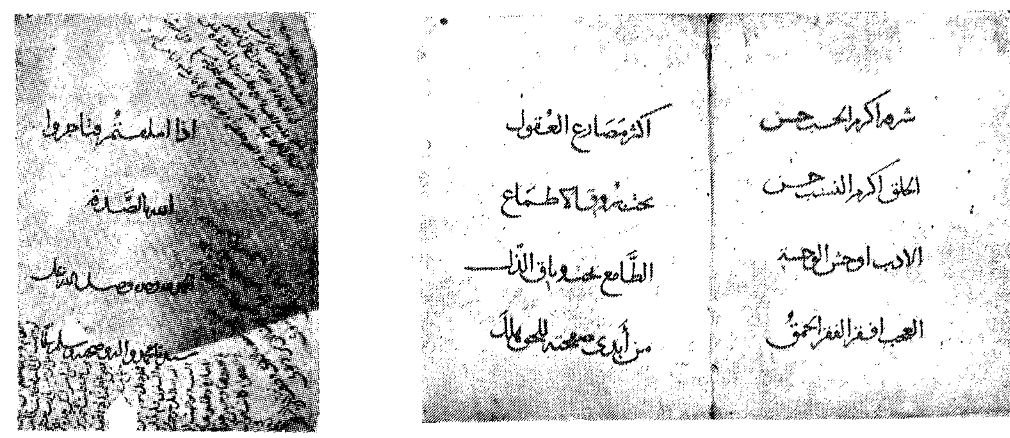
لوح 45ب

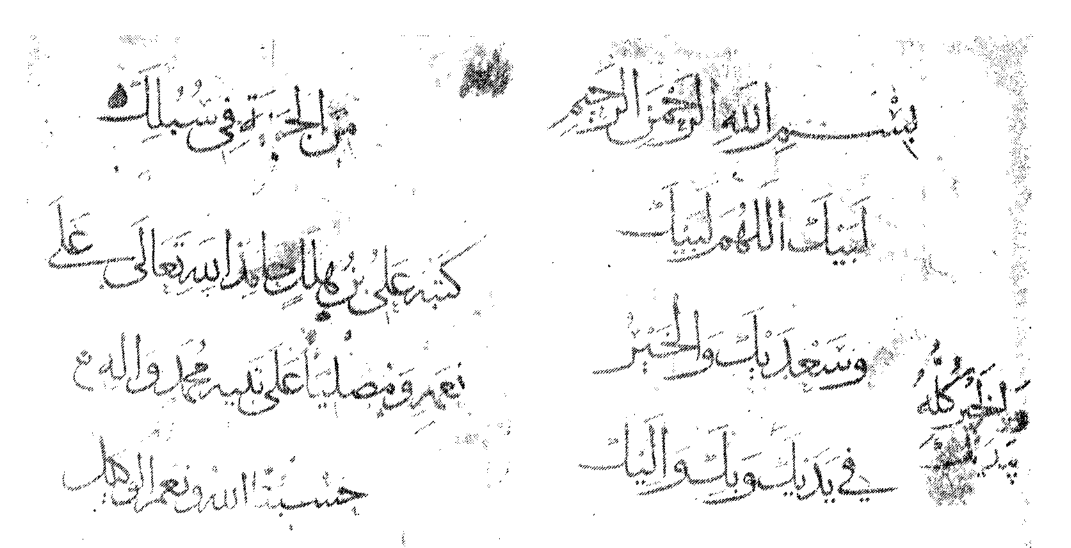
نماذج من خطوط ابن البواب





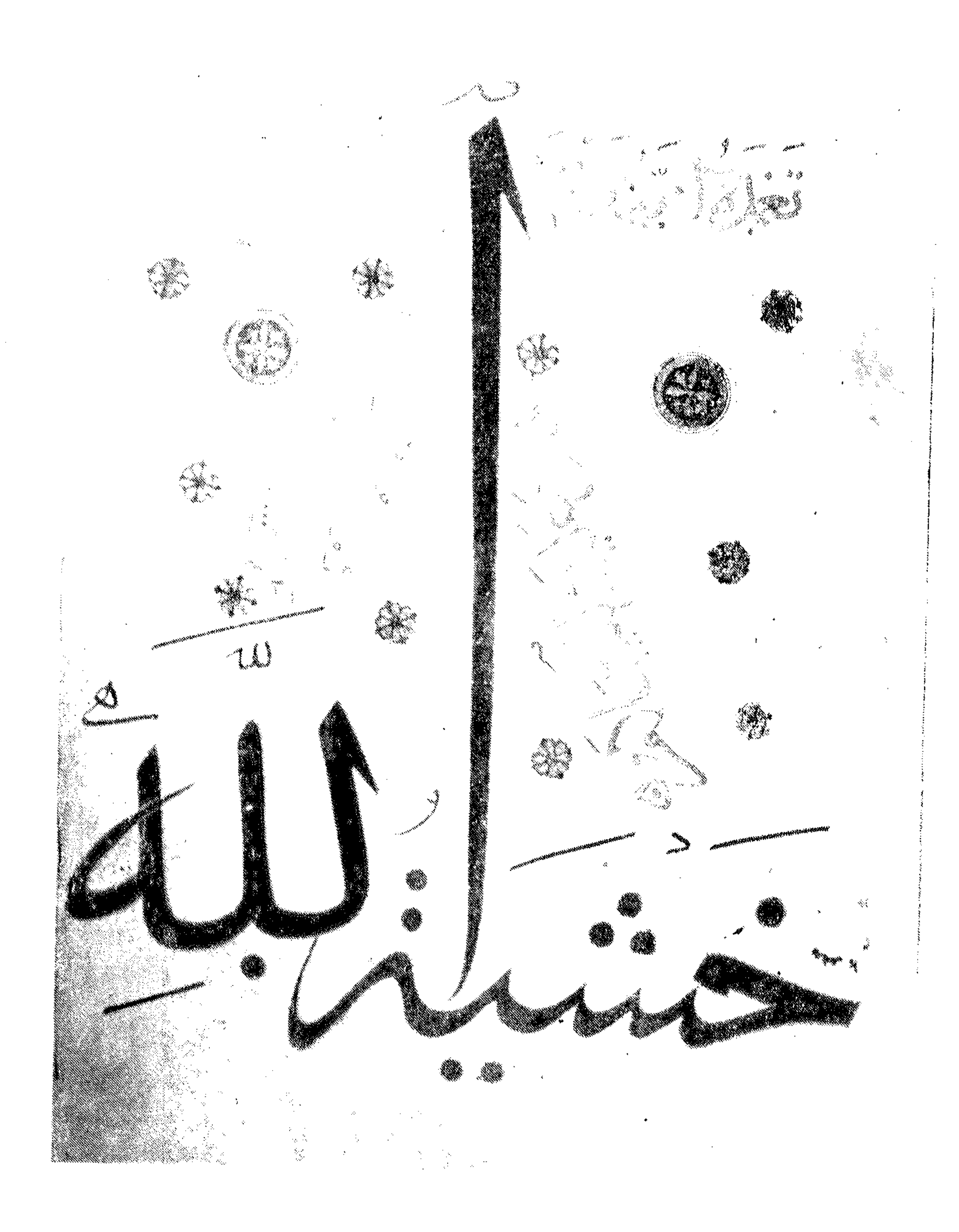




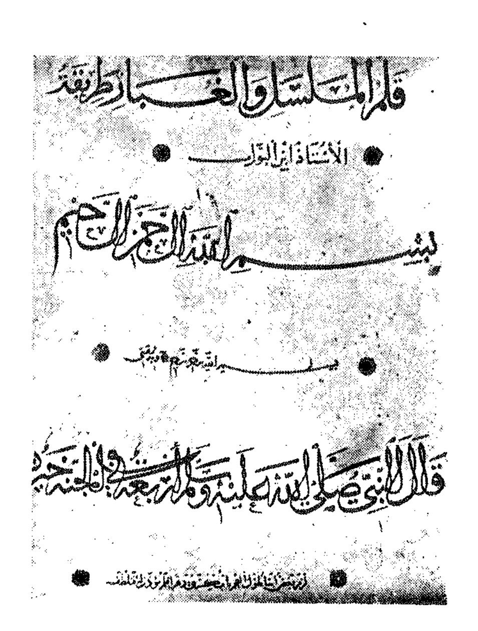


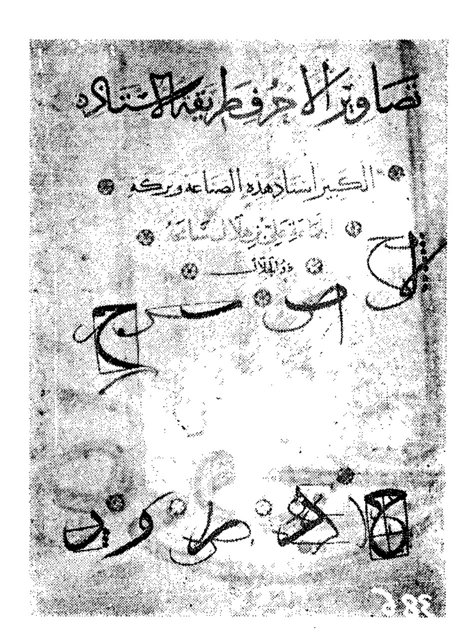


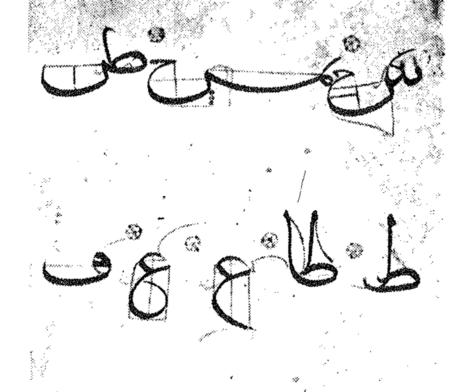
لوح 45ج
نماذج من خطوط ابن البواب

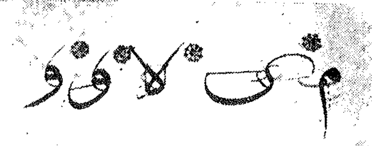


لوح 45د
نماذج من خطوط ابن البواب











لوح 45هـ
نماذج من خطوط ابن البواب



لوح 45و
نماذج من خطوط ابن البواب

3ـ ياقوت المستعصمي

أبو الـدر جمال الدين يـاقوت بـن عبدالله[1] المستعصمي الطواشي[2] البغدادي، الملقب بقِبْلة الكُتّاب[3]، يكنى بأبي الدر وأبي المجد[4]، وياقوت من أصل رومي، كـان من مماليك المستعصم بالله آخر الخلفـاء العباسيين ببغـداد فانتسب إليه، وكـان المستعصم قد اشتراه صغيراً ورُبِّي بـدار الخلافة، واعتنى بتعليمـه الخط صفي الـدين عبـد المؤمـن، ثم كتب على ابن حبيب[5]، وتميز ياقـوت بالأدب والشعر وجـودة الخط، وهو آخـر من انتهت إليه رئاسة الخط المنسـوب. كان يكتب على طـريقة ابن البواب[6]، وقال ابن رافع: «كتب عليـه خلق من أولاد الأكابر، وكـان محترماً معظماً»[7]. ولم ينبغ بعد ابن البواب كاتب غير ياقوت المستعصمي، على الرغم من أن مـا بين الرجلين ما يقرب من ثلاثة قرون (285 سنة).

تعلق ياقوت بالخط العربي منذ صباه، وبرع فيـه، وأظهر من المهارة والبراعة ما جعله في مصاف عظماء الخطاطين، وبقي يـاقوت يتملى خطوط الأئمـة المجودين ممن سبقـوه في هذا المضمار حتى بلغ الغـايـة في جمال الخط وحسنـه، وضبط قـواعده وأصـولـه، وفـاق ابن البـواب في جمال الخط وحسن تنسيقه، والإبداع في تراكيبه، حتى لقب بقبلة الكتاب[8].

(1) يشترك بهذا الاسم ثلاثة، وكلهم عرف بجودة الخط هم: ياقوت بن عبدالله الرومي المستعصمي هذا الذي نترجم له توفي سنة 698 هـ، وياقوت بن عبدالله الموصلي أمين الدين المكي المتوفى سنة 618 هـ، ويـاقـوت بن عبدالله الرومي الحموي شهاب الـدين صاحب معجم الأدباء ومعجم البلدان المتـوفى سنة 626 هـ، وقد تخلط بعض المصـادر بينهم، انظر ابن العماد: شذرات الذهب 5/ 83، 5/ 443، طاش كبري زاده: مفتاح السعادة 1/ 84.

(2) الطواشي: الخصي، وهو من المولّد ولم يوجد في كلام العرب (تاج العروس: طوش) ثم استعمله المتأخرون، وجاء في شعر ابن مطروح من شعراء القرن السابع الهجري يخاطب ملك الفرنسيس لويز التاسع:

دارُ ابن لقمانَ على حالِها والقيدُ باقٍ والطواشي صبيح

(3) سهيل أنور: الخطاط البغدادي ص 20، وقد انفرد الأتراك بـذكر لقبه (قبلة الكتاب) (تحفة خطاطين ص 575) ولم يرد في الكتب العربية. انظر الأثري: الخطاط البغدادي ص 82.

(4) ابن العماد: شذرات الذهب 5/ 443، ابن كثير: البداية والنهاية 14/ 6 الفاسي: منتخب المختار ص 233، حاجي خليفة: كشف الظنون 1/ 711.

(5) الكتبي: فوات الوفيات 4/ 623.

(6) ابن العماد: شذرات الذهب 5/ 443.

(7) الكتبي: فوات الوفيات 4/ 623، الفاسي: منتخب المختار ص 233.

(8) كشف الظنون 1/ 466، العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين 1/ 384، مرزوق: العراق مهد الفن الاسلامي ص 44.

قيل إنه أخذ الخط عن ابن البواب بالواسطـة، إذ ولع بخطه فعكف على قطعة يقلدها ويحاكيها مدة طـويلة، حتى برع ومهـر في الكتابة بضروب الأقلام كلهـا، وخاصة الثلث، وبلغ خطـه أروع ما بلغه الخط العربي من جمال، وكتب الكثير من المصاحف وانتشر خطه في الآفاق، وقيل إنه أحد علماء المستنصرية، وقيل: إن أول من نقل الخط الكوفي إلى الطـريقة العراقية ابن مقلـة، ثم جاء ابن البواب فزاد في تعريب الخط وإبـداعه ثم جاء ياقـوت وختم في الخط وأكمله، وما زال حتى يومنـا هذا يقلده الخطاطون المحدثون وينسجون على منواله[1].

أخذ ياقوت صناعة الخط عن الشيخ صفي الـدين عبد المؤمن أحد فقهاء المدرسة المستنصرية، وأشهر كتاب زمانه[2]، وأخذ كذلك عن شهدة بنت الأبري، وهي زينب بنت أبي نصر أحمد بن الفرج ابن عمر الإبري، فقيهة شهيرة ولدت سنة 482 هـ أصلهـا من الدينور ووفاتها ببغداد سنة 574 هـ، روت الحديث وسمع عليهـا خلق كثير، عرفت بـالكـاتبة لجودة خطهـا، أخذت الخط عن محمـد بن منصور بن عبدالملك، وممن أخذ عنها أمين الدين ياقوت بن عبدالله بن محمد الموصلي النوري الملكي، وهو غير ياقوت المستعصمي وقد وقع في هذا الوهم ابن العماد الذي خلط بين الإثنين[3].

تصدر ياقوت لتعليم فن الخط، وبلغت شهرته الآفاق حتى وصفه طاش كبري زادة بقوله: «ثم ظهر أبـو الدر ياقـوت الرومي المستعصمي، وهو الذي طبق الأرض شرقـاً وغرباً اسمـه، وسار مسير الأمطار في الأمصار، وأذعن لصنعته الكل واعترفوا بالعجز عن مـداناة رتبته فضلاً عن الوصول إليها، لأنه سحر في الكتابة سحراً لو رآه السامري لقال: إن هذا سحر حلال»[4]، وقصده الناس وبالغوا في اقتناء خطوطـه، وأخذ عنه أبناء الأكابـر في بغداد، وممن أخذ عنه: مظفر الـدين علي بن علاء الدين الجويني صاحب الديوان، وكتب عليه أولاده وأولاد أخيه[5]، وشرف الدين هارون زوج حفيدة الخليفة المستعصم، ونجم الدين البغدادي النحـوي العروضي القارىء، وأبو المعـالي محمد نجل ابن الفوطي المؤرخ، وعلم الدين سنجر بن عبدالله الرومي[6]، ومن الخطاطين الذين ساروا على طـريقة ياقوت في القرن الثامن الهجـري بعد سقوط بغداد: عبدالله الصيرفي الذي اشتهـر بإجادة خط النسخ، وعبدالله أرغون الـذي اشتهر بإجادة الخط المحقق عـام 742 هـ، ويحيى الصوفي تلميذ الصيرفي الـذي اشتهر

(1) المصرف: مصور الخط العربي ص 328.

(2) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية 2/ 80، مرزوق: الفن الاسلامي تاريخه وخصائصه 173.

(3) شذرات الذهب 5/ 83، 443.

(4) مفتاح السعادة 1/ 84.

(5) الكتبي: فوات الوفيات 4/ 623.

(6) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية 2/ 86.

بإجادة خط الثلث عام 739 هـ، ومبارك شاه قطب الذي اشتهر بإجادة خط التواقيع عام 710 هـ، ومبارك شاه السيوفي الذي اشتهر بإجادة الخط الريحاني عام 735 هـ، والشيخ أحمد السهروردي الذي اشتهر بإجادة خط الرقاع عام 720 هـ، وكانت امارة الخط وولايته بعد ياقوت الى الخطاط الولي العجمي[1].

عمل ياقوت خازناً بدار الكتب في المدرسة المستنصرية، بإشراف المؤرخ الكبير ابن الفوطي[2]، وقد أفاد ياقوت من دار الكتب في تثقيف نفسه وتنمية مواهبه، وكان يجتمع بالأدباء والشعراء والعلماء والوزراء، فعرفوا فضله وقدروا فنه، ونال رعايتهم وتشجيعهم، وعزل ياقوت عن خزانة كتب المستنصرية عند سقوط بغداد على يد هولاكو، وفوض أمر خزائن الكتب الى موفق الدين ابن أبي الحديد وأخيه عز الدين ابن أبي الحديد[3].

لقد بلغ ياقوت القمة في الخط، وصار يضرب المثل بحسن خطه، فكان الناس إذا استحسنوا خطاً قالوا: (خط ياقوتي)، وكان لياقوت الفضل في تطوير الخط وتهذيبه، وبفضل جهوده صارت مدرسة بغداد الخطية هي السائدة في العالم الإسلامي، وقد دأب الخطاطون في الآفاق على تقليد خطه ويمشقون على قاعدته التي لا تزال حتى يومنا هذا تمتاز بخصائصها عن المدرسة العثمانية التي أعقبتها[4].

آثاره الخطية: (لوح 46)[5].

كتب ياقوت سبعة مصاحف بخطه، وهناك من يبالغ فيقول: «يقال إنه كتب ألف مصحف ومصحف»[6]، وتشتمل خزائن الكتب في استانبول على مصاحف كثيرة كتبها ياقوت بخط النسخ والثلث والمحقق وقلم المصاحف، وزخرفت بزخارف جميلة، وبخطه كذلك مؤلفات بدار الكتب المصرية في القاهرة، وهناك خطوط كثيرة لياقوت في خزائن الكتب في أنحاء العالم من ذلك[7]:

(1) محمد مرتضى الزبيدي: حكمة الإشراق ص 89.
(2) ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية 2/ 136، بغداد عرض تاريخي مصور 141، 149.
(3) بغداد عرض تاريخي مصور ص 147.
(4) وليد الأعظمي: تراجم خطاطي بغداد ص 127.
(5) لوح 46 نماذج من خط ياقوت المستعصمي.
(6) المصرف: مصور الخط العربي ص 328.
(7) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، الملحق 1/ 598، سزكين: تاريخ التراث العربي الترجمة العربية مجلد 2 جزء 2 ص 143، 186، 187، 334، وجزء 4 ص 40.

ديوان المثقب العبدي، ديوان شعر الحادرة، ديوان أبي محجن الثقفي، ديوان المتنبي، ديوان جرير برواية السكري، وغير ذلك.

أما مؤلفاته، فله مؤلفان هما:

1 ـ أخبار وأشعار وملح وحكم ووصايا منتخبة، طبع في الأستانة سنة 1302 هـ.
2 ـ أسرار الحكماء، طبع في الأستانة سنة 1300 هـ[1].

وينسب إليه كتاب في النوادر، لعله أحد هذين الكتابين لأنه وصل بعناوين مختلفة بعدة روايات[2].

أما وفاته فلم تكن موضع خلاف فقد توفي ياقوت ببغداد سنة ثمان وتسعين وستمائة للهجرة رحمه الله تعالى[3].

شعره:

عرف ياقوت باهتمامه بالأدب والشعر، وقد ذكرت له كتب الأدب والتاريخ طرفاً من شعره نذكر بعضاً منه، من ذلك قوله في الموت وزوال نعيم الدنيا[4]:

أتعتقدون أن الملك يبقى ... وأن العيش في الدنيا يدومُ
ولا يجري الزوالُ لكم ببالٍ ... كأنَّ الموتَ ليس له هجومُ
فَهْبكمْ نلتمُ ما نالَ كِسرى ... وقيصرُ والتبابعةُ القُرومُ
ومتعتم بذلك عمرَ نوحٍ ... وحفَّتْكم بأسعدها النجومُ
أليس مصيرُ ذاكَ إلى زوالٍ ... لعَمْرِ أبي لقد هفَتِ الحلومُ

(1) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية 3/ 131، سزكين 1/ 143.
(2) بروكلمان، الملحق 1/ 598، سزكين 1/ 143.
(3) ابن العماد: شذرات الذهب 5/ 443، الكتبي: فوات الوفيات 4/ 264، طاش كبري زادة: مفتاح السعادة 1/ 84.
(4) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص 500.

قال الحافظ علم الدين البرزالي، قال أنشدني أبو شامة، قال أنشدني ياقوت لنفسه[1]:

رعى اللهُ أياماً تقضَّتْ بقـربكمْ ... قِصَـاراً وحيَّاهـا الحَيَـا وسقَاهَـا

فما قلتُ ايـهٍ بعـدَهـا لمسامـرٍ ... من النـاسِ إلَّا قـالَ قلبيَ آهَـا

وله شعر عاطفي رقيق، فمن ذلك قوله[2]:

يـــا خليلي والمنى كــاذبـــةٌ ... والليـــالي شـأنُها أنْ تسلبـــا

قُمْ بنـا مـا قعـدتْ حـادثـةٌ ... نَقْضٍ من حقِّ الصِّبَـا مـا وجَبَـا

نَعْـصِ مَنْ لامَ على ديـنِ الهوى ... هــذهِ سُنَّــةُ أيــامِ الصِّبَــا

وقال في العتاب[3]:

صـدَّقْتُمُ فِيَّ الوشـاةَ وقـد مضَى ... في حُبِّكُمْ زمني وفي تكـذيبِهـا

وزعمتمُ أنِّي مللـتُ حـديثَكُمْ ... مَنْ ذا يَمَلُّ من الحيـاةِ وطيبِهـا

وقال في الغزل[4]:

وعـدَتْ أنْ تـزورَ ليلاً فـألْـوَتْ ... وأتتْ بـالنهـارِ تسحبُ ذيـلا

قلتُ هلاَّ صدقتِ في الوعدِ قالتْ ... هل توهمتَ أن ترىٰ الشمس ليلا

وقال يذكر جودة خطه وسوء حظه[5]:

عَجِبْتُ لـدهـري إذ جـادَ لي ... بخـطٍّ يفـــوقُ بـأجـــزائهِ

وأعـــوَزَنِي فيـــه مـن نقطـةٍ ... تكـون على الطَّـاءِ من خـائه

وله قصيـدة في سبعة عشر بيتاً يمدح بها شرف الـدين هارون صاحب ديـوان المـمالك سنة 682 هـ، وهو زوج حفيدة الخليفة المستعصم، أولها[6]:

الحمــدُ لله قــد مضى التَّرَحُ ... وقـد أتـانـا السرورُ والفـرحُ

وجـاء صَرْفُ الـزمـانِ معتـذِراً ... فكلُّ ذنـبٍ جنـاهُ مُطَّـرَحُ

---

(1) ابن العماد: شذرات الذهب 5/ 443، الكتبي: فوات الوفيات 4/ 264.

(2) الكتبي: فوات الوفيات 4/ 623.

(3) السابق 4/ 264.

(4) السابق نفسه 4/ 264.

(5) السابق 4/ 264.

(6) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص 428.

ياقوت المستعصمي

في صفر سنة اثنتين وثمانين وستمائة والحمد لله

وحده وصلواته على خير خلقه محمد وآله وسلامه

نموذج كتابة بخط ثلثي على قواعده التامة في عصره • من نسخة نفيسة كتبها ياقوت المستعصمي في سنة ٦٨٢ هـ في الصفحة الاخيرة من ديوان الحادرة طوپقپو: خزانة رقم ١٦٤٣)

لوح 46

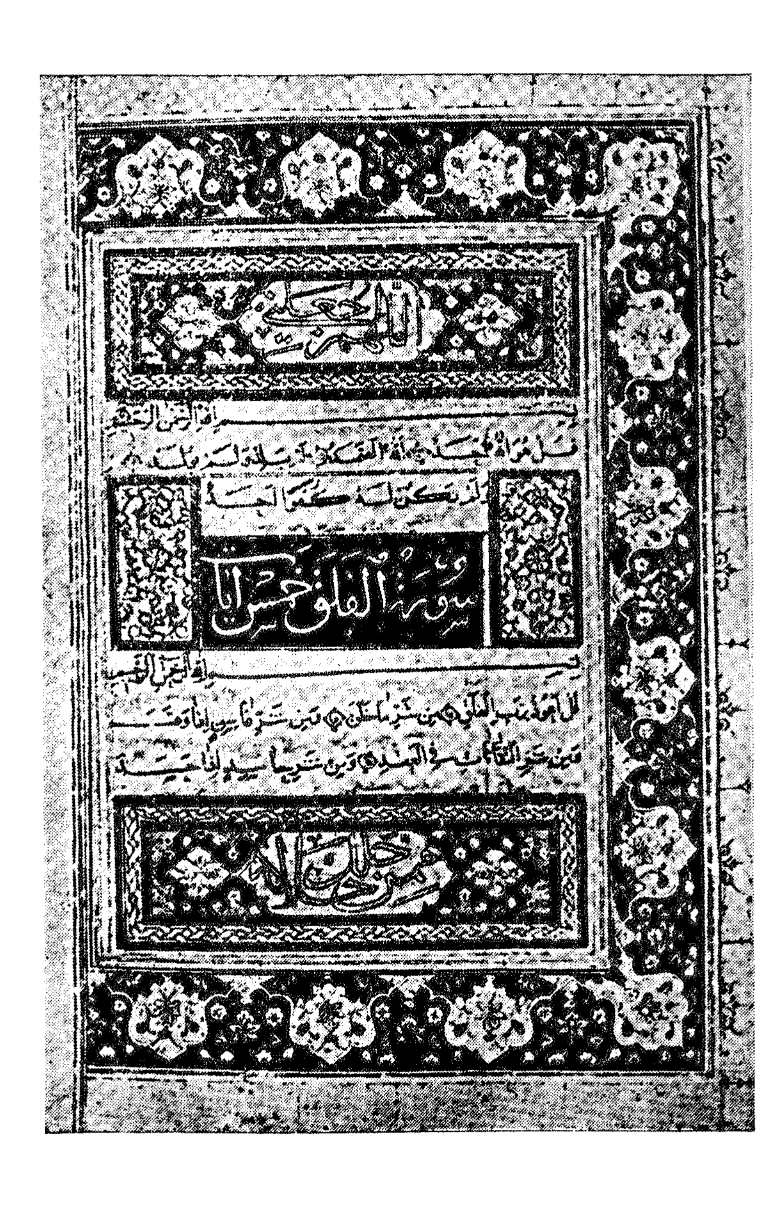
نماذج من خطوط ياقوت المستعصمي



لوح 46ب

نماذج من خطوط ياقوت المستعصمي

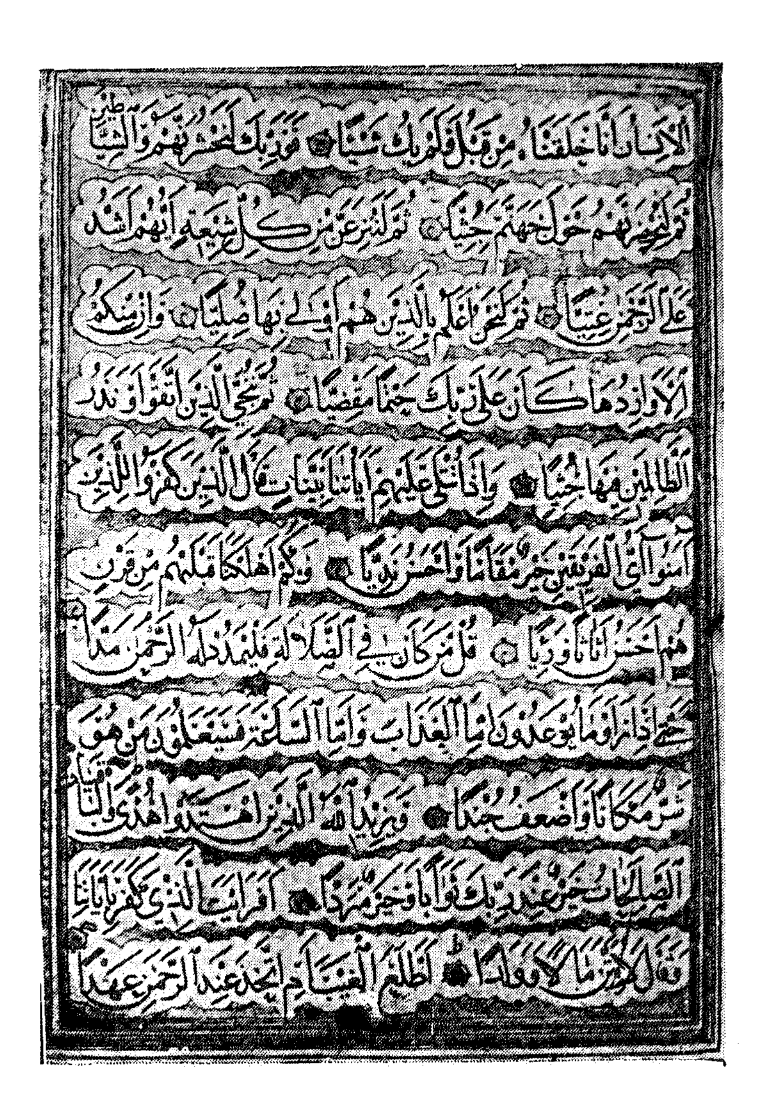
كتابة آخر صفحة من مصحف، كتبه ياقوت المستعصمي في سنة 681هـ. (متحف طوبقبو سراي: استانبول ـ امانة).



لوح 46ج

نماذج من خطوط ياقوت المستعصمي

ورقة من مصحف، بخط نسخي، كتبه ياقوت المستعصمي في القرن السابع الهجري (القاهرة دار الكتب ـ مجموعة المنجد).



الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ۝ فوربك لنحشرنهم والشيـطين
ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ۝ ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد
على الرحمن عتيا ۝ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ۝ وإن منكم
إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ۝ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر
الظالمين فيها جثيا ۝ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين
آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ۝ وكم أهلكنا قبلهم من قرن
هم أحسن أثاثا ورئيا ۝ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا
حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو
شر مكانا وأضعف جندا ۝ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا ۝ أفرأيت الذي كفر بآياتنا
وقال لأوتين مالا وولدا ۝ أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا

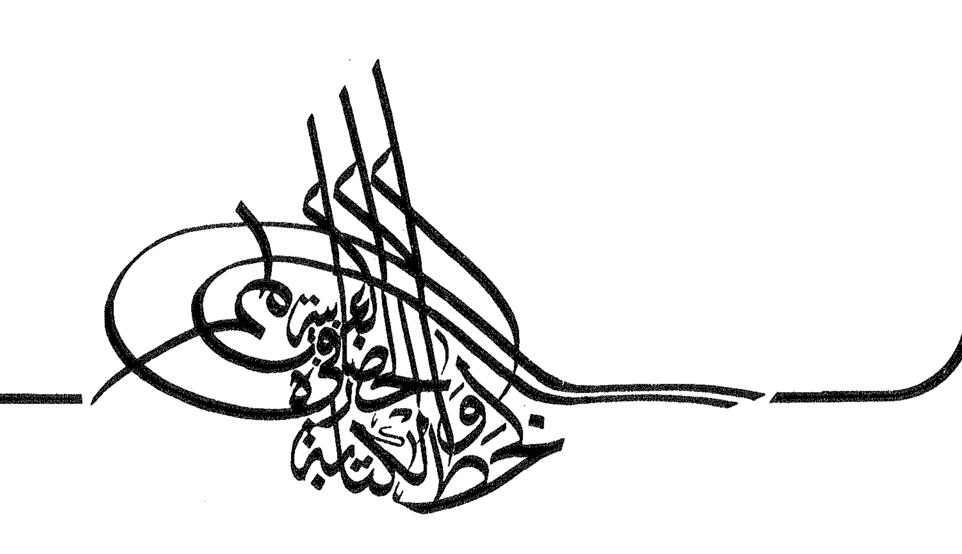
لوح 46د

نماذج من خطوط ياقوت المستعصمي

صفحة من مصحف نادر، بخط ياقوت المستعصمي، كتبه سنة 963 «خزانة الروضة الحسينية» دار الآثار العراقية: (م ت 13آ/60 ـ 855).

الفصل السادس

ادوات الكتابة



استخدم الانسان كل الوسائل المتاحة للكتـابة، فلم يدع سطحاً صالحاً من المواد الا استخدمه وجعله أداة للكتـابة، وكان للبيئـة، وما تقدمـه من مواد، أثـر في طبيعة المواد التي استعملت في كل مكان، ففي البيئات التي تكثـر فيها الأشجار كان لحاء الشجر خير قرطـاس يكتب فيه، وفي البيئات التي تكثر فيه النخيل، كانت العُسُب والكرانيف مواد الكتـابة، وفي البيئات الصحراوية كانت عظام الحيوان وأضـلاعه وأكتـافه قراطيس للكتـابة، وهكـذا في المناطق الصخريـة، كان الحفـر على الحجر والرخـام وسيلة التعبير، فكثرت النقـوش التي بقيت على مر الزمـان في تلك المناطق. ونذكـر هنا أهم المواد التي استعملها الإنسان في الكتابة:

الطين

كان الطين من أقـدم المواد التي اتخذها الإنسـان للكتابـة، لتيسره ولينه وسهولـة الكتابـة عليه، فكانوا يصنعون من الطين قـوالب يكتبون عليه وهو طري، ثم يجففونه في الشمس أو يطبخـونه بالنار وقد كانت هـذه الحالة منتشرة في العراق عند الأكـديين والسومريين والآشوريين، وقـد عثر على ألواح كثيرة من ألواح الطين مكتـوب عليها بـالخط المسماري، وتحتفظ المتاحف الأثـرية بـآلاف من الألواح الطينية.

الحجر

أما الكتـابة على الصخور والنقش على الحجر، فقـد كثر في البيئات الصخـرية - كما مر - وهذه المادة أقوى من الطين على البقـاء، ولكنها ثقيلة الـوزن كبيرة الحجم، يصعب حملها ونقلهـا، ولذلك كثرت هذه الكتابات في المعابد والكهوف والقصور والقلاع، وقد كتب الجاهليون على الحجارة وكانت الكتابة والنقش على الحجر يسميـان (الوحي)، وقد جاء هذا اللفظ في شعر لبيد في قولـه يشبه الديار ورسومها البالية بالكتابة[1]:

---

(1) ديوان لبيد ص 299.

فمدافعُ الريَّان عُرِّي رَسْمُها   خَلَقاً كما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُها

وجاء في شعر زهير أيضاً[1]:

لمن الديارُ غشيتُها بالفَدْفَدِ   كالوَحْيِ في حجر المسيلِ المُخْلَدِ

وكذلك جاء الوحي في قوله[2]:

لمن طَلَلٌ كالوَحْي عافٍ منازِلُهْ   عَفَا الرسُّ منه فالرسيسُ فعاقِلُهْ

وكانت العرب تكتب في اللِّخَاف، وهي حجارة بيض رقـاق، واحدته لَخْفَة (بفتح اللام)، وقد كتبت آيات من القـرآن الكريم في اللخاف، كما كتبت في الرِّقاع والعُسُب، قال زيـد بن ثابت حينما أمره أبـو بكر بجمع القـرآن: «فجعلت أتتبعـه في الرِّقاع والعُسُب واللِّخَاف»[3]، وأكد النديـم كتابة العرب في اللخاف فيما بعـد في قوله: «والعرب تكتب في أكتاف الإبل واللخاف وهي الحجـارة الرقاق البيض، وفي العسب عسب النخل»[4].

ورق الشجر

وفي المنـاطق التي تكثـر فيهـا الأشجار والغـابـات كـالهند، كتبـوا على ورق الشجـر وعلى لحاء الشجر، ذكر أبو الرَّيْحان البيروني ما كان يتخذه أهل الهند لكتاباتهم، قال: «فـالهند، أما في بلادهم الجنـوبية فلهم شجـر باسق كـالنخل والنارجيل، ذو ثمـر يؤكل وأوراق في طـول ذراع وعرض ثـلاث أصـابع مضمومـة يسمـونها تاري، ويكتبـون عليها، ويضم كتـابهم منهـا خيط ينظمها في ثقبـة من أوساطها، فينفذ في جميعها، وأما في واسطة المملكة وشمالها، فإنهم يأخذون من لحاء شجرة التوز الذي يستعمل نوع منـه في أغشية القِسيّ، ويسمونه (بهوج) في طـول ذراع وعرض أصابع ممـدودة فما دونه، ويعملـون به عمـلاً كالتـدهين والصقل يصلب به ويتملس ثم يكتبـون عليها، وهي متفـرقة يعـرف نظامها بأرقام العدد المتوالي، ويكون جملة الكتاب ملفوفة في قطعة ثوب ومشدودة بين لوحين بقدرهما، واسم هذه الكتب (بُوتى)، ورسائلهم وجميع أسبابهم تنفذ في التوز أيضاً»[5].

(1) ديوان زهير ص 268.
(2) ديوان زهير ص 126.
(3) الزمخشري: الفائق 2/ 150.
(4) الفهرست ص 31.
(5) البيروني: تاريخ الهند ص 81.

وهناك مواد كثيرة أخرى كتبت فيها الأمم ذكرها ابـن النديم وبيّن أنواعها وأسبابها في قوله: «ثم كتبت الأمم بعـد ذلك برهـة من الزمـان في النحاس والحجـارة للخلود... وكتبـوا في الخشب وورق الشجر... وكتبـوا في التوز الذي يُعلى بـه القِسيّ أيضاً للخلود... ثم دبغت الجلـود فكتبت الناس فيها، وكتب أهل مصر في القرطاس المصري، ويعمل من قصب البردي... والروم تكتب في الحرير الأبيض والرق وغيره، وفي الطـومار[1] المصري، وفي الفلجان، وهـو جلود الحمير الوحشيـة، وكانت الفـرس تكتب في جلـود الجواميس والبقـر والغنم، والعـرب تكتب في أكتـاف الإبل واللِّخـاف وهي الحجارة الرقاق البيض، وفي العُسُب عسب النخل، والصين في الورق الصيني، ويعمل من الحشيش وهو أكثر ارتفاق البلد، والهند في النحاس والحجارة وفي الحرير الأبيض»[2].

العُسُب والكَرَانيف

وكتب العرب في جاهليتهم فيما تيسر لهم من مواد، وكانت العسب والكرانيف من أكثر ما تيسر لهم.

والعُسُب: جمع عسيب، وهي السعفة أو جريدة النخل إذا يبست ونُزع خوصها.

والكـرانيف: جمع كِرْنَـافة، وهي أصـل السعفة الغليظ الملتـزق بجذع النخلـة[3]، وقـد وردت العسب في الشعر الجاهلي، من ذلك قول لبيد يصف كاتباً[4]:

متعـوِّدٌ لَـحِنٌ يُـعيـدُ بـكـفِّهِ   قَـلَمـاً على عُسُبٍ ذَبُلْنَ وبَانِ

وذكر امرؤ القيس العسيب أيضاً في قوله[5]:

لِمَـن طَـلَـلٌ أبصرتُهُ فشجـانـي   كـخَطِّ زبورٍ فـي عسيبِ يمَـانِ

وكـان المسلمــون يكتبـون مـا ينـزل من القـرآن الكـريم في عهـد رسـول الله ﷺ في العسب والكرانيف[6]، وفي حـديث الـزهـري أن رسـول الله ﷺ قُبض «والقرآن في العسب والقُضُم»[7] وفي

(1) الطومار: الصحيفة أو الورقة، وهي لفظة دخيلة يونانية الأصل.
(2) الفهرست ص 21 ط فلـوجل، وص 31 ـ 32 ط مصر، وانظـر بهذا المعنى القلقشنـدي: صبح الأعشى 2/ 475 - 476، وضوء الصبح المسفر 1/ 412.
(3) اللسان: عسب، كرنف.
(4) ديوان لبيد ص 23.
(5) ديوان امرىء القيس ص 85.
(6) الزمخشري: الفائق 2/ 150.
(7) الزمخشري: السابق والصفحة.

البخاري أن زيد بن ثابت حين كلفه أبو بكر بجمع القرآن، مضى يجمعه من «العسب واللخاف وصدور الرجال»[1]، ويروى أيضاً أنه جمعه «من الرقاع والأكتاف والأقتاب والعسب وصدور الرجال»[2].

الأقتاب

وقد كانوا يكتبون في الخشب وعلى أقتاب الإبل حين يضطرون الى ذلك ولا يجدون ما يكتبون عليه، والأقتاب: جمع قَتَب (قِتْب) (بفتحتين أو بكسر فسكون)، وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير، وقد مر حديث زيد بن ثابت أنه جمع القرآن من «الرقاع والأكتاف والأقتاب والعسب»[3].

وكان الجاهليون يكتبون في الرَّحْل عند الضرورة، كما نقرأ في قصة المرقش الأكبر حين أحس بغدر الراعي وقرر تركه في كهف في أرض مراد، وكان مريضاً، كتب أبياتاً على رحل الراعي الذي يلقبه بالغفلي، ينذر أخويه من ذلك قوله[4]:

يا راكباً إمَّا عَرضْتَ فبَلِّغَنْ ... أنَسَ بنَ سعدٍ إنْ لَقِيتَ وحَرْمَلا

لله دَرُّكُما ودَرُّ أبِيكُما ... إنْ أفْلَتَ الغُفَلِيُّ حتَّى يُقْتَلا

مَنْ مبلغُ الأقوامَ أنَّ مُرَقَّشاً ... أمسَىٰ على الأصْحَابِ عِبْئاً مُثْقَلا

وكذلك كان بعض الصحابة والتابعين في الاسلام يفعلون ذلك، حين لا يجدون ما يكتبون عليه غير الرحل، قال سعيد بن جبير: «كنت اسمع من ابن عمر وابن عباس الحديث بالليل فأكتبه في واسطة رحلي، حتى أصبح فأنسخه»[5].

(1) صحيح البخاري 6/ 183.

(2) السجستاني: المصاحف ص 20.

(3) السجستاني: السابق والصفحة.

(4) الضبي: المفضليات ص 222، وشرح الأنباري ص 459 ـ 460.

(5) الخطيب البغدادي: تقييد العلم ص 102.

العظام والأكتاف

وكان العرب يكتبون في العظام، وخاصة الأضلاع والكَتِف، وكان الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن في العظام، وقد مر أن زيد بن ثابت كان يتتبع القرآن «من صدور الرجال ومن الرقاع ومن الأضلاع»[1]، ويجمع القرآن «من الرقاع والأكتاف والأقتاب»[2]، وقال زيد: «لما نزلت هذه الآية ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين**﴾ دعا رسول الله ﷺ وسلم بالكتف، ودعاني وقال: اكتب. . .»، ويروى أيضاً: «أن رسول الله ﷺ لما ثقل دعا عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: أئتني بكتف حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه»[3]. ويروى أن عمر بن الخطاب قال لابنه عبدالله: «يا عبدالله أئتني بالكَتِف التي كتبت فيها شأن الجِدّ بالأمس»[4]، وقال هانىء: «كنت عند عثمان رضي الله تعالى عنه وهم يعرضون المصاحف فأرسلني بكتف شاة الى أُبَيّ بن كعب فيها: ﴿**لم يتسن**﴾ و﴿**فأمهل الكافرين**﴾ و﴿**لا تبديل للخلق**﴾، قال: فدعا بالدواة فمحا إحدى اللامين وكتب (لخلق الله) ومحا (فأمهل) وكتب (فمهِّل) وكتب (لم يتسنه) ألحق فيها هاء»[5].

وقد بقيت الكتابة على العظام في العصر الأموي يكتب فيها عند الضرورة، وقد كان عمر بن أبي ربيعة يكتب شعراً في الكتف ويرسله الى النساء، ففي الأغاني أن عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق كانا جالسين بفناء الكعبة إذ مرت بهما امرأة من آل أبي سفيان، فدعا عمر بكتف فكتب فيها شعراً[6].

وقد استمرت هذه الحال حتى العصر العباسي، حين تدعو الضرورة الى الكتابة في العظام أو قد تضيق يد بعض العلماء عن الحصول على ثمن القرطاس فيكتب في العظام، وهذا ما كان من أمر الإمام الشافعي، قال: «فكنت أجالس العلماء وأحفظ الحديث والمسألة، وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف، وكنت أنظر إلى العظم يلوح، فأكتب فيه الحديث أو المسألة، وكانت لنا جرة قديمة، فإذا امتلأ العظم طرحته في الجرة»[7]، وعلل الشافعي سبب الكتابة في العظام بقوله: «طلبت هذا الأمر عن خفة ذات يد، كنت أجالس العلماء وأتحفظ، ثم اشتهيت أن أدون، وكان لنا منزل بقرب شعب الخَيْف، وكنت آخذ العظام والأكتاف فأكتب فيها، حتى امتلأ في دارنا من ذلك حُبَّان»[8].

(1) أبو عمرو الداني: المقنع في معرفة رسوم مصاحف أهل الأمصار ص 3.

(2) السجستاني: المصاحف ص 20.

(3) ابن سعد: الطبقات 3/ 1: 128، وانظر الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ص 85.

(4) ابن سعد: السابق 3/ 1: 246 ـ 247.

(5) ابن فارس: الصاحبي ص 10.

(6) الأصفهاني: الأغاني 9/ 240.

(7) ابن أبي حاتم: آداب الشافعي ومناقبه ص 24.

(8) السابق نفسه ص 25.

المهارق

المَهَارِق: وهي الصحف البيض من القماش، مفردها مُهْرَق، قال الأصمعي: «هو فارسي معرب، وكان أصله خرق حرير تصقل وتكتب فيها الأعاجم، تسمى مَهْر كَرْد، فأعربته العرب وجعلته اسماً واحداً فقالوا: مُهْرَق»[1]، وفي اللسان: «المُهْرَق الصحيفة البيضاء يكتب فيها، فارسي معرب والجمع مهارق قال حسان:

كَمْ للمنازلِ من شَهْرٍ وأحوالِ ... لآلِ أسماءَ مثلِ المُهْرَقِ البالي

وقيل المهرق: ثوب حرير أبيض يسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه، وهو بالفارسية مَهْرَكَرْد، وقيل: مهرة، لأن الخرزة التي يصقل بها يقال لها بالفارسية كذلك، والمهرق الصحراء الملساء والمهارق الصحارى، قال الأزهري: وإنما قيل للصحراء مهرق تشبيهاً بالصحيفة»[2] ويوضح الأصمعي ذلك أكثر فيقول: «المهارق كرابيس كانت تصقل بالخرز ويكتب فيها، فأراد: مهر كرد، أي: صقل به»[3]، والكرابيس: جمع كِرْباس (بالكسر): ثوب من القطن الأبيض، معرب، فارسيته بالفتح[4]، وقال التبريزي: «المهارق: الصحف واحدها مهرق، فارسي معرب، خرزة يصقلون بها ثياباً كان الناس يكتبون فيها قبل أن يصنع القراطيس بالعراق»[5]، وقال الزوزني: «المهارق يأخذون الخرقة ويطلونها بشيء ثم يصقلونها ثم يكتبون عليها شيئاً»[6]، وقال ابن السكيت: «المهرق: ثوب جديد أبيض يسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه»[7]، الظاهر أن الفرس كانوا ينتجون هذه المهارق فيصدرونها الى البلاد المجاورة وكان الروم يستخدمونها، وقد نسب الحارث بن حِلِّزة المهارق الى الفرس في قوله[8]:

لِمَنْ الديارُ عفَوْنَ بالحُبْسِ ... آياتُها كمهارقِ الفُرْسِ

(1) الأنباري: شرح المفضليات ص 263.
(2) اللسان: هرق.
(3) الأنباري: شرح المفضليات ص 263.
(4) القاموس المحيط: كربس. ويبدو أن الفرق بين المهرق والكرباس، ان المهرق ثوب من حرير، والكرباس ثوب من قطن، وكلاهما يعالج بالصمغ أو ما يشبهه.
(5) شرح المعلقات ص 268ـ 269.
(6) الزوزني: شرح المعلقات السبع ص 200 ـ 201.
(7) ابن سيده: المخصص 13/ 8 ـ 9.
(8) المفضليات ص 132.

إن الكتابة في المهارق ليست ميسورة لكل الناس، لأنها كانت تجلب مع القوافل التجارية من البلاد الأخرى، وكانت غالية الثمن عزيزة المنال، ولذلك كانوا لا يكتبون بها إلا كل أمر عظيم، وكان الجاحظ يقول: لا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين أو كتب عهود وميثاق وأمان»[1].

وقد ذكر الشعر الجاهلي المهارق وبيَّن ما كان يكتب فيها، من ذلك قول الحارث بن حِلِّزة في معلقته[2]:

واذكروا حِلْفَ ذي المَجَازِ وما ... قُدِّمَ فيه العُهودُ والكُفَلاءُ

حَذَرَ الجَوْرِ والتَّعَدِّي وهلْ ... يَنْقُضُ ما في المَهَارِقِ الأهواءُ

وجاءت المهارق أيضاً في شعر الأعشى في قوله[3]:

ربِّي كريمٌ لا يُكَدِّرُ نعمةً ... وإذا ينَاشَدُ بالمهارقِ أنْشَدا

وقال شتيم بن خويلد الفَزَاري يصور صوت الأقلام حين يكتب بها في المهارق[4]:

تسمعُ أصواتَ كُدْرِيِّ الفِراخِ بهِ ... مثلَ الأعاجم تُغْشِي المُهْرَقَ القلما

وقد تشبه الديار العافية بالمهارق البالية قال سلامة بن جندل[5]:

لَبِسَ الروامِسُ والجديدُ بلاها ... فتركنَ مثلَ المُهْرَقِ الأخلاقِ

وجاءت المهارق في شعر شعراء آخرين مما يدل على إلفة العرب لهذه المادة وحاجتهم إليها[6].

(1) الجاحظ: الحيوان 1/ 69 ـ 70. وانظر في المهارق: ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ص 80 ـ 82.
(2) التبريزي: شرح المعلقات العشر ص 268 ـ 269.
(3) ديوان الأعشى ق34 البيت 13 ط محمد حسين.
(4) النقائض ص 106.
(5) ديوانه ص 15.
(6) وجاءت المهارق كذلك في شعر سلامة بن جندل (وحادثه في العين جدة مهرق) (ديوانه ص 5) وفي شعر الأسود بن يعفر: (سطور يهوديين في مهرقيها) وفي شعر الأعشى: (لطول بلاها والتقادم مهرق) (أدب الكتاب للصولي ص 106).

القُباطي

إن القُباطي قديمة، دخلت الجزيرة منذ العصر الجاهلي، واستخدمها العرب في الكتابة وكساء للكعبة، ولباساً لنسائهم[1]. والقباطي: ثياب كتان رقاق تعمل بمصر، وهي منسوبة الى القِبْط على غير قياس، والقبط هم نصارى مصر، الواحدة قبطية، والجمع قباطي (بضم القاف وفتحها)، وقال شمر: القباطي ثياب الى الدقة والرقة والبياض، قال زهير[2]:

لَيأتينَّك منّي منطقٌ قَذَعٌ   باقٍ كما دنّس القُبطِيَّةَ الوَدَكُ

وقال الكميت يصف ثوراً[3]:

لياحٍ كأنْ بالأتحمية مُسْبَغٌ   إزاراً وفي قُبطيةٍ متجلْبِبُ

وفي حديث أسامة: «كساني رسول الله ﷺ قبطية»[4]، وفي الحديث أيضاً: «أنه كسا امرأة قبطية، فقال: مُرْها فلتتخذ تحتها غلالة لا تصف حجم عظامها»[5]، وفي الحديث دلالة على رقة وشفافية القباطي، لأنها تلتصق بالجسم، ومنه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تلبسوا نساءكم القباطي فإنه إنْ لا يشف فإنه يصف»[6]، وكانت القباطي والأنماط مما تكسى بها الكعبة في الجاهلية والإسلام[7].

وقد كتب العرب في الجاهلية في القباطي، وإنما كتبوا ما كان ذا خطر وأثر، كالأحلاف والمعاهدات والمعلقات، ونعرف من قصة المعلقات أن العرب اختارت سبع قصائد وكتبتها في القباطي المدرجة بماء الذهب، وقد فصّل في ذكر ذلك ابن عبد ربه فقال: «حتى لقد بلغ من كَلَفِ العرب بالشعر وتفضيلها له أن عمدت الى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلقتها بين أستار الكعبة، فمنه يقال مذهبة امرىء القيس ومذهبة زهير، والمذهبات سبع، وقد يقال لها المعلقات»[8]، وكذلك قال ابن رشيق القيرواني: «فكتبت في القباطي

(1) وليس كما يظن بعضهم من انها دخلت الى الجزيرة مع البردي بعد فتح مصر. انظر: الحلوجي: المخطوط العربي ص 25، وانظر في القباطي: الجبوري: الملابس العربية في الشعر الجاهلي ص 56.
(2) ديوان زهير ص 183، واللسان: قبط.
(3) اللسان: قبط.
(4) البخاري: لباس 30 ابن حنبل: 5/ 205، اللسان: قبط.
(5) ابن الأثير: جامع الأصول 10/ 646، اللسان: قبط.
(6) ابن الأثير: السابق 10/ 646، واللسان: قبط.
(7) يحيى الجبوري: الملابس العربية في الشعر الجاهلي ص 56.
(8) العقد الفريد 5/ 269.

بماء الذهب»[1]، ولا شك أن الكتابة في القباطي أيسر من الكتابة في غيره لنعومة القباطي وخفّته وبياض لونه وتماسك نسجه.

إن وسائل الكتابة التي استخدمها الناس في العصور الإسلامية كثيرة، ولكن أهم هذه الأدوات التي كان لها دور في الحياة العلمية والثقافية والحضارية، ودونت فيها العلوم وألفت بها الكتب هي: الرَّق، والبردي، والورق. ويحسن أن نقف عند كل واحدة منها وقفة متأنية.

الـرَّق

واذا كانت القباطي والمهارق محدودة الاستعمال لغلاء ثمنها وندرتها، فان الرقوق كانت أكثر شيوعاً، وكانت هي المادة الأساسية التي يكتب بها العرب، وقد كُتبت بها المصاحف والمؤلفات في العصور الأموية والعباسية قبل أن يشيع استعمال البردي والورق من بعده.

وترد في كتب التراث ثلاث مسميات: الرق، والأديم، والقَضِيم، وكلها أنواع من الجلود فالرق: ما يرقق من الجلد ليكتب فيه[2]، والأديم: هو الجلد الأحمر أو المدبوغ، والقضيم: الجلد الأبيض الذي يكتب فيه، وقد جاءت هذه الأسماء الثلاثة في الشعر الجاهلي.

فأما الرق فقد جاء في شعر حاتم الطائي في قوله[3]:

أتعرفُ أطلالاً ونُؤْياً مُهَدَّماً   كخطِّكَ في رَقٍّ كتاباً مُنَمْنَمَا

وفي شعر الأخنس بن شهاب التغلبي[4]:

لابنةِ حطّانِ بنِ عوفٍ منازلُ   كما رقَّشَ العُنوانَ في الرَّقِ كاتبُ

وفي شعر طرفة بن العبد[5]:

كسطورِ الرَّقِّ رقَّشَهُ   بالضُّحَى مرقِّشٌ يشِمُهْ

وجاء كذلك في شعر خويلد الهذلي[6]:

(1) العمدة 1/ 96. وانظر الجبوري: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ص 178 ـ 179.
(2) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 484، وانظر: الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ص 77 ـ 79.
(3) ديوان حاتم الطائي ص 23.
(4) المفضليات ص 204، والمؤتلف والمختلف ص 27.
(5) ديوان طرفة بن العبد ص 68.
(6) ديوان الهذليين 3/ 70.

وإني كما قال مُمْلِي الكتا ... ب في الرقِّ إذْ خطَّه الكاتبُ

وقد ذُكر الرق في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿والطُّورِ * وكتابٍ مسطورٍ * في رَقٍّ منشورٍ﴾[1].

وأما الأديم فقد جاء في شعر المرقش الأكبر في قوله[2]:

الدارُ قَفْرٌ والرسومُ كما ... رقَّش في ظهرِ الأديمِ قلَمْ

وكانوا في صدر الإسلام يكتبون كما يكتب الجاهليون على الأديم، فمما رُوي في زمن النبي أن عليَّ ابن أبي طالب كان يكتب في الأديم ما يملي عليه رسول الله ﷺ، وذلك ما جاء في حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: «إن النبي ﷺ دعا بأديم وعلي بن أبي طالب عنده، فلم يزل رسول ﷺ يُملي وعليٌّ يكتب حتى ملأ بطن الأديم وظهره وأكارعه»[3]، ومن ذلك أيضاً عهد الخيبريين من اليهود وككتاب النبي ﷺ الى كسرى، كما كتبت المصاحف في جلود الظباء[4]، وفي خبر تحريم المدينة ما رواه رافع بن حديج قوله: «فان المدينة حرام، حرمها رسول الله ﷺ وهو مكتوب عندنا في أديم خولاني»[5]، وكانوا يكتبون القرآن الكريم في زمن النبي على الأديم، قال عثمان بن عفان عندما عزم على جمع القرآن: «فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن. . .»[6]، وذكر أن عمر بن الخطاب انتسخ كتاباً على عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب، ثم جاء به في أديم[7]، وكذلك كتب سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص دَيْناً على نفسه في قطعة أديم ابتغاها عند خرّاز قريب من بيته[8].

وكان العرب يصنعون الأديم ولم يجلبوه من الخارج، فقد عرف الأديم الخولاني، نسبة الى قبيلة خولان في اليمن، وقد مر في حديث رافع بن حديج قوله: «وهو مكتوب عندنا في أديم خولاني»[9].

وأما القضيم فقد جاء في الشعر الجاهلي أيضاً، من ذلك قول امرىء القيس[10]:

(1) سورة الطور 1 ـ 3 .
(2) المفضليات ص 237، والأغاني 6/ 127 .
(3) الرامهرمزي: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، مخطوط ص 152 .
(4) كوركيس عواد: الورق ص 416 .
(5) ابن حنبل: مسند أحمد 4/ 141، الخطيب البغدادي: تقييد العلم ص 72 .
(6) السجستاني: المصاحف 23 ـ 24 .
(7) الخطيب البغدادي: تقييد العلم ص 52 .
(8) المصعب الزبيري: نسب قريش ص 177 ـ 178 .
(9) ابن حنبل: مسند أحمد 4/ 141، الخطيب البغدادي: تقييد العلم ص 72 .
(10) ديوان امرىء القيس ص 86، الشبوب والقرهب: الثور الفتي الكبير.

وعَادَىٰ عِدَاءً بين ثورٍ ونعجةٍ ... وبينَ شَبُوبٍ كالقَضِيمةِ قَرْهَبِ

وفي شعر النابغة الذبياني قوله[1]:

كأنَّ مجرَّ الرامساتِ ذيُولها ... عليه قضيمٌ نمَّقَتْهُ الصَّوانِعُ

وذُكر في شرح البيت أن القضيم هو الأديم المخروز، وقال: عن القُتْبي: القضيمة: الصحيفة البيضاء تقطع ثم ينقش بها النطع. وجاء القضيم في شعر زهير بن أبي سلمى أيضاً في قوله[2]:

كأنَّ دِماءَ المُؤْسِداتِ بنَحْرِها ... أطِبَّةُ صِرْفٍ في قَضِيمٍ مُسَرَّدِ

وقد كُتب القرآن الكريم على القُضُم كما كُتب على العسب والكرانيف، قال الزهري: «قُبِض رسول الله ﷺ والقرآن في العُسُب والقُضُم والكرانيف»[3].

وحين اتسعت حاجات الدولة في العصر الأموي إلى الكتابة في المصاحف والصكوك والرسائل والدواوين، كانت الرقوق هي المادة الأساسية التي استخدمت لفترة طويلة حتى بدأ القرطاس ـ وهي الكلمة التي أطلقت على صحيفة البردي ـ يزاحم الرقوق ويتغلب عليها لخفته وسهولة الكتابة فيه، ثم دخول الورق بعد ذلك في الحياة العلمية، ونجد مصداق ذلك فيما يقرره ابن خلدون في مقدمته إذ يقول: «وكانت السجلات أولاً لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد لقلة الرَّفه وقلة التأليف صدر الملة كما نذكر، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك، فاقتصروا على الكتابة في الرق تشريفاً للمكتوبات وميلاً الى الصحة والاتقان، ثم طما بحر التأليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه، وضاق الرّق عن ذلك فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه، واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية، وبلغت الاجادة في صناعته ما شاءت»[4].

ومعنى هذا أن الرق قد استأثر بوجوه النشاط المختلفة، ديوانية وعلمية حتى نشأت صناعة الكاغد، ومع وجود القرطاس الذي شاع في الحياة العلمية وزاحم الرق، فان الرق بقي مستعملاً وبقي هناك من يفضله ويؤثره في الكتابة، وخاصة في الأمور التي لها شأن وخطر، وفي كتابة المصاحف، وكان من عيوب الرق أنه يقبل الغسل والمحو والتزوير إذا حُكَّ أو كُشِطَ، ويبدو أن هناك محاولات حدثت في تزوير الكتب الرسمية، مما حدا بالرشيد أن يصدر أمراً ألا يكتب الناس الا في

(1) ديوان النابغة (ضمن خمسة دواوين) شرح أبي بكر عاصم بن أيوب ص 50 .
(2) ديوان زهير ص 231 .
(3) الزمخشري: الفائق 2/ 150 .
(4) مقدمة ابن خلدون ص 470 ـ 471 .

الكاغد، لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والاعادة، فتقبل التزوير، بخلاف الورق فانه متى محي منه فسد، وان كشط ظهر كشطه[1].

وكانت الكتابة السلطانية منذ العصر الأموي في القراطيس، يقول البلاذري حكاية عن أبي الحسن المدائني: «وأخبرني مشايخ من الكتاب أن دواوين الشام انما كانت في قراطيس من البردي، وكذلك الكتب الى ملوك بني أمية في حمل المال وغير ذلك»[2].

على ان الرق بقي مستعملاً حتى العصر العباسي الى أيام الرشيد حين أشار الفضل بن يحيى البرمكي بصناعة الكاغد في العراق، هذا مع وجود القرطاس واستعماله جنباً الى جنب مع الرقوق، وليس معنى هذا أن الكتابة في الرقوق قد انتهت، انها ربما انتهت في الكتابات الرسمية، ولكنها بقيت في الحياة العامة، من ذلك ان ابن داحة، وكان من أهل النصف الثاني من القرن الثاني معاصراً لأبي عبيدة (توفي سنة 210 هـ) ومن أصحاب مجلسه[3]، كان قد كتب شعر أبي الشمقمق «وإذا هو في جلود كوفية ودفتين طائفيتين بخط عجيب»[4]، ويذكر الجاحظ في رسالة الجد والهزل، وهي إحدى رسائله التي كان يكتبها لمحمد بن عبد الملك الزيات يبين فيها وجوه استعمال الرق كصور العقارات ونموذجات النقوش، يقول: «وعلى الجلود يعتمد في حساب الدواوين وفي الصكاك والعهود وفي الشروط وصور العقارات، وفيها تكون نموذجات النقوش، ومنها تكون الخرائط والبرد . . .»[5]، ويذكر ابن النديم أن الناس أقاموا «ببغداد سنين لا يكتبون الا في الطروس لأن الدواوين نهبت في أيام محمد بن زبيدة، وكانت من جلود، فكانت تمحى ويكتب فيها»[6]. وقد كان الخطاطون الى عصر متأخر يكتبون في الرقوق، لأن الخط يجود في الجلد كما يبدو، ففي القرن السادس يروي ياقوت الحموي عن المبارك الكرخي (المتوفى سنة 585هـ) وقد وصفه بأنه كان «أوحد زمانه في حسن الخط على طريقة علي بن هلال ابن البواب» ويقول: «وكان ضنيناً بخطه جداً، فلذلك قل وجوده، وكان اذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طستاً ويغسله»[7]، والكتابة التي تغسل لا تكون الا في الرقوق.

وكذلك يروي الجاحظ عن اسحاق بن سليمان وكان أمير البصرة في عهد الرشيد، أنه دخل عليه

(1) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 475_476.
(2) البلاذري: فتوح البلدان ص 470.
(3) الجاحظ: الحيوان 3/ 402.
(4) السابق نفسه 1/ 61.
(5) رسائل الجاحظ ص 252_253.
(6) الفهرست ص 52.
(7) معجم الأدباء (ترجمة المبارك الكرخي).

بعد عزله من الامارة: «واذا هو في بيت كتبه وحواليه الأسفاط والرقوق والقماطير والدفاتر والمساطر والمحابر»[1]، ومن هذا النص نتبين أن الكتابة في هذا العصر كانت في الورق والرقوق، وأن الكتابة في الرق استمرت مع وجود الورق الى عصر متأخر. ويبدو أن العلماء كانوا يفضلون كتابة القرآن الكريم وكتابة حديث رسول الله ﷺ في الرقوق، والدليل ان كتابة المصاحف بقيت الى عهد متأخر في الرقوق، أما كتابة الحديث وتفضيل بعض العلماء كتابته في الرقوق اجلالاً للحديث فيبينه الخطيب البغدادي الذي يروي عن أحمد بن بديل الكوفي، فقد بعث إليه المعتز ليأخذ الحديث عنه، حتى اذا دخل عليه واستقر في مجلسه وتهيأ لإملاء الحديث، أخذ الكاتب القرطاس والدواة، فقال له منكراً: «أتكتب حديث رسول الله ﷺ في قرطاس بمداد؟ وسأله الكاتب: فيم يكتب إذن، قال: في رَقٍّ بحبر»، فجاء بالرق والحبر وأخذ في الاملاء[2].

ويلاحظ في هذا النص التفريق بين المداد والحبر، وان كان الشائع أنهما بمعنى واحد، ويبدو أن المداد كان يطلق على نوع من الحبر يناسب القرطاس، والحبر يناسب الرق، وقد ذكر القلقشندي أن الحبر صنفان، صنف يناسب الكاغد وصنف يناسب الرق ويسميه حبر الرأس[3].

ونجد في أخبار العلماء أن الرق بقي مستعملاً في كتابة مؤلفاتهم الى عصر متأخر بعد انتشار البردي والورق، من ذلك ما ذكره ياقوت في حديثه عن أبي الحسن بن عيسى الربعي النحوي المتوفى سنة عشرين وأربعمائة، وقد سرد أسماء كتبه وذكر من بينها كتابه الذي وضعه شرحاً على كتاب سيبويه إذ يقول: «إلا أنه غسله، وذلك إن أحد بني رضوان التاجر نازعه في مسألة فقام مغضباً وأخذ شرح سيبويه وجعله في إجّانة وصب عليه الماء وغسله، وجعل يلطم به الحيطان ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاة»[4]، ويروي ياقوت أيضاً أنه لقي في آمد سنة 593 هـ علي بن الحسن بن عنبر المعروف بالشميم الحلي، وكان شديد المغالاة بنفسه والغض من غيره «لا يقيم لأحد من أهل العلم المتقدمين ولا المتأخرين وزناً»، وقد حاول معارضة مقامات الحريري فأنشأ مقامات كمقاماته ثلاث مرات «ولكنه ما أن يتأملها حتى يستردها فيعمد الى البركة فيغسلها»[5]، وهكذا نجد أن الكتابة في الرقوق استمرت لدى العلماء والأدباء ردحاً من الزمن مع وجود الورق الذي هو أرخص منه، وكذلك وجود القرطاس قبله، وقد كان في الناس من يميل الى الكتابة في الرقوق ويفضل ذلك على الكاغد، ومنهم

(1) الجاحظ: الحيوان 1/ 61.
(2) تاريخ بغداد 4/ 51.
(3) صبح الأعشى 2/ 476.
(4) ياقوت: معجم الأدباء 15/ 79.
(5) ياقوت: معجم الأدباء 16/ 268_269.

من هجر الرق الى الكاغد، ولكل ميوله وأسبابه وحججه، وقد صور الجاحظ هذا الميل وهذه الرغبات في رسالة الجد والهزل التي ساقها الى محمد بن عبد الملك الزيات، ونقد محمد له في استعماله الورق واهماله الجلود، ورده عليه وبيان حجة كل فريق ممن يفضل الورق أو يفضل الجلود، قال:

«جُعِلتُ فداك، ما هذا الاستقصاء، وما هذا البلاء، وما هذا التتبع في المسألة، والتعرض لدقائق المكر، وما هذا التغلغل في كل شيء يحمل ذكري، وما هذا الترقي الى كل ما يحط من قدري، وما عليك أن تكون كتبي كلها من الورق الصيني، ومن الكاغد الخراساني؟ قل لي: لِمَ زيَّنت النسخ في الجلود، ولم حثثتني على الأَدَم، وأنت تعلم أن الجلود جافية الحجم، ثقيلة الوزن، إن أصابها الماء بطَلَت، وإن كان يوم لَثَق استرخت، ولو لم يكن فيها إلا أنها تبغِّض الى أربابها نزول الغيث، وتكرِّه الى مالكيها الحيا، لكان في ذلك ما كفى ومنع منها. وقد علمت أن الورّاق لا يخط في تلك الأيام سطراً، ولا يقطع فيها جلداً، وإن نديت فضلاً عن أن تمطر، وفضلاً عن أن تغرق واسترسلت وامتدت، ومتى جفت لم تعد الى حالها الا مع تقلص شديد وتشنج قبيح، وهي أنتن ريحاً وأكثر ثمناً، وأحمل للغش، يغش الكوفي بالواسطي والواسطي بالبصري، وتعتق لكي يذهب ريحها وينجاب شعرها، وهي أكثر عقداً وعُجَراً، وأكثر خباطاً وأسقاطاً، والصفرة اليها أسرع، وسرعة انسحاق الخط فيها أعم، ولو أراد صاحب علم أن يحمل منها قدر ما يكفيه في سفره لما كفاه حمل بعير، ولو أراد مثل ذلك من القطني لكفاه ما يحمل مع زاده.

وقلت لي: عليك بها فإنها أحمل للحك والتغيير، وأبقى على تعاور العارية، وعلى تقليب الأيدي، ولرديدها ثمن ولطرسها مرجوع، والمعاد منها ينوب عن الجديد، وليس لدفاتر القطني أثمان في السوق، وان كان فيها كل حديث طريف، ولَطَف مليح، وعلم نفيس. ولو عرضت عليهم عِدْلها في عدد الورق جلوداً، ثم كان فيها كل شعر بارد، وكل حديث غث، لكانت أثمن، ولكانوا اليها أسرع.

وقلت: وعلى الجلود يعتمد في حساب الدواوين، وفي الصكاك والعهود، وفي الشروط وصور العقارات، وفيها تكون نموذجات للنقوش، ومنها تكون خرائط البرد، وهن أصلح للجُرُب، ولعِفَاص الجَرَّة، وسِدَاد القارورة. وزعمت أن الأرَضَة إلى الكاغد أسرع، وأنكرت أن تكون الفارة الى الجلود أسرع، بل زعمت أنها إلى الكاغد أسرع، وله أفسد، فكنت سبب المضرة في اتخاذ الجلود والاستبدال بالكاغد، وكنت سبب البلية في تحويل الدفاتر الخفاف في المحمل الى المصاحف التي تثقل الأيدي وتحطم الصدور، وتقوس الظهور، وتعمي الأبصار»[1].

(1) رسائل الجاحظ 1/ 252 ـ 253.

والجاحظ هنا يعرض سيئات الرقوق وحسناتها، كما جاءت على ألسنة أنصارها وخصومها، وفي هذا دلالة على أن الرقوق بقيت مستعملة مع وجود الورق وانتشاره، وأن هناك من الناس من كان يفضل الكتابة في الرقوق وخاصة في الكتابات النفيسة العزيزة كالمصاحف والصكوك والعهود وغيرها. على أن كثرة التأليف وانتشار العلم ووفرة المكاتبات، ما كانت تتيح للرق أن يصمد أمام رخص وخفة ويسر وانتشار الورق، ولذلك كان الورق قد استأثر بفنون الكتابة جميعاً في الشرق الاسلامي كله.

كانت بلاد فارس هي التي اشتهرت بانتاج الرقوق، ومنها كانت ترد الى العراق، ويبدو أن دباغة وصناعة الرقوق قد نشأت في العراق، وخاصة في الكوفة، إذ كانت رقوق الكوفة أجود من غيرها لما فيها من لين، لأنها تدبغ بالتمر، يقول ابن النديم: «وكانت الكتب في جلود دباغ النورة، وهي شديدة الجفاف، ثم كانت الدباغة الكوفية تدبغ بالتمر وفيها لين»[1]. ويفهم من كلام الجاحظ أن هناك صناعة للجلود في البصرة وواسط، ولكنها دون جودة الجلود الكوفية[2].

هذه هي حال الرق في شرق العالم الاسلامي، أما في غربه فقد بقي الرق والقرطاس (البَرْدي) منتشرين في مصر وشمالي أفريقية على الرغم من وجود الورق، فقد بقيت بلاد المغرب تؤثر استعمال الرقوق مع وجود القرطاس لديها، يقول البشاري ـ في أواخر القرن الرابع ـ عن بلاد المغرب: «وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق اللهم إلا ما كان ينبت من البردي في جزيرة صقلية في ذلك الزمان»[3]، مع أن القرطاس كان منتشراً في مصر وبلاد المغرب، وأن الأغالبة صنّعوا القرطاس من نبات البردي الذي كان ينبت في جزيرة صقلية، وهو أشبه ببردي مصر، يقول ابن حوقل عن هذه الصناعة في حديثه عن صقلية: «وفي خلال أراضيها بقاع قد غلب عليه البَرْبِير، وهو البردي المعمول منه الطوامير، ولا يعلم لما بمصر من هذا البربير نظير على وجه الأرض الا ما بصقلية منه، وأكثره يفتل حبالاً لمراسي المراكب، وأقله يعمل للسلطان منه طوامير القراطيس، ولن يزيد على قدر كفايته»[4].

ولهذه المنزلة التي كانت للرق في أفريقية بالغ أهل هذه البلاد في العناية بصنعه، والافتنان في تهذيبه وتزيينه وتجميله، فقد بلغوا شأواً بعيداً في صناعة الرق وصقله وتمحيره وصبغه بألوان مختلفة بين الأخضر ولازوردي وأحمر قان، وبرعوا في تنعيمه وتجميله، مما جعله ينتشر في جميع آفاق المغرب والأندلس والعدوة الإفرنجية، وقد حفلت خزائن جامع عقبة بن نافع في القيروان بنفائس من هذه الرقوق التي تمتاز بالجمال ودقة الصنع وروعة التلوين[5].

(1) الفهرست ص 32. (2) رسائل الجاحظ 1/ 78.

(3) أحسن التقاسيم ص 239 ط ليدن 1877م. (4) ابن حوقل: صورة الأرض ص 117.

(5) انظر حسن حسني عبد الوهاب: البردي والرق والكاغد في أفريقية التونسية، مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الثاني الجزء الأول ص 43.

القِرْطاس (البردي)

ترد في كتابات القدامى، وفي الشعر الجاهلي خاصة عدة ألفاظ تدل على المكتوب وما كتب عليه، من هذه الألفاظ: الصحيفة، الكتاب، الزبور، وينبغي أن نقف عندها قليلاً قبل الكلام على القرطاس.

أ ـ الصحيفة:

وتدل على المكتوب وما يكتب به، ولم تخصص بمادة معينة، فقد تكون جلداً أو قماشاً أو نباتاً أو حجراً أو عظماً أو ورقاً، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي.

فقد جاءت في القرآن الكريم بصيغة الجمع ثماني مرات في قوله تعالى: **﴿رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة﴾**[1]، وقوله تعالى: **﴿إن هذا لفي الصُحُفِ الأولى * صُحُفِ ابراهيمَ وموسى﴾**[2]، وقوله تعالى: **﴿كلاّ إنّها تذكرةٌ * فمن شاء ذكره * في صحفٍ مكرّمة * مرفوعة مطهّرة﴾**[3]، وقوله تعالى: **﴿وقالوا لولا يأتينا بآيةٍ من ربّه أوَلَمْ تأتِهم بيّنةُ ما في الصُحُفِ الأولى﴾**[4]، وقوله تعالى: **﴿أوْلَمْ يُنَبّأْ بما في صُحُفِ موسى﴾**[5]، وقوله تعالى: **﴿بل يريدُ كلُّ امرىءٍ منهم أن يُؤْتَىٰ صُحُفاً مُنَشّرة﴾**[6]، وقوله تعالى: **﴿وإذا الصُحُفُ نشرت﴾**[7].

أما ما جاء من ذكر الصحيفة والصحف في أقوال الرسول والصحابة فكثير جداً يفوت الحصر، ويكفي أن نقرأ في الصحيفة التي وضعها الرسول ﷺ أول الهجرة (بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم)، وقد عرفت بصحيفة الرسول أو الوثيقة. وقد تكررت كلمة الصحيفة فيها سبع مرات بلفظ الإفراد[8].

وقد جاءت (الصُّحُف) في الشعر الجاهلي لتعني العهود والمواثيق، من ذلك قول حسان بن ثابت[9]:

---

(1) سورة البينة 2. (2) سورة الأعلى 18، 19.
(3) سورة عبس 11 ـ 14. (4) سورة طه 133.
(5) سورة النجم 36. (6) سورة المدثر 52.
(7) سورة التكوير 10.
(8) انظر: محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية ص 1 ـ 7، الأسد: مصادر الشعر الجاهلي ص 94.
(9) ديوان حسان مخطوط ورقة 20 مكتبة أحمد الثالث استانبول رقم 2543.

وإنَّ ما بيننا وبينكم   حينَ يُقالُ الأرحامُ والصُّحُفُ

ومثله قول قيس بن الخطيم[1]:

لَمّا بدتْ غُدْوَةً جِباهُهُمُ   حَنَّتْ إلينا الأرحامُ والصُّحُفُ

وأبيات لقيط بن يعمر الإيادي مشهورة إذ قيد بالكتابة على الصحيفة وأنذر قومه[2]:

سلامٌ في الصحيفةِ من لَقِيطٍ   الى مَنْ بالجزيرةِ من إيادِ

ويذكر علباء بن أرقم الدَّيْن الذي ثبّته في صحيفة[3]:

أخذتُ لِدَيْنٍ مطمَئِنٍّ صحيفةً   وخالفتُ فيها كلَّ مَنْ جارَ أو ظَلَمْ

ويسجل أبو ذؤيب الهذلي كيف كان الكاتب الحميري يسجل ديناً على رجل آخر، ويثني عليه[4]:

فنَمْنَمَ في صُحُفٍ كالرِّيا   طِ فيهنَّ إرْثُ كتابٍ مَحِيٌّ

وقد كتبت الأحلاف والمواثيق والعهود في الصحف في الجاهلية، من ذلك حلف خزاعة بين عبدالمطلب بن هاشم جد النبي ﷺ ورجال من خزاعة، وكتب لهم الحلف أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة وعلقوا الكتاب في الكعبة[5]، ومن أشهر هذه العهود والمواثيق صحيفة قريش التي تعاقدوا فيها «على بني هاشم بن عبد المطلب على ألا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم»[6].

ب ـ الكتاب:

أما كلمة (الكتاب) فهي أعم من الصحيفة وتدل على الشيء المكتوب، وقد وردت في القرآن الكريم إحدى وستين ومائتي مرة افراداً وجمعاً[7]، وجاءت في كتب النبي وصحابته كثيراً، وقد مرت بنا الصحيفة التي وضعها الرسول ﷺ أول الهجرة، وقد جاء فيها لفظ (الكتاب) مرتين، والكلمة من

---

(1) ديوان قيس بن الخطيم ص 19. (2) الشعر والشعراء 1/ 152.
(3) الأصمعيات ص 63 ط برلين 1902م. (4) ديوان الهذليين 1/ 64.
(5) ديوان حسان: السابق ورقة 15 ـ 16. (6) ابن هشام: السيرة النبوية 1/ 375 ـ 376.
(7) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص 592 ـ 595.

الكثرة والشيوع في كتب النبي وأخبار الصحابة بها لا يدع مجالاً للاستشهاد على ذلك .

أما في الشعر الجاهلي فقد ورد ذكرها كثيراً في أشعار الجاهليين، من ذلك قول لقيط بن يعمر الايادي[1]:

هذا كتابي إليكم والنذيرُ لـكم ... لِمَنْ رأى رأيَهُ منكم ومن سَمِعَا

وفي شعر سلامة بن جندل[2]:

لِمَنْ طَلَلٌ مثلُ الكتابِ المنمَّقِ ... خَلا عَهْدُهُ بين الصُّلَيْبِ فمُطْرَقِ

وقول زهير[3]:

يؤخَّر فيوضع في كتاب فيدَّخر ... ليومِ الحسابِ أو يعجَّلْ فيُنْقَمِ

وقول عبيد بن الأبرص[4]:

لِمَنْ الدارُ أقفرتْ بالجَنَابِ ... غيرَ نُؤيٍ ودِمْنَةٍ كالكِتَابِ

وفي شعر عدي بن زيد بن العبادي[5]:

تعرفُ أمسِ من لَمِيسَ الطَّلَلْ ... مثلَ الكتابِ الدارسِ الأحْوَلْ

وقوله أيضاً[6]:

ناشَدْتَنا بكتابِ اللهِ حُرْمَتَنَا ... ولم تكُنْ بكتابِ اللهِ تَرْتَفِعُ

وقول تميم بن أُبَيّ بن مقبل[7]:

منهنَّ معروفُ آياتِ الكتابِ وقد ... تعتادُ تكذبُ ليلى ما تُمَنِّينَا

---

(1) مختارات ابن الشجري ص 7 .
(2) ديوان سلامة بن جندل ص 15 .
(3) ديوان زهير ص 18 .
(4) مختارات ابن الشجري ص 105 .
(5) الأغاني 2/ 153 .
(6) شعراء النصرانية ص 472 .
(7) جهرة أشعار العرب ص 318 .

ج ـ الزَّبُور:

وأما كلمة (الزَّبُور) فقد جاءت في الشعر الجاهلي بمعنى الكتاب الديني، وقد تطلق الكلمة على غيره من الكتب أيضاً، وقد استعملها الشعراء بالمعنيين، فمن المعنى الديني قول أمية بن أبي الصلت[1]:

وأبرزُوا بصعيدٍ مُسْتَوٍ جُرُزٍ ... وأُنْزِلَ العَرْشُ والميزانُ والزُّبُرُ

وقول امرىء القيس[2]:

أَتَتْ حِجَجٌ بعدي عليها فأصبحتْ ... كخَطِّ زَبُورٍ في مصاحفِ رُهْبَانِ

وقول عمرو بن أحمر[3]:

أم لا تَزَالُ تُرَجِّي عِيْشَةً أُنُفاً ... لم تَرْجَ قبلُ ولم يُكْتَبْ بها زُبُرُ

ومن المعنى الثاني الذي يراد بالكلمة مطلق الكتاب قول لبيد[4]:

وجلا السيولُ عن الطُّلولِ كأنَّها ... زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَها أقلامُها

وقوله أيضا[5]:

فنعَافِ صارةَ فالقَنَانِ كأنَّها ... زُبُرٌ يُرَجِّعُهَا وليدُ يَمَانِ

وقول امرىء القيس[6]:

لمن طَلَلٌ أبصَرْتُهُ فشَجَاني ... كخَطِّ زَبُورٍ في عسيب يماني

واستعمل أبو ذؤيب الهذلي كلمة الزبور فعلاً هو (يزبر) بمعنى يكتب في قوله[7]:

عرفتُ الديارَ كرَقْمِ الدَّوَا ... ةِ يَزْبُرُهَا الكاتبُ الحميري

---

(1) ديوان أمية بن أبي الصلت ص . . . .
(2) ديوانه ص 125 .
(3) جمهرة أشعار العرب ص 315 ، أنف : أي مستأنفة .
(4) ديوان لبيد ص 299 .
(5) ديوانه ص 138 .
(6) ديوان امرىء القيس ص 85 ط ابي الفضل ابراهيم .
(7) ديوان الهذليين 1/ 64 .

وجاءت كلمة الزبور في القرآن الكريم تسع مرات وكلها بمعنى الكتاب الديني، وجاءت في موضعين خاصة بكتاب داود، في قوله تعالى: **﴿وآتينا داودَ زَبُوراً﴾**[1]، وجاءت في الآيات الأخرى بمعنى الكتاب الديني في قوله تعالى: **﴿وإنَّهُ لَفي زُبُرِ الأولين﴾**[2]، وقوله تعالى: **﴿ولقد كتبنا في الزَّبُورِ من بعدِ الذِّكْرِ أنَّ الأرض يرثُها عباديَ الصالحون﴾**[3]، وقوله تعالى: **﴿أكفارُكُمْ خَيْرٌ من أولئكم أم لكم براءةٌ في الزُّبُر﴾**[4]، وقوله تعالى: **﴿وكلُّ شيءٍ فعلوه في الزُّبر﴾**[5]، وقوله تعالى: **﴿بالبيِّناتِ والزُّبُر﴾**[6]، وقوله تعالى: **﴿فإن كذَّبوكَ فقد كُذِّبَ رُسُلٌ من قبلك جاؤوا بالبيِّناتِ والزُّبُرِ والكتابِ المنيرِ﴾**[7]. ولكن كلمة (الزبور) ومشتقاتها لم تشع ويكثر استعمالها بعد الاسلام شيوع واستعمال الكتاب والصحيفة.

ونعود لنقف عند القرطاس والبردي الذي كان وسيلة الكتابة والتدوين لفترة طويلة.

البَرْدي:

عرف العرب البردي منذ العصر الجاهلي باسم (القرطاس) وهي كلمة يونانية (CHARTES) ومعناها ما يكتب فيه، ويقابلها في العربية ورق وصحيفة[8]، وجاء ت كلمة القرطاس في شعر طرفة ابن العبد في معلقته يصف ناقته ويشبه خدها بالقرطاس الشامي[9]:

وخَدٍ كقِرْطَاسِ الشآمي ومِشْفَرِ … كسِبْتِ اليماني قَدُّهُ لم يُجَرَّدِ

ونسب القرطاس الى الشام لأنه كان منتشراً هناك، ويأخذه الروم من مصر.

إن كلمة قرطاس وجمعها قراطيس قد أطلقت على ورق البردي، وقد عرف المصريون القدماء البردي وصنعوا منه أوراق الكتابة، يقول ابن النديم: «وكتب أهل مصر في القرطاس المصري، ويعمل من قصب البردي»[10]، وهو «كاغد أبيض يقال له القراطيس» كما يقول ابن البيطار[11] وكانت هذه

(1) سورة الاسراء 55، والنساء 163. (2) سورة الشعراء 196.
(3) سورة الأنبياء 105. (4) سورة القمر 43.
(5) سورة القمر 52. (6) سورة النحل 44.
(7) سورة آل عمران 184.
(8) دوزي: تكملة المعاجم العربية 2/ 331، القس طوبيا العنيسي: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية ص 55.
(9) ديوان طرفة بن العبد ص 19 ـ 20.
(10) الفهرست ص 21.
(11) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية 1/ 86.

القراطيس أحسن ما كتب فيه، كما يقول السيوطي[1]، وقد سمى البيروني قصب البردي: «الريش الذي يعمل منه القراطيس»[2]. وتنسب بعض المصادر الاسلامية صناعة البردي الى النبي يوسف، قيل: «إنه أول من عمل القراطيس»[3].

كانت أوراق البردي تصنع على هيئة لفائف يبلغ طول الواحدة منها ثلاثين ذراعاً وأكثر في عرض شبر، ويقول ابن المدبِّر عن صنع هذه اللفائف: «ولم أر شيئاً في الصاقها ألطف من أن ينقع الصمغ العربي في الماء ساعة حتى يذوب، ثم يلصق به، وكذلك ماء الكثير أو النشاستج[4]، ثم تطويه طياً رقيقاً وتجعله في منديل نظيف، ويوضع تحت وسادة حتى يجف»[5]، وقد وصف ألفرد بتلر كيفية صناعة أوراق البردي فقال: «كان في مصر السفلى عدد عظيم من غياض فسيحة تنبت البردي، ذلك النبات الطويل الحسن، وكان الورق يتخذ من لبابه، يشق شرائح تجعل منها صحائف بالضغط، ثم تصقل بآلة من العاج، وكانت الصحائف بعد ذلك يوصل بعضها ببعض فتكون لفائف يسهل استعمالها، وكانت مقادير عظيمة من البردي تصدر من مصر من مرسى الاسكندرية المزدحمة، ولسنا ندري متى ضعف أمر هذه التجارة، ولا الأسباب التي أدت الى القضاء على هذا النبات في مصر»[6].

وكانت مصر تمد سائر الأقطار بأوراق البردي، ومنها تنقل الى بلاد الروم والى غيرها من الجهات[7]، وكان قيام الدولة الأموية في الشام قد أتاح للقرطاس أن يأخذ طريقه الى الديوان وتكتب فيه الكتب السلطانية، فقد كانت الشام قديمة العهد بالقرطاس لصلتها بالدولة البيزنطية ووقوعها على الطريق التجاري الذي يحمل القراطيس من مصر الى بلاد الروم.

ووصف السيوطي البردي المصري بقوله: «إن من خصائص مصر القراطيس، وهي الطوامير، وهي أحسن ما كتب فيه، وهو حشيش أرض مصر، ويعمل طوله ثلاثون ذراعاً وأكثر في عرض شبر»[8] وقد وصفت قراطيس مصر بالجودة واللين، وذكرها الشعراء من ذلك قول أحدهم[9]:

حملت إليك عروسَ الثناءِ … على هودجٍ ما لـه من بعيرِ

على هودجٍ من قراطيس مصـ … ـرَ يلينُ على الطيِّ لينَ الحريرِ

(1) السيوطي: حسن المحاضرة 2/ 32. (2) تاريخ الهند ص 294.
(3) ابن قتيبة: المعارف ص 241، ابن النديم: الفهرست 1/ 21، السيوطي: حسن المحاضرة 2/ 230.
(4) الكثير: طلع النخل. النشاستج: هو النشا، فارسي معرب حذف شطره تخفيفاً.
(5) ابن المدبر: الرسالة العذراء ص 27 ـ 28.
(6) فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد ص 95.
(7) البلاذري: فتوح البلدان ص 240 ط ليدن 1866م.
(8) حسن المحاضرة 2/ 173.
(9) الثعالبي: ثمار القلوب ص 421.

ولم تكن مصر وحدها تنتج ورق البردي، بل كانت هناك جزيرة صقلية التي ينبت فيها نبات البردي، ولكنه لم يكن مستغلاً في الصناعة بشكل كبير، يقول ابن حوقل في القرن الرابع الهجري في ذكر جزيرة صقلية: «وفي خلال أراضيها بقاع قد غلب عليها البربير، وهو البردي المعمول منه الطوامير، ولا أعلم لما بمصر من هذا البربير نظيراً على وجه الأرض، إلا ما بصقلية منه، وأكثره يفتل حبالاً لمراسي المراكب، وأقله يعمل للسلطان منه طوامير القراطيس، ولن يزيد على قلة كفايته»(1).

أما في الاسلام، فقد عرف المسلمون القرطاس وجاء ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس﴾(2)، وقوله تعالى: ﴿تجعلونه في قراطيس تبدونها﴾(3) قيل: أي طوامير، وعدَّ بعض اللغويين كلمة القرطاس من الألفاظ الدخيلة، قال الجواليقي: «والقُرطاس (بضم القاف وكسرها) قد تكلموا به قديماً، ويقال إن أصله غير عربي»(4)، وقد نقل الصولي كثيراً من الأقوال القديمة الواردة في القرطاس(5)، وقد مر بنا آنفاً أن الكلمة يونانية.

ومنذ عهد أبي بكر عرف المسلمون القراطيس، ويبدو أنها كانت تأتيهم من بلاد الشام قبل فتح مصر، وقيل إن أبا بكر جمع القرآن في قراطيس، وكان سأل زيد بن ثابت في ذلك فأبى، حتى استعان بعمر، ففعل(6)، وذكر السجستاني كذلك حديثاً في جمع القرآن في قراطيس(7).

وكان بعض الصحابة يكتب في القراطيس منذ زمن مبكر، من ذلك إن خالد بن الوليد كتب كتاب الأمان لأهل الشام في سنة 635م (25هـ) في القرطاس، وكان عمرو بن العاص في زمن عمر ابن الخطاب يكتب في القراطيس، جاء في كتاب قصة البهنساة: «فاستدعى عمرو بن العاص رضي الله عنه بدواة وقرطاس، وكتب كتاباً لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب . . . »(8).

وقد مر بنا في فصل الخط في صدر الاسلام بردية سنة 22هـ في زمن عمر بن الخطاب التي كتبها أحد أمراء عمرو بن العاص ووجدت في حفائر أهنس بمصر (ينظر لوح 20).

(1) صورة الأرض 1/ 122 ـ 123 ط ليدن 1938م، وص 117 ط بيروت.
(2) سورة الأنعام 7.
(3) سورة الأنعام 91.
(4) المعرب ص 276، والخفاجي: شفاء الغليل ص 180.
(5) الصولي: أدب الكتاب ص 105 ـ 106، وقد أطلق المسلمون كلمة القرطاس على ورق البردي وكذلك أطلقوا عليه اسم الطومار وجمعها طوامير، أطلقوها على قطع منه فصارت اسماً له، وكلمة الطومار كثيرة التداول في المصادر العربية، ويسمي ابن النديم ورق البردي: القرطاس المصري والطومار المصري (القاموس واللسان: قرطس).
(6) السيوطي: الاتقان
(7) المصاحف ص 9.
(8) محمد بن محمد المعز، قصة البهناسة وما فيها من العجائب والغرائب ص 18.

أما في العصر الأموي فقد كثر استعمال القرطاس، وأصبحت أكثر مكاتبات الأمويين على البردي والقباطي(1)، وقد نقل محمد بن عمر المدائني أن الخلفاء منذ عهد معاوية لم تزل تستعمل القراطيس امتيازاً على غيرها(2)، وكذلك نقل البلاذري عن أبي الحسن المدائني قوله: «أخبرني مشايخ من الكتاب أن دواوين الشام إنما كانت في قراطيس من البردي، وكذلك الكتب الى ملوك بني أمية في حمل المال وغير ذلك(3). وقيل إن أول من كتب من الخلفاء في الطوامير هو الوليد بن عبد الملك، وأمر أن تعظم كتبه ويجلل الخط الذي يكاتب به، وكان يقول: «تكون كتبي والكتب اليّ خلاف كتب الناس بعضهم الى بعض»(4)، ومعنى هذا أن القرطاس كان مستعملاً منذ أول العصر الأموي وأن الوليد أمر أن تكون المكاتبات منه وإليه بالقطع الكبير من القرطاس، وليس في جزازات كما كان شأن الكتابة الى الخلفاء قبله، ويفسر القلقشندي ذلك بقوله: «إن كلامه لا يؤدي صورة الطومار القرطاسي، المراد بالطومار الكامل من مقادير قطع الورق أصل عمله، وهو المعبر عنه في زماننا بالفرخة»(5)، ولما جاء عمر بن عبد العزيز الذي عرف بالزهد والتقشف وايثار القصد، فقد أنكر ما كان من هذا الاسراف في القرطاس وأمر «كتابه بجمع الخط كراهية استعمال الطوامير، فكانت كتبه إنما هي شبر أو نحوه»(6)، وقد رأى عمر أن الولاة يسرفون في استعمال القراطيس فأمرهم بالاقتصاد، من ذلك أن عمر حين ولي الخلافة وجد كتاباً كان والي المدينة أبو بكر محمد بن عمر بن حزم قد وجه به الى سلفه سليمان بن عبدالملك يسأله فيه أن يبعث اليه بقدر من القراطيس لحاجة الديوان اليها، فكتب عمر إليه جواباً على كتابه هذا، يقول فيه: «أما بعد فقد قرأت كتابك الى سليمان تذكر أنه قد يجري على من كان قبلك من أمراء المدينة من القراطيس لحوائج المسلمين كذا وكذا، فابتليت بجوابك فيه، فإذا جاءك كتابي هذا فأرقّ القلم، واجمع الخط، واجمع الحوائج الكثيرة في الصحيفة الواحدة، فإنه لا حاجة للمسلمين في فضل قول أضر بيت مالهم، والسلام عليك»(7).

وأصبحت هذه القراطيس في العصر الأموي تثبت في الدواوين وتحفظ على شكل أوراق، ثم جعلت في دفاتر، يقول الثعالبي: «وكان سبيل ما يكتب (يثبت) في الدواوين أن يكتب (يثبت) في صحف، فكان خالد أول من جعله في دفاتر»(8).

(1) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي 1/ 259.
(2) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 49.
(3) البلاذري: فتوح البلدان ص 470 ط مصر 1901م.
(4) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص 47.
(5) صبح الأعشى 3/ 49.
(6) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص 57.
(7) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز ص 64.
(8) الثعالبي: لطائف المعارف ص 20.

وكـذلك استعمل خالـد الختم في الصكوك ، قـال اليعقوبي : «وأمـره أن يكتب لهم صكاكـاً في قراطيس ، ثم يختم أسافلها ، فكان أول من صك وختم أسفل الصكاك»[1] .

وكانت قراطيس البردي هي مادة الكتابة التي شاعت في العصر الأموي والفترة الأولى من العصر العباسي ، وقد تيسر البردي في هذا العصر ورخص ثمنه وكثر تـداوله ، ويذكر الجهشياري أن الطومار في أيام أبي جعفر المنصور (توفي سنة 158هـ) كان يباع بدرهم[2]، وقد كثرت قراطيس البردي في خزانة المنصور، حتى أنه أمر أن يتخلص منه بثمن بخس، قـال الجهشياري : «إن الخليفة أبا جعفر المنصور وقف على كثـرة القراطيس في خـزائنه ، فـدعـا بصالح صاحب المصلى ، فقـال له : إني أمرت بـإخراج حاصل القـراطيس من خزائننـا ، فوجـدته شيئـاً كثيراً جداً ،فتـول بيعه ، وإن لم تعطَ بكل طـومار إلا دانقاً ، فإن تحصيل ثمنه أصلح منـه ، قال صالح : وكان الطومـار في ذلك الوقت بدرهـم . . . »[3]، ثم فكر المنصور وتخوف من انقطـاع القراطيس ، فأمر أن يدعها على حالها ، قـال صالح : «فانصرفت من حضرتـه على هذا ، فلما كـان الغـد دعاني ، فـدخلت عليه فقـال لي : فكـرت في كتبنا وإنما جـرت في القراطيس ، وليس يـؤمن حادث بمصر فتنقطع القراطيس عنا بسببـه ، فنحتاج أن نكتب فيما لم نعوده عمالنا ، فدع القراطيس استظهاراً على حالها»[4] .

إن انتشار قراطيس البردي جعلهـا تجاوز استخدامها في كتب الخلفاء ودواوين الـدولة الى الحياة العامـة ، فصار الناس يكتبـون بها كتبهم ومراسلاتهم ، وصـار طلبة العلم وصبيان المكـاتب يتعلمون ويكتبون بها ، ومن دلائل ذلك أن المنصور حين فكر في بيع القراطيس إنما يعني أنه يبيعه للناس خارج نطاق الدوائر الديوانية ، ومن ذلك أيضاً أن أبا نـواس عبر عن حاجته الى القرطاس لكتاباته الخاصة ، فقد قال في ذلك[5] :

أريـدُ قِطْعـةَ قِـرطـاسٍ فتعجـزني ... وجُلُّ صحبي أصحـابُ القـراطيسِ
لحاهُـمُ اللهُ مـن ودٍّ ومعـرفـةٍ ... إنَّ الميـاسيرَ منهـم كـالمفـاليسِ

(1) تاريخ اليعقوبي ص 177 ط ليدن 1883م .
(2) الوزراء والكتاب ص 138 .
(3) الجهشياري : الـوزراء والكتاب ص 138 ، وانظر كـوركيس عواد، الورق ص 414 ، وكان طـول الطومار ثـلاثين ذراعاً وأكثر في عرض شبر. والدانق : سدس الدرهم .
(4) الجهشياري : السابق ص 138 .
(5) ديوان أبي نواس ص 604 .

وجاء في شعـره أيضاً ما يدل على أن القـرطاس من أدوات الصبيان التي يستعملـونها في حياتهم التعليمية وحاجاتهم الكتابية ، فأضاف القرطاس الى الوليد (قرطاس الوليد) في قوله[1] :

واحتازها لونٌ جرى من جلدِها ... يَقَقٌ كقرطـاسِ الولـيـد هجانِ

وقـد بلغ من كثـرة القـراطيس وانتشـارهـا أن صار لها حـي في الكرخ ببغـداد يعـرف بـ (درب القراطيس) أو (درب أصحاب القراطيس) ، ذكره الأدباء والمؤرخون القدماء[2]، وحقاً إن هذه المصادر لم تبين هل كانت القراطيس تصنع في هذا الدرب أم كانت تبـاع فيه وحسب، وقد جاء السمعاني بعد ذلك في القرن السـادس (توفي سنـة 562هـ) فأوضح في مـادة (القراطيس) أن «هـذه النسبة الى عمل القراطيس وبيعها»[3]، وقد ذكر السمعاني رجالاً ممن عـرف بهذه النسبة وأغلبهم من بغداد أو ممن قدم اليها ، وقـد تكون نسبتهم جاءت من سكناهم درب القـراطيس ، أو من صنعهم أو بيعهم القراطيس ذاتها ، وأورد الخطيب البغـدادي (المتـوفى سنـة 463هـ) تـراجم سبعـة رجـال عـرف كل منهم بـ (القراطيسي)[4] .

إن انتشار البردي وتيسره للناس لا يعني أن كل الناس كانـوا يستطيعون اقتناءه والكتابة فيه ، فما زال بعض الناس يكتب في الألواح والعظام لضيق ذات اليد ، فينقل عن الإمام الشافعي أنه كان يتردد على المسجد في صباه ويجالس العلماء ، ولكنه لم يكن يجد ما يشتري به البردي الذي يكتب فيه ما يتلقاه عنهم ، يقـول : «لما ختمت القرآن دخلت المسجـد فكنت أجالس العلماء ، وكنت أسمع الحديث أو المسألة فأحفظها ، ولم يكن عند أمي ما تعطيني أشتري به قراطيس ، فكنت إذا رأيت عظماً يلوح آخذه وأكتب فيـه ، فإذا امتلأ طـرحته في جـرة كانت لنـا قديماً»[5]، وكـذلك كان ابن جـريج (المتوفى سنـة 150هـ) يكتب في الألواح ، قال : «أتيت نافعاً فطرح جونته وأملى عليّ في ألواحي»[6] .

ومن وجوه قلة ذات اليد هذه أن بعضاً من الكتّـاب كانوا يعتذرون الى من يكتبون إليهم في عدم الإطالة أو رداءة الخط بسبـب ضيق القرطاس أو قلته أو عدم نقـاوته ، فقد ذكر محمـد بن عبد المعطي الاسحاقي بعضاً من اعتذارات الكتّاب في ذلك من مثل قولهم :

(1) ديوانه ص 404 .
(2) الجاحظ : المحـاسـن والأضـداد ص 336 ــ 337 ط ليـدن 1898م ، الطبري : تـاريخ الطبري 8/ 544 ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد 9/ 86 .
(3) الأنساب وجه الورقة 445 ط مرجليوث ليدن 1912م .
(4) تاريخ بغداد 2/ 91 ,4/ 430 ، 11/ 233 ، 12/ 3 ، 151 ، 13/ 45 .
(5) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله 1/ 98 ، ابن أبي حاتم : آداب الشافعي ومناقبه ص 24 ـ 25 .
(6) الرامهرمزي : المحدث الفاصل ص 152 .

«إعذرني يا سيدي في القرطاس فلم يحضر نقي . . .
«واعذرني في القرطاس فأنا في ضيق من القراطيس . .
«أول المسألة أعزك الله التفضل بقبول العذر في القرطاس»[1].

أماكن صناعة القرطاس:

كانت مصر مصدر القرطاس، ففيها يصنع ويصدر الى سائر الأقطار، وكانت القراطيس تنتقل من مصر الى بلاد الروم وإلى غيرها من الجهات[2]، وقد رأينا أن القرطاس صار يعمل في بغداد، وصار له حي اسمه درب القراطيس، وفي أيام المعتصم انتقلت صناعة القراطيس الى مدينة سامراء، يقول اليعقوبي (أواخر المائة الثالثة للهجرة): إن المعتصم حين ابتنى مدينة سامراء أقدم جماعات من أرباب المهن والصنائع لتعمر بهم مدينته، ومن جملتهم أنه «حمل قوماً من أرض مصر يعملون القراطيس، فعملوها فلم يأت في تلك الجودة»[3]. وقد ظلت قراطيس مصر هي الأكثر والأجود، فبلاد مصر هي أصل صناعة القراطيس، وقد شهرت بعض مدنها بهذه الصناعة منها: بنها، وبوصير، وسمنود، ودهقلة، وكورتها التي يعمل فيها القرطاس والطومار الذي يحمل إلى أقاصي بلدان الاسلام[4]، وفي كتاب البلدان[5] أسماء بلدان أخرى تعمل بها القراطيس، منها: وسمة، وبورة، وهي حصن على ساحل البحر من عمل دمياط تعمل بها الثياب والقراطيس، ومدينة اخنو وهي في الجانب الغربي شمالي الدلتا دلتا النيل عند رشيد، وقد ذكر عنها أنها يقال لها (وسيمة).

وكان هناك بردي صقلية الذي استغل الأمراء الأغالبة صناعته والانتفاع به، وحصروا استعماله في مكاتيب الحكومة وطوامير الدولة، وكذلك اتبع الخلفاء الفاطميون سياسة سلفهم في احتكار استعمال البردي الصقلي، ولهذا السبب لم يكن له أثر كبير في المظهر العلمي الأفريقي أو غيره من الأمصار، واستعيض عنه بالرق.

وظل الرق مستعملاً في المناطق التي لم يكن يثبت فيها البردي، كالمغرب التي بقي فيها استعمال الرق الى ما بعد القرن الرابع حتى وصول الورق، ولذلك يسجل المقدسي في سنة 375هـ أن المغاربة

(1) الاسحاقي: لطائف الأخبار في من تشرف في مصر من أرباب الدول، مخطوط، عن كروهمان: بحوث في الخطوط الاسلامية والتاريخ الحضاري 1/ 74.
(2) البلاذري: فتوح البلدان ص 240 ط ليدن.
(3) تاريخ اليعقوبي 2/ 577 ط هوتسمان، ليدن 1883م، وكتاب البلدان ص 264 ط ليدن 1892.
(4) ابن ذولاق: كتاب فضائل مصر، عن محمود رمزي: القاموس الجغرافي ط القاهرة 1958م.
(5) اليعقوبي ص 264.

كانت: «كل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق»[1].

أما في مصر فقد ظل البردي هو المادة التي يكتب فيها لفترة طويلة، ففي النصف الأول من القرن الثالث كان لا يزال يجلب من مصر[2]، وعلى الرغم من محاولة المعتصم صناعة البردي في سامراء الا أنه: «لم يخرج منه الا الخشن الذي يتكسر»[3]، وظل البردي يصنع في مصر حتى أواخر القرن الثالث، فقد ذكر اليعقوبي أن القراطيس كانت لا تزال تصنع في مدينة بورة وهي حصن على ساحل البحر من عمل دمياط، وفي مدينة اخنو التي يقال لها وسيمة، وتقع على ساحل البحر في الجانب الغربي من شمال الدلتا عند رشيد[4].

ويبدو أن دخول الورق وانتشاره في مصر قد قضى على القرطاس وصناعته، ويمكن أن نحدد انتهاء صناعةورق البردي في مصر في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، يقول آدم متز: «إن الورق البردي المؤرخ ينتهي عام 323هـ (935م) انتهاء تاماً، على حين أن الوثائق المكتوبة على الكاغد يبدأ تاريخها منذ عام 300هـ (912م)»[5]، وهناك من الدلائل التي تشير الى قرب انتهاء عهد القراطيس في مصر ودخول الورق كمنافس شديد، ما حكاه ياقوت في سياق ترجمته لابن حنزابة، جعفر بن الفرات وزير الاخشيديين في مصر، إذ يقول: «كان يعمل للوزير أبي الفضل الكاغد بسمرقند ويحمل إليه في مصر كل سنة، وكان في خزائنه عدة من الوراقين»[6]، وقد وزر ابن حنزابة للأخشيديين سنة 334 ـ 349، وقد انتهت دولة الاخشيديين سنة 357هـ.

وبانتشار صناعة الورق وتيسره تطوى صفحة البردي ويحل محلها ما كان يعرف بالكاغد، ويحسن بنا قبل أن نختتم الحديث عن القرطاس أن نذكر صورته في الشعر:

يقول أبو نواس يصف فتى من فتيان الديوان قد نشرالطومار بين يديه[7]:

إنَّ الذي تيَّمني حُبُّه ... أمردُ من نشءِ الدواوينِ
قد نشَرَ الطُّومَارَ في حجرِهِ ... مبتدِئاً بالياءِ والسينِ

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم ص 239.
(2) الجاحظ: التبصر بالتجارة ص 27.
(3) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ص 253.
(4) كتاب البلدان ص 92.
(5) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع، الترجمة العربية 2/ 268 ـ 269.
(6) ياقوت: معجم الأدباء 7/ 176.
(7) ديوان أبي نواس ص 353.

وقد مر بنا أنه أعرب عن حاجته الى قطعة قرطاس وليس هو من أصحاب القراطيس[1]:

أُريـدُ قِطْعـةَ قِـرْطَـاسٍ فتعجـزني   وجُلُّ صحبيَ أصحـابُ القـراطيس
لحاهُـمُ اللهُ من ودٍّ ومعـــرفـــةٍ   إنَّ المياسيرَ منهـم كـالمفـاليسِ

ويذكر أبو نواس أيضاً أدوات الصبيان التي يستعملونها في الكتابة ومنها قرطاس الوليد[2]:

واحتازَها لونٌ جَرى من جلدِها   يَقَقٌ كقرطاسِ الوليدِ هِجَانِ

ويذكر أبو تمام القرطاس في سياق ذكر القلم وهو يمدح محمد بن عبد الملك الزيات[3]:

إذا استغزرَ الذهن الجلي وأقبلتْ   أعاليه في القرطاسِ وهي أسافلُ

أما أبو بكر محمد بن يحيى الصولي فيذكر القرطاس في سياق مدحه لأبي القاسم الوزير[4]:

ينظمُ دُرّاً في قراطيسهِ   أفْدِي أبا العبَّاسِ من ناظمِ

الورق (الكاغَد):

المعروف في التاريخ أن أهل الصين هم أول من عرف صناعة الورق، وكان التجار العرب يستوردون (الورق الصيني)، وكانت صلتهم ببلاد الشرق الأقصى قديمة. وعرف العرب الورق بلفظ (الكاغَد) بفتح الغين، والكلمة فارسية[5] من أصل صيني، وورد بلفظ (الكاغد والكاغذ) بالدال والذال المعجمة في المراجع العربية القديمة، وقد رأى العرب في الورق أو الكاغد مادة خفيفة لينة سهلة الحمل والنقل لا تتطلب حيزاً كبيراً، فأكثروا منه اكثاراً عظيماً، جعل من الكتب أضعافاً مضاعفة[6]، ففضلوه على الرَّق والبردي.

(1) ديوان أبي نواس ص 604.
(2) ديوانه ص 404، والصولي: أدب الكتاب ص 106.
(3) ديوان أبي تمام ص 194.
(4) الصولي: أدب الكتاب ص 47.
(5) آدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة ص 136.
(6) كوركيس عواد: الورق أو الكاغد صناعته في العصور الاسلامية، مجلة المجمع العلمي العربي م 23 نيسان 1948 ص 417، وانظر: طه الحاجري: الورق والوراقة في الحضارة الاسلامية، مجلة المجمع العلمي العراقي م 13 سنة 1966 ص 63 ـ 88، وقد أفدنا من هذين البحثين.

وترجع صلة العرب بالورق الصيني وصناعته في البلاد الاسلامية الى فتح سمرقند سنة 87هـ، وعرفت سمرقند بصناعة الورق الصيني الجيد، قال الثعالبي (المتوفى سنة 429هـ) يذكر سمرقند ويصف ورقها: «كواغد سمرقند هي من خصائصها التي عطلت قراطيس مصر، والجلود التي كان الأوائل يكتبون بها، لأنها أنعم وأحسن وأرفق، ولا تكون إلا بسمرقند والصين»، ويذكر سبب صنعه في سمرقند: «أنه وقع من الصين الى سمرقند في سبي سباه زياد بن صالح في وقعة أطلح، من يصنع الكواغيد، ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة، حتى صارت متجراً لأهل سمرقند، فعمّ خيرها والارتفاق بها جميع البلدان والآفاق»[1]، وكانت هذه الواقعة التي جرت بين العرب بقيادة زياد بن صالح وبين أمراء الأتراك وحلفائهم الصينيين على ضفاف نهر طراز في سنة 134هـ، وكان في هؤلاء الأسرى الصينيين من يحسن صناعة الورق، فاستخدمهم العرب في صناعة الورق في سمرقند، ويعزز هذه الرواية أيضاً قول القزويني (المتوفى سنة 682هـ): «وبسمرقند من الأشياء الظريفة تنقل الى سائر البلاد منها الكاغد السمرقندي الذي لا يوجد مثله الا بالصين، وحكى صاحب المسالك والممالك أنه دفع من الصين الى سمرقند سبي، وكان فيهم من يعرف صنعة الكاغد، فاتخذها، ثم كثرت حتى صارت متجراً لأهل سمرقند، فمنها تحمل الى سائر البلاد»[2]، وقد أطرت كتب التراث كثيراً الكاغد السمرقندي، وضرب بجودته الأمثال، من ذلك قول النويري ذاكراً سمرقند: «ومن خصائصها: الكواغيد التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون عليها، لأنها أحسن وأنعم وأرفق وأرق، ولا تكون إلا بها وبالصين»[3]، وكذلك فعل ابن الوردي (المتوفى سنة749هـ)[4]، والخوارزمي[5]، والسمعاني[6]، وياقوت الحموي[7]، وغيرهم من المؤلفين المسلمين الذين وجدوا في هذا الورق غاية الجودة والاتقان.

لم تذكر المصادر معلومات وافية عن كيفية صنع الورق والمواد المستعملة فيه بشكل واف، وكذلك الأمر بالنسبة للصناعات الأخرى، اللهم إلا اشارات وتلميحات سريعة، وكان الورق يصنع من القطن ومواد نباتية أخرى، وقد تدخل في صناعته الحرير، وإن اختلاف المواد الأولية الداخلة في صناعة الورق تؤدي إلى ظهور جملة أنواع منه تختلف في ثخانتها ومتانتها وصقلها ولونها ولينها، يقول

(1) الثعالبي: ثمار القلوب ص 431 ـ 432، وانظر: الثعالبي: لطائف المعارف ص 126، والبيروني: تاريخ الهند ص 81.
(2) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ص 360 ط وستنفيلد، غوتنجن 1848م.
(3) النويري: نهاية الارب 1/ 354.
(4) خريدة العجائب ص 231.
(5) رسائل الخوارزمي ص 25.
(6) الأنساب الورقة 472.
(7) معجم الأدباء 2/ 412.

القلقشندي في صفة الورق الجيد: «وأحسن الورق ما كان ناصع البياض غرفاً صقيلاً، متناسب الأطراف، صبوراً على مرور الزمان»[1]. وقد عرفت عدة أنواع من الورق تبعاً لصناعته ونوع المواد الداخلة فيه، ذكر ذلك ابن النديم في قوله: «فأما الورق الخراساني فيعمل من الكتان، ويقال إنه حدث في أيام بني أمية، وقيل في الدولة العباسية، وقيل إنه قديم، وقيل إنه حديث، وقيل إن صنّاعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني، فأما أنواعه: فالسليماني، والطلحي، والنوحي، والفرعوني، والجعفري، والطاهري»[2]، وهذه الأصناف من الورق منسوبة الى الولاة والأمراء الذين صنعت في عهدهم، أو أمروا بصناعتها.

1 ـ فأما الورق السليماني فمنسوب الى سليمان بن راشد الذي كان والياً على خراسان في أيام هارون الرشيد[3].

2 ـ والورق الطلحي منسوب الى طلحة بن طاهر ثاني أمراء الدولة الطاهرية في خراسان، وقد حكم من سنة 207 الى سنة 213هـ.

3 ـ والورق النوحي منسوب الى نوح الساماني، أحد أمراء الدولة السامانية التي حكمت في تركستان وفارس[4].

4 ـ والورق الفرعوني، وهو ضرب آخر نافس ورق البردي في مصر، وأقدم النصوص العربية التي عثر عليها مدونة في هذا الورق يرجع عهدها الى سنة 180 ـ 200هـ[5]، وبقي استعمال هذا الورق بعد ذلك زمناً طويلاً، فقد ورد في ترجمة الرئيس ابن سينا (المتوفى سنة 428هـ) قول تلميذ له: «. . . وأمرني الشيخ باحضار البياض (أي الورق) وقطع أجزاء منه، فشددت خمسة أجزاء، كل واحد منها عشرة أوراق بالربع الفرعوني»[6].

5 ـ والورق الجعفري: نسبة الى جعفر البرمكي الذي قتل في نكبة البرامكة سنة 187هـ.

6 ـ والورق الطاهري: وينسب الى طاهر الثاني من أمراء الدولة الطاهرية في خراسان، وكان

(1) صبح الأعشى 2/ 476.
(2) ابن النديم: الفهرست ص 21 ط ليبسك.
(3) تاريخ الطبري 3/ 740.
(4) هناك اثنان باسم نوح الساماني الأول حكم من سنة 331 الى سنة 343 هـ، والثاني حكم من سنة 366 الى سنة 387 هـ، ولا يدري أيهما المراد.
(5) دائرة المعارف الاسلامية، مادة (كاغد).
(6) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء 2/ 8.

حكمه من سنة 230 الى سنة 248هـ.

وهناك أنواع أخرى من الورق ذكرتها الكتب، من ذلك:

الورق الجيهاني: الذي ينسب الى جيهان إحدى مدن خراسان[1].

والورق المأموني: الذي ينسب الى الخليفة المأمون العباسي الذي حكم من سنة 198 الى سنة 218هـ[2].

والكاغد المنصوري: قال السمعاني: «وممن عرف بالكاغذي أبو الفضل منصور بن نصر بن عبد الرحيم الكاغذي، من أهل سمرقند، وإليه ينسب الكاغذ المنصوري المشهور ببلاد خراسان، توفي سنة 423هـ بسمرقند»[3]، واشتهر هذا الورق المنصوري في كثير من الأقطار الاسلامية، وكان يصنع في عدة أماكن منها العراق ومصر.

وهناك إشارة الى ورق منصوري آخر قبل هذا العهد بحوالي قرن، ولم يعرف لمن نسب، فقد روي أن الوزير أبا الحسن بن الفرات (المتوفى سنة 213هـ) كان من رسمه في أيام وزارته ألا يخرج أحد من داره في وقت عشاء، «إلا ومعه شمعة ودرج منصوري»[4]، والدرج المنصوري كان طبقة تلف لفاً، وتستعمل لكتابة الرسائل وما إليها[5]. وهناك أنواع أخرى أقل شهرة وردت هنا وهناك[6].

ومن أنواع الورق الأخرى ما ذكره هلال بن المحسّن الصابىء (المتوفى سنة 448هـ) في الفصل الذي عنوانه (الطروس التي يكتب فيها الى الخلفاء وعنهم) قوله: «الذي جرت به العادة القديمة في الكتب السلطانية، أن تكون في القراطيس المصرية العريضة، فلما انقطع حملها وتعذر وجودها، عدل الى الكاغد الشيطاني العريض، هذا في كتب العهود والولايات والألقاب، وما يكتب به الى أصحاب الأطراف وما يكتبون به، فأما ما يجري من الخليفة مجرى التوقيع من وزيره المقيم بحضرته مجرى المطالعة، فالمستحب فيه الكاغد النصفي»[7].

وقد مر بنا في ترجمة ابن مقلة وابن البواب، كيف أن ابن البواب وجد مصحفاً لابن مقلة في

(1) ياقوت: معجم البلدان 2/ 95.
(2) ياقوت: معجم الأدباء 6/ 285.
(3) الأنساب وجه الورقة 472.
(4) الصابىء: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ص 63.
(5) ياقوت: معجم الأدباء 1/ 342.
(6) انظر كوركيس عواد: السابق ص 424.
(7) الصابىء: رسوم دار الخلافة ص 178 من المخطوط.

خزانة بهاء الدولة وكان ينقص جزءاً فأكمله، وكان ابن البواب ينتقي من الخزانة أنواعاً من الورق، قال: «. . . ودخلت الخزانة أقلب الكاغد العتيق وما يشابه كاغد المصحف، وكان فيها من أنواع الكاغد السمرقندي والصيني العتيق كل ظريف عجيب، فأخذت من الكاغد ما وافقني، وكتبت الجزء وذهبته وعتقت ذهبه . . . فلما كان يوم قلت: يا مولانا، في الخزانة بياض صيني وعتيق ومقطوع وصحيح، فتعطيني المقطوع منه كله دون الصحيح بالخلعة والدنانير، قال: مر خذه، فمضيت وأخذت جميع ما كان فيها من ذلك النوع، فكتبت فيه سنين»[1].

أحجام الورق:

تظهر في ألفاظ الأقدمين مقادير مستعملة في حجم الورقة التي يكتب بها، ويرد الطومار على أنه الورقة الكاملة، وهو المعبر عنه بـ (الفرخة)، وكان الطومار يقسم عند الكتابة حسب الغرض المراد، وحسب قيمة من يكتب إليه، وتختلف التسميات باختلاف البلدان التي تصنعه، وننقل هنا ما قاله القلقشندي في هذا، قال: «قد ذكر محمد بن عمران المدائني في كتاب القلم والدواة[2] أن الخلفاء لم تزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية بن أبي سفيان، وذاك أنه يُكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار، والى الأمراء من نصف طومار، والى العمال والكتاب من ثلث، والى التجار وأشباههم من ربع، والى الحُسَّاب والمسَّاح من سدس، فهذه مقادير لقطع الورق القديم، وهي الثلثان والنصف والثلث والربع والسدس ثم المراد بالطومار الورقة الكاملة، وهي المعبر عنها في زماننا بالفرخة، والظاهر أنه أراد القطع البغدادي، لأنه الذي يحتمل هذه المقادير، بخلاف الشامي، ولا سيما وبغداد إذ ذاك دار الخلافة فلا يحسن أن يقدر بغير ورقها مع اشتماله على كمال المحاسن»[3].

وقد بيّن القلقشندي أيضاً مقادير الورق المستعمل بديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية في زمانه، وهو القرن التاسع، وهي تسعة مقادير[4]:

1 ـ قطع البغدادي الكامل: عرض دَرْجه عرض البغدادي بكماله: وهو ذراع واحد بذراع القماش المصري، وطول كل وصل من الدرج المذكور ذراع ونصف بالذراع المذكور.

2 ـ قطع البغدادي الناقص: عرض دَرْجه دون عرض البغدادي الكامل بأربعة أصابع مطبوقة.

(1) ياقوت: معجم الأدباء 5/ 446 ـ 448.
(2) هذا الكتاب من الكتب المفقودة التي لم تصل الينا.
(3) القلقشندي: صبح الأعشى 6/ 189.
(4) صبح الأعشى 6/ 190 ـ 193، وضوء الصبح المسفر 1/ 413 ـ 415.

3 ـ قطع الثلثين من الورق المصري: المراد به ثلثا الطومار من كامل المنصوري، وعرض درجه ثلثا ذراع.

4 ـ قطع النصف: المراد به قطع النصف من الطومار المنصوري، وعرض درجه نصف ذراع.

5 ـ قطع الثلث: والمراد به ثلث قطع المنصوري، وعرض درجه ثلث ذراع.

6 ـ القطع المعروف بالمنصوري: عرضه تقدير ربع ذراع.

7 ـ القطع الصغير: ويقال فيه قطع العادة، وعرض درجه تقدير سدس ذراع.

8 ـ قطع الشامي الكامل: عرض درجه عرض الطومار الشامي في طوله.

9 ـ القطع الصغير: وهو في عرض ثلاثة أصابع مطبوقة من الورق المعروف بورق الطير، وهو صنف من الورق الشامي رقيق للغاية، وفيه تكتب ملطفات الكتب وبطائق الحمام.

أما في بلاد الشام، فكانت مقادير الورق المستعملة بديوان الانشاء على أربعة مقادير من الورق الشامي.

1 ـ قطع الشامي الكامل: وهو الذي يكون عرضه عرض الطومار الشامي الكامل في طوله.

2 ـ عرض نصف الحموي: عرض درجه عرض نصف الطومار الحموي، وطوله بطول الطومار.

3 ـ قطع العادة من الشامي: وعرض درجه سدس ذراع في طول الطومار أو دونه.

4 ـ قطع ورق الطير المقدم ذكره.

أماكن صناعة الورق:

كانت صناعة الورق في سمرقند، وبقيت كذلك فترة من الزمن، ثم انتشرت صناعته في الأقطار الاسلامية، وانتقلت الى العراق والشام ومصر والمغرب والأندلس وبلاد فارس، وهذا أمر طبيعي، فإن اتساع البلاد وازدهار الحضارة وكثرة التأليف يستوجب ذلك، والى ذلك يشير ابن خلدون في فصل (صناعة الوراقة)، قال: «كانت السجلات أولاً لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد، لكثرة الرَّفَه وقلة التأليف صدر الملة، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك فاقتصروا على الكتابة في الرق تشريفاً للمكتوبات وميلاً بها الى الصحة والاتقان، ثم طما بحر التأليف والتدوين، وكثر ترسيل السلطان وصكوكه، وضاق الرق عن ذلك، فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد، وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه، واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية، وبلغت الإجادة في صناعته ما شاءت»[1].

(1) مقدمة ابن خلدون ص 206.

دخلت صناعة الورق الى بغداد في نهاية القرن الثاني، ويرجع الفضل في ذلك الى الفضل بن يحيى البرمكي وزير الرشيد الذي أنشأ أول معمل لصنع الورق في بغداد، في الربع الأخير من القرن الثاني الهجري (توفي الفضل سنة 193 هـ)، وقد انتشر الورق في بغداد وحل محل الرَّق في دواوين الدولة، وكان جعفر بن يحيى الذي أعقب الفضل بن يحيى في الوزارة هو الذي أحل الورق محل الرق في دواوين الدولة، ويذكر القلقشندي أن الرشيد هو الذي أمر الناس أن يكتبوا في الورق دون الرق، قال: «أجمع رأي الصحابة رضي الله عنهم، على كتابة القرآن في الرق لطول بقائه، أو لأنه الموجود عندهم حينئذٍ، وبقي الناس على ذلك الى أن ولي الرشيد الخلافة[1]، وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس، أمر ألا يكتب الناس إلا في الكاغد، لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق، فإنه متى مُحي فسد، وإن كشط ظهر كشطه، وانتشرت الكتابة في الورق الى سائر الأقطار، وتعاطاها من قرب وبعد، واستمر الناس على ذلك الى الآن»[2].

وقد كثرت صناعة الورق في بغداد وكثرت المعامل التي تصنعه والحوانيت التي تبيعه، وفي الكتب إشارات الى محال صنع الورق، من ذلك ما ذكر الصولي أن في ذي القعدة من سنة 332 هـ: «وقع بالكرخ حريق عظيم من حد طاق التكك الى السماكين، وعطف على أصحاب الكاغد وأصحاب النعال»[3]، وذكر ياقوت أن ببغداد محلة كبيرة هي (دار القز) في طرف الصحراء بينها وبين البلد نحو فرسخ، وكل ما حولها قد خرب، ولم يبق إلا أربع محال متصلة: دار القز، والعتابين، والنصرية، وشهار سوك، والباقي تلول قائمة، وفيها يعمل اليوم الكاغد[4]، وتحدث ياقوت أيضاً عن (جهار سوج)[5]، فقال: «من محال بغداد، في قبلة الحربية خرب ما حولها من المحال، وبقيت هي والنصرية والعتابيون ودار القز متصلة بعضها ببعض، كالمدينة المفردة في آخر خراب بغداد، يعمل في هذه المحال في أيامنا الكاغد»[6].

وكان الورق البغدادي جيداً من أحسن أنواع الورق، وصفه القلقشندي (المتوفى سنة 821 هـ) بأنه: «ورق ثخين مع ليونة ورقّة حاشية وتناسب أجزاء، وقطعه وافر جداً، ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة، وربما استعمله كتاب الإنشاء في مكاتبات القانات ونحوها»[7].

(1) ولي الرشيد الخلافة من سنة 170 الى سنة 193 هـ.
(2) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 475_476.
(3) الصولي: كتاب الأوراق أخبار الراضي بالله والمتقي بالله ص260.
(4) ياقوت: معجم البلدان: دار القز.
(5) مر قبلها: (شهار سوك) وكلاهما واحد.
(6) ياقوت: معجم البلدان: جهار سوج.
(7) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 476.

وقد كثر الورق في بغداد، وكان بعض الموسرين ييسره للناس إما هدايا للضيوف أو يعرض مجاناً لذوي الحاجة والمتظلمين، ففي خبر الوزير أبي الحسن ابن الفرات قال ابن الطقطقي: «وتولى ابن الفرات الوزارة ثلاث دفعات للمقتدر، قالوا: كان إذا ولي ابن الفرات يغلو الشمع والثلج والكاغد لكثرة استعماله لذلك، لأنه ما كان يشرب أحد، كائناً من كان، في داره في الفصول الثلاثة إلا الماء المثلوج، ولا كان أحد يخرج من عنده بعد المغرب إلا وبين يديه شمعة كبيرة نقية، صغيراً كان أو كبيراً، وكان في داره حجرة معروفة بدار الكاغد، كل من دخل واحتاج إلى شيء من الكاغد أخذ حاجته منها»[1]، وقال هلال الصابىء عن دار ابن الفرات: «وفي جانب الدار أدراج كثيرة لأصحاب الحوائج والمتظلمين، حتى لا يلتزم أحد منهم مؤونة لما يبتاعه من ذلك، وأنصاف قراطيس وأثلاث»[2]، والمراد بالقراطيس هنا الورق.

وقد انتقلت صناعة الورق من العراق الى الشام، فأنشئت فيها معالم وخاصة في طرابلس، وقد كان ورقها جيداً، حتى أن الرحالة ناصر خسرو عند زيارته سنة 438 هـ أثنى عليه وفضّله على ورق سمرقند، قال: إن أهل هذه المدينة «يصنعون بها الورق الجميل مثل ورق سمرقند، بل أحسن منه»[3].

وكذلك اشتهرت دمشق بصناعة الورق، وأطرى المؤرخون محاسنه، قال أبو البقاء البدري (من القرن التاسع الهجري): «وفيها تعمل صناعة القرطاس[4] بحسن صقاله ونقي أوصاله»[5]، وقد انتشر الورق في الشام وراجت صناعته، وكانت أوربة الشرقية تبتاع ورقها من بلاد الشام، وعرف اسم الورق الدمشقي عندهم باسم (CHARTA D'AMASCENA)[6]، وعرفت مدن أخرى في الشام بصناعة الورق منها مدينة حلب ومدينة طبرية ومدينة حماة ومنبج[7]، ووصف القلقشندي الورق الشامي بعد كلامه على الورق البغدادي فقال: «ودونه في الرتبة الشامي، وهو على نوعين: نوع يعرف بالحموي، وهو دون قطع البغدادي، ونوع دونه في القدر، وهو المعروف بالشامي، وقطعه دون القطع الحموي»[8].

(1) الفخري ص 312.
(2) الصابىء: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ص 195.
(3) ناصر خسرو: سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب ص 13.
(4) المراد بالقرطاس هنا: الكاغد.
(5) البدري: نزهة الأنام في محاسن الشام ص 363.
(6) محمد كرد علي: الاسلام والحضارة العربية 1/ 215.
(7) كرد علي: خطط الشام 4/ 242_244.
(8) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 476.

أما في مصر فقد انتشرت صناعة الورق في فترة متأخرة في عدة مدن منها: الفسطاط، والقاهرة، ولكن صناعته في الفسطاط أكثر وأجود، وذلك ما يفهم من كلام المقريزي (المتوفى سنة 845 هـ) في كلامه على خطة بني رية بن عمرو بالفسطاط: «إن في هذا الموضع اليوم وراقات، يعمل فيها الورق» [1]، ويقول في الورق المنصوري: «والمصانع التي يصنع فيها الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة»[2]، وأشار إلى موضع يصنع ويباع فيه الورق اسمه (خان الوراقة)[3].

وكما وصف القلقشندي الورق العراقي والورق الشامي، فكذلك وصف الورق المصري، قال بعد أن ذكر العراقي والشامي: «ودونهما في الرتبة الورق المصري، وهو أيضاً على قطعين: القطع المنصوري وقطع العادة، والمنصوري أكبر قطعاً، وقلّما يصقل وجهاه جميعاً، أما العادة فإن فيه ما يصقل وجهاه، ويسمى في عرف الوراقين المصلوح، وغيره عندهم على رتبتين: عال ووسط، وفيه صنف يعرف بالفوّى صغير القطع، خشن غليظ خفيف الغرف، ولا ينتفع به في الكتابة، يتخذ للحلوى والعطر ونحو ذلك»[4].

وانتقلت صناعة الورق من المشرق الى المغرب، وصارت له صناعة في مراكش وجزيرة صقلية والأندلس، ومن هذه البلدان انتقل الى بلاد الإفرنج الأخرى، فقد أنشأ العرب في جزيرة صقلية مصانع لصنع الورق، ومنها انتشرت صناعة الورق في إيطالية[5] واشتهرت مدينة شاطبة في الأندلس وهي مدينة كبيرة شرقي قرطبة، وقد أطرى الإدريسي كاغدها فقال: «ويعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير»[6]، وقال ياقوت: «ويعمل الكاغد الجيد فيها ويحمل منها الى سائر بلاد الأندلس»[7]، واشتهر الورق المنصوري في الأندلس، وهو الورق الذي كان يصنع في بغداد[8].

وقد ذكر القلقشندي الورق في بلاد الغرب والفرنجة فلم يرض عنه، وقال: إنه رديء، فبعد أن وصف ورق العراق والشام ومصر قال: «ودون ذلك ورق أهل الغرب والفرنجة، فهو رديء جداً، سريع البلي، قليل المكث، ولذلك يكتبون المصاحف غالباً في الرق على العادة الأولى، لطول البقاء»[9].

(1) المقريزي: خطط المقريزي (المواعظ والاعتبار) 2/ 77.
(2) المقريزي: خطط 2/ 189.
(3) المقريزي: السابق 3/ 37.
(4) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 476 ـ 477.
(5) كرد علي: الاسلام والحضارة العربية 1/ 263، كوركيس عواد: الورق والكاغد ص 432.
(6) الادريسي: مختصر نزهة المشتاق ص 168.
(7) معجم البلدان 3/ 235.
(8) المقري: نفح الطيب 1/ 694.
(9) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 477.

أما في بلاد فارس فقد كان المؤمل أن تنتقل صناعة الورق من سمرقند الى بلاد فارس وقد حصل غير هذا فلم تزدهر صناعة الورق في بلاد فارس بل انتقلت إلى العراق والشام، ويبدو أن الفرس لم يهتموا بهذه الصناعة إلا في فترة متأخرة، وقد عرفت بلدة (خونج) ـ التي تسمى (خونا) أيضاً ـ بجودة ورقها، ويقول فيها ياقوت إنها تسمى الآن (في أوائل القرن السابع للهجرة): «كاغد كنان» أي صنّاع الكاغد، وهذه البلدة على مسيرة يومين من زنجان[1].

آداب صناعة الورق:

ومما يلحق بصناعة الورق الآداب المتبعة في صناعته وبيعه، وقد حفظ ابن الحاج (المتوفى في القاهرة سنة 737 هـ) طرفاً من هذه الآداب، وخصص فصلاً من كتابه المدخل عنوانه (نِيّة الوراق وكيفية تحسينها)[2]، جاء فيه:

«ينبغي للوراق أن يحذر من الغش فيما هو يحاوله، مثاله: أن يعطى الدست الذي يساوي ثلاثة دراهم فيبيعه على أنه من الدست الذي يساوي أربعة، لأن الورق في ذلك يختلف ثمنه بسبب صفته، فقد يكون زائداً في البياض وفي الصقال، ويكون مما عمل في الصيف، وآخر عكسه، أعني فيه سمرة ونقص في الصقال أو البياضة، وعمل في الشتاء، وما بين ذلك، وإذا كان كذلك فيتعين عليه أن يبين حتى يخرج ببيانه من الغش، فإن لم يفعل دخل بكتمانه تحت عموم قوله عليه الصلاة والسلام: من غشنا فليس منا»[3].

وقال في تجنب الاطلاع على عورات العاملين في صناعة الورق عند الشراء: «وليحذر عند شرائه الورق من الوراقة[4] أن يكون في وقت يعلم أنه يكشف فيه على عورات من يعمل فيها من الصناع، إذ أن أكثرهم يجعلون في أوساطهم خرقة تصف العورة لصغرها وانحصارها على العورة وابتلالها بالماء، والفخذ عن آخره مكشوف، فإن دخل والحالة هذه فهي معصية . . . فيحتاج لهذا المعنى أن يتحرى وقتاً يكونون فيه سالمين مما ذكر»[5]. وحذر بائع الورق من الغش بأن يخلط الورق الخفيف بالجيد، قال: «وليحذر (أي بائع الورق) من أن يخلط الورق الخفيف بالورق الجيد الذي يصلح للنسخ، لأن ذلك تدليس على المشتري، لأن الخفيف لا يحمل الكشط لخفته، بل يكون ذلك عنده بمعزل، فإذا علم أن المشتري ممن ينسخ فيه، فأعطاه مما يوافقه منه، وإن علم أنه ممن يكتب فيه الرسائل وما أشبهها مما يجوز، أعطاه من الورق الخفيف بعد أن يبين له ذلك»[6].

(1) ياقوت: معجم البلدان 2/ 500 ط وستنفيلد.
(2) ابن الحاج: المدخل 4/ 79، 83.
(3) ابن الحاج: المدخل 4/ 81.
(4) أي معمل الورق.
(5) السابق والصفحة.
(6) السابق 4/ 81 ـ 82.

وتدخل في صناعة الورق إعادة عمل الورق المكتوب، وإدخاله ضمن العجينة المعدة للصنع وقد يكون في هذا الورق كتابات قرآنية أو شرعية، ولذلك يوصي الوراق أن يعرف المكتوب قبل إعادة صناعته، قال: «أن لا يعمل شيئاً من الورق المكتوب، إلا بعد أن يعرف ما فيه لأنه قد يكون فيه شيء له حرمة شرعية، بل هو الغالب . . . فيجتنب ذلك كله لحرمته وتعظيمه في الشرع الشريف، لأن الصناع يدوسون ذلك بأرجلهم وغيرها، وهذا من أعظم ما يكون من الامتهان»(1).

القلم

القلم قصبة تقط وتقلّم وتبرى، وقد يتخذ القلم من السعف أو الغاب، وقد يستعملون ريش الطيور للكتابة، كل ذلك يغمس في المداد ويكتب به، وجمع القلم أقلام وقِلام، وجمع أقلام أقاليم، أنشد ابن الأعرابي(1):

كأنَّني حينَ آتيها لتُخبِرَني ... وما تُبَيِّنُ لي شيئا بتكليم

صحيفةٌ كُتِبَتْ سِرًّا الى رجلٍ ... لم يَدْرِ ما خُطَّ فيها بالأقاليم

ومنذ العصور القديمة قبل الإسلام وحتى عصر قريب كانت الكتابة بقلم القصب، وحتى مع استحداث أقلام الحبر وريشة المعدن وغيرها، ظل قلم القصب صالحاً للكتابة، وبخاصة في الخط، فالخطاطون ما زالوا يخطون بالقصب أجمل خطوطهم، والقصب يصلح للكتابة على كل أداة سواء ما كان منها خشناً غليظاً كالحجارة والخشب والنحاس، أو كان ناعماً ليناً كالقرطاس والمهرق والأديم والورق، وكانوا يكتبون به على كل شيء حتى النعال وعلى الأكف، ففي صدر الإسلام، روى معمر: أن الزهري ربما كتب الحديث في ظهر نعله مخافة أن يفوته(2)، ونقل عبدالله بن حنش عمن يكتبون الحديث قال: «رأيتهم يكتبون على أكفهم بالقصب عند البراء»(3).

وقد ورد ذكر القلم في القرآن الكريم ثلاث مرات، مرتين بصيغة المفرد ومرة بصيغة الجمع، قال تعالى: ﴿اقرأ باسم ربِّكَ الذي خَلَق * خَلَقَ الإنسانَ من علقٍ * اقرأ وربُّكَ الأكرمُ * الذي علَّم بالقلمِ * علَّم الانسانَ ما لم يعلم﴾(4)، وقال تعالى مقسماً بالقلم في سورة تحمل اسم القلم: ﴿ن والقلمِ

(1) اللسان: قلم. وكانت الأقلام عند السومريين العراقيين القدماء تتخذ من الحديد ومن الخشب ليضغط بها على الطين لرسم الحروف المسمارية، ومنها ما يكتب به من الرأسين، وكتب المصريون القدماء بأقلام الحديد على الحجارة ونقشوا الصور، وكتبوا بقلم القصب المعروف بـ (البوص) على البردي.

(2) البغدادي: تقييد العلم ص 107.

(3) السابق ص 105.

(4) سورة العلق 1 ـ 5.

وما يَسْطُرون * ما أنتَ بنعمةِ ربِّك بمجنونٍ﴾(1)، وقال تعالى: ﴿ولو أنَّ ما في الأرضِ من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يَمُدُّهُ من بعدهِ سبعةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كلماتُ اللهِ إنَّ اللهَ عزيزٌ حكيمٌ﴾(2).

أما في الشعر الجاهلي فقد جاء ذكر القلم كثيراً، من ذلك قول الزبرقان بن بدر(3):

هم يَهلِكونَ ويبقَىٰ بعدَ ما صَنَعُوا ... كأنَّ آثارَهُمْ خُطَّتْ بأقلامِ

وقول عدي بن زيد(4):

ما تبين العينُ من آياتِها ... غيرَ نُؤْيٍ مثلَ خطٍّ بالقَلَمْ

وقوله أيضاً يصف النعام(5):

له عُنُقٌ مثلُ جِذعِ السَّحُو ... قِ والأُذْنُ مُصْعَنَّةٌ كالقلمْ

ويرد ذكر القلم مرتبطاً بالكتابة والخط والمداد والكاتب، من ذلك قول لبيد يصف كاتباً(6):

متعَوِّدٌ لَحِنٌ يُعيدُ بكَفِّهِ ... قَلَماً على عُسُبٍ ذَبلْنَ وبَانِ

وقول المرقش الأكبر(7):

الدارُ قَفْرٌ والرُّسُومُ كما ... رَقَّشَ في ظَهْرِ الأديمِ قَلَمْ

وقول لبيد(8):

وجلا السيولُ عن الطُّلُولِ كأنَّها ... زُبُرٌ تُجِدُّ متونَها أقلامُها

ويقول أمية بن أبي الصلت يمدح بني إياد(9):

قومٌ لهم ساحةُ العراقِ إذا ... ساروا جميعاً والقِطُّ والقلمُ

وجاءت جملة أسماء أطلقت على القلم منها (المِزْبَر)، فقد رُوي أن أبا بكر رضي الله عنه دعا في مرضه بدواة ومزبر، فكتب اسم الخليفة بعده(10)، قال الزمخشري: المزبر هو القلم، وأنشد الأصمعي:

(1) سورة القلم 1 ـ 2.

(2) سورة لقمان 27.

(3) البيان والتبيين 3/ 179.

(4) الأغاني 2/ 119.

(5) سمط اللآلي ص 876.

(6) ديوان لبيد ص 138.

(7) المفضليات ص 237.

(8) ديوان لبيد ص 299.

(9) ابن هشام: السيرة النبوية 1/ 48. والقط: الكتاب والصك.

(10) الزمخشري: الفائق 1/ 522، واللسان: زبر.

قـد قُـضِـيَ الأمْـرُ وجَـفَّ المِزْبَـرُ

وسمي القلم مزبراً: «أخـذاً له من قولهم زبرت الكتاب إذا اتقنت كتـابته، ومنه سميت الكتب زبرا»[1] وكـذلك جاءت الكلمة بمعنى الكتب في القـرآن الكـريم في قـوله تعـالى: ﴿**وإنّه لفي زُبُرِ الأولين**﴾[2]، وبهذا المعنى جاءت (الزبر) في شعر لبيد[3]:

فنَـعَافِ صارةَ فالقَنَانِ كـأنَّها   زُبُرٌ يُرَجِّـعُـها ولِـيـدُ يَمَـانِ

وسمي القلم يـراعاً، واليراع: القصب، واحـدته يـراعة، والقلم يتخـذ من القصب[4] وسمي القلم قلماً لأنه مأخوذ من شجر القلّام، واستعمل العـرب أقلامهم من لب الجريد ثم استعملوا أقلام القصب.

مقاسات الأقلام:

كان الكتّاب القـدماء يقدرون قياس عرض الأقلام (أي قطتهـا) بشعر البِرْذَون، وأنهم لم يضعوا للقلم الجليل (الجليّ) مقاساً لأنه أكبر أنـواع الأقلام، إذ كانوا يكتبون به على أبواب المسـاجد والمعابد والجدران، وكان الكاتـب به لا يكتب إلا واقفاً، لذلك قـالوا: القلم الطوماري عرضـه 24 شعرة من شعـر البرذون، وقلم مختصر الطـومار عـرضـه 18 شعـرة وبين 24 شعرة أي بين قلم الطـومـار وقلم الثلثين. وقلم الثلث عرضه 8 شعرات وقلم الثلثين عرضـه 16 شعرة وقلم النصف عرضه 12 شعرة، واتفقوا على أن طول ألفات الكتابة في كل قلم بمقدار ربع عرضه[5].

ولأن جمال الخط يعتمـد على القلم لذلك أطلقـوا اسم القلم على الخط، فقالـوا: قلم الثلث، وقلم النسخ، وقلم الـديـواني، وهكذا. والقلم في اصطـلاح الـدواوين: قسم من أقسـام الديـوان، يقال: قلم الكتاب، وقلم المحضرين، وقلم المستخدمين، وهكذا[6].

(1) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 434.
(2) سورة الشعراء 196.
(3) ديوان لبيد ص 138، وكذلك بيته السابق (زبر تجد متون أقلامها) ديوانه ص 299.
(4) اللسان: يرع.
(5) الكردي: تاريخ الخط العربي ص 96.
(6) المعجم الوسيط: قلم.

بري الأقلام:

يُبرىٰ القلم برياً وأنواعه متفاوتة بين الـدقة والغلظ، وقد ذكر ابن النديم أن الأمم تختلف في بري أقلامهـا، فبري العبراني في غايـة التحريف، وبري السريـاني محرفة الى اليسـار وربما كان الى اليمين، وربما قلبوا القلـم على ظهره، وربما شقـوا قصبته وبروا ذلـك النصف وسموه صُلْباً وكتبوا بـه، وبري الرومي محرف الى اليمين شـديد التحـريف، لأنه يكتب بـه من اليسار الى اليمين، وبـري الفارسي أن يكـون سن قلمه مشعثـاً حتى يحسن بـه الخط، وربما كتبوا بأسفل قصبـة غير مبريـة، ويسمون هـذا الأنبوب خاما (خامه)، وأهل الصين يكتبون بالشعر (الفرشاة) ويجعلونه في رؤوس الأنابيب كما يعمل المصورون، والعرب تكتب بسائر الأقلام والبرايات، والمعمول على التحريف الأيمن، والكتاب يقطون القلم غير محرف[1].

قال المقر العـلائي: جودة البراية نصف الخط، ومعرفة قطتـه النصف الآخر، فإن لكل نوع من الخط قطة مخصـوصة، قـال اسحاق بن حماد: لا حـذق لغير مميز لصنـوف البراية، وقـال ابن مقلة: ملاك الخط حسن البراية.

ويحكى أن الضحـاك بن عجلان كـان إذا أراد أن يبري قلماً توارى بحيث لا يـراه أحد ويقـول: الخط كلـه القلم، وكـان الأنصاري إذا أراد أن يبري فعل ذلك، فـإذا أراد أن يقوم من الـديـوان قطع رؤوس الأقلام حتى لا يراها أحد[2].

أنواع الأقلام:

لقد بين علي بن الأزهـر أنواع الأقلام وصفاتها في رسـالة بعث بها الى صديق يطلب منه أقـلاماً، يقول فيها[3]:

«الأقلام الصحرية[4] أسرع من الكـواغـد، وأمـر في الجلـود، كما أن البحـريـة منهـا أسلس في القـراطيس، وألين في المعـاطف، وأشـد لتصريف الخط فيهـا»، ويقـول في الأقـلام الجيـدة هي:

(1) الفهرست ص...
(2) القلقشندي: **صبح الأعشى** 2/ 440، الكردي: تاريخ الخط العربي ص 426.
(3) ابن عبد ربه: **العقد الفريد** 4/ 199 ـ 200، القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 441، ونسبها الصولي: أدب الكتاب 69 ـ 70 الى عبد الله بن طاهر أرسلها الى اسحاق بن ابراهيم والى بغداد في القرن الثالث الهجري.
(4) في صبح الأعشى: الصحـرية، وفي أدب الكتـاب: القصبية، ونثبت هنـا رواية العقـد الفريـد. والصحريـة: نسبة الى الصحرة، وهو جوبة تنجاب وسط الحرة، وتكون أرضاً لينة تطيف بها حجارة.

«الشديدة المحص[1] الصلبة المعض، النقية الخدود، القليلة الشحوم، المكتنزة اللحوم، الضيقة الأجواف، الرزينة المحمل، فإنها أبقى على الكتابة، وأبعد عن الجفاء، الرقاق القضبان، المقومات المتون، الملس المعاقد، الصافية القشور، الطويلة الأنابيب، البعيدة ما بين الكعوب، الكريمة الجواهر، المعتدلة القوام، المستحكمة يبساً وهي قائمة على أصولها، لم تعجل عن إبَّان يَنَعِها، ولم تؤخر الى الأوقات المخوفة عليها من خَصَر الشتاء، وعفن الأنداء»[2].

صفة القلم عند ابن مقلة:

لقد برع الوزير ابن مقلة في بري القلم ونحته وشقه، كما برع في الخط، وجاءت أقواله في هذه الصناعة دستوراً للكاتبين، ندون هنا بعضاً من أقواله ورسائله، وقد حفظ القلقشندي آراء ابن مقلة في القلم[3] من ذلك قوله:

«خير الأقلام ما استحكم نضجه في جرمه، ونشف ماؤه في قشره، وقطع بعد إلقاء بزره، وبعد أن اصفرّ لِحَاؤه، ورقّ شجره، وصلب شحمه، وثقل حجمه».

وقال ابن مقلة في طول الأقلام وغلظها:

«خير الأقلام ما كان طوله في ستة عشر إصبعاً الى اثني عشر، وامتلاؤه ما بين غلظ السبابة الى الخنصر، وهذا وصف جامع لسائر أنواع الأقلام على اختلافها».

وقال: «أحسن قدود القلم ألا يتجاوز به الشبر بأكثر من جلفته».

وقال المقر العلائي ابن فضل الله: «رأيت بخط أبي علي بن مقلة رحمه الله: نِعْم ملاك الخط حسن البراية، ومن أحسنها سهل عليه الخط، ولا يقتصر على علم فن منها دون فن، فإنه يتعين على من تعاطى هذه الصناعة أن يحفظ كل فن منها على مذهبه من زيادة في التحريف، ومن النقصان منه، ومن اختلاف طبقاته، ومن وعى قلبه كثرة أجناس قط الأقلام كان مقتدراً على الخط، ولا يتعلم ذلك إلا عاقل، والقلم للكاتب كالسيف للشجاع».

وقال ابن مقلة في صفة القلم ومقداره من الطول والتقعير: «ويجب أن يكون في القلم الصلب أكثر تقعيراً، وفي الرخو أقل، وفي المعتدل بينهما، وصفته أن تبتدىء بنزولك بالسكين على الاستواء،

(1) في أدب الكتاب: المجس. والمحص: قوة الخلق مع ضمور.
(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد 4/ 199 ـ 200.
(3) صبح الأعشى 2/ 454 ـ 465.

ثم تميل الى القطع الى ما يلي رأس القلم، ويكون طول الفتحة مقدار عقدة الابهام، أو كمناقير الحمام».

وقال ابن مقلة في النحت: «وهو نوعان، نحت حواشيه، ونحت بطنه، أما نحت حواشيه، فيجب أن يكون متساوياً من جهتي السن معاً، ولا يحمل على إحدى الجهتين فيضعف سنه، بل يجب أن يكون الشق متوسطاً لجلفة القلم، دقّ أو غلظ. قال: ويجب أن يكون جانباه مسيفين، والتسييف أن يكون أعلاه ذاهباً نحو رأس القلم أكثر من أسفله، فيحسن جري المداد في القلم. وقال: أما نحت بطنه فيختلف بحسب اختلاف الأقلام في صلابة الشحم ورخاوته، فأما الصلب الشحمة فينبغي أن ينحت وجهه فقط، ثم يجعل مسطحاً، وعرضه كقدر عرض الخط الذي يؤثر الكاتب أن يكتبه، وأما الرخو الشحمة فيجب أن تستأصل شحمته حتى تنتهي الى الموضع الصلب من جرم القلم، لأنك ان كتبت بشحمته تشظى ولم يصفُ جريانه».

وقال ابن مقلة في شق القلم: «لو كان القلم غير مشقوق ما استقرت به الأنامل، ولا اتصل الخط للكاتب، ولكثر الاستمداد، وعدم المشق، ولمال المداد الى أحد جنبي القلم على قدر فتل الكاتب له».

وقال ابن مقلة في مقدار شق القلم: «ويختلف ذلك بحسب اختلاف القلم في صلابته ورخاوته، فأما المعتدل فيجب أن يكون شقه الى مقدار نصف الفتحة أو ثلثيها. والمعنى فيه أنه إذا زاد على ذلك انفتحت سنا القلم حال الكتابة وفسد الخط حينئذ، وإذا كان كذلك أمن من ذلك، وأما الصلب فينبغي أن يكون شقه الى آخر الفتحة، وربما زاد على ذلك بمقدار إفراطه في الصلابة».

وقال ابن مقلة: «واضجع السكين قليلاً إذا عزمت على القط ولا تنصبها نصباً».

وقال: «اعلم أن للقلم وجهاً وصدراً وعرضاً، فأما وجهه فحيث تضع السكين وأنت تريد قطه، وهو ما يلي لحمة القلم، وأما صدره فهو ما يلي قشرته، وأما عرضه فهو نزولك فيه على تحريفه، قال: وحرف القلم هو السن العليا وهي اليمنى».

وقال ابن مقلة في عدد أقلام الدواة: «ينبغي أن تكون أقلامه على عدد ما يؤثره من خطوط، وكأنه يريد أن يكون في دواته قلم مبري للعلم الذي هو بصدد أن يحتاج الى كتابته ليجده مهيّأ، فلا يتأخر لأجل برايته».

المداد والدواة

المداد في الأصل: كل شيء يُمَدُّ به، ثم كثر الاستعمال لما تمد به الدواة فغلب كل شيء غيره، فإذا قيل مداد لم يعرف غيره[1]، وقد سُمِّيَ المِدَاد مداداً لأنه يَمُدُّ القلم ويعينه بالاستمداد، كما سمي الزيت مداد السراج يُمَدُّ به، وكل شيء يمد به الليقة مما يكتب به فهو مداد، والمداد في قوله تعالى: ﴿قل لو كانَ البحرُ مِدَاداً لكلماتِ ربِّي﴾ هو المداد لا من الإمداد، والمداد عند ابن منظور هو النِّقْس وما يكتب به[2].

وأما الحبر فأصله اللون، وأثر المداد في القرطاس، وفي الخبر: «يؤتى بمداد طالب العلم ودم الشهيد يوم القيامة، فيوضع أحدهما في كفة الميزان والأخرى في الكفة الأخرى، فلا يرجح أحدهما على الآخر»[3]، وسُمِّي المِدَاد الحبر، قال الصولي: «وإنما سمي الحبر حبراً لتحسينه الخط، من قولهم حبرت الشيء تحبيراً، وحبرته حبراً زينته وحسنته، والاسم الحبر»، وقيل: «الحبر مأخوذ من الحبار وهو أثر الشيء كأنه أثر الكتابة»[4].

وقد عرف الجاهليون المداد وكتبوا بـه وذكروه في شعرهم، من ذلك قول عبدالله بن عنمة ذاكراً المداد والدواة[5]:

فلم يَبْقَ إلاّ دِمْنَةٌ ومنازلٌ كما رُدَّ في خَطِّ الدَّواةِ مِدَادُها

ويسمى المداد نِقْساً كما سبق، وجاء النقس في شعر حميد بن ثور يذكر خط ذي الحاجات[6]:

لمَنْ الديارُ بجانب الحُبْسِ كخَطِّ ذي الحاجاتِ بالنِّقْسِ

وكانت الكتابة على الرق ونحوه، فإذا انتهت حاجتهم من المكتوب محوا المداد بغسله، ثم يكتبون على الرق ثانية وثالثة، ويسمون هذه الصحيفة التي يكتبون فيها ثم يمحونها ثم يكتبون فيها (طِرْساً)[7]، وفي الأخبار أن رجلاً من عبد القيس كتب كتاب دانيال فعلم بذلك عمر بن الخطاب وأمره أن يمحوه قائلاً: «انطلق فامحه بالحميم والصوف الأبيض»[8]، وكان عبدالله بن مسعود إذا عرف

(1) الصولي: أدب الكتاب ص 101 ـ 102. (2) اللسان: مدد، نقس.
(3) المصرف: مصور الخط العربي ص 368.
(4) الصولي: أدب الكتاب ص 104.
(5) المفضليات ص 379.
(6) ديوان حميد بن ثور ص 97.
(7) البطليوسي: الاقتضاب ص 93، الزمخشري: الفائق 2/ 81، القاموس المحيط: طرس.
(8) البغدادي: تقييد العلم ص 51.

أن في مجلسه من يكتب حديثه، يدعو بالكتاب وبإجانة من ماء فيغسله[1]، وكذلك كان يفعل أبو موسى الأشعري[2].

صنع المداد:

كان المداد يجلب من الصين[3]، ويصنع كذلك في بلاد العرب، وهو نوعان: النوع الأول يصنع من العفص والزاج والصمغ[4]، وهذا يناسب الرق، ويسمى الحبر المطبوخ[5]، أو الحبر الرأس[6]، ويكون لامعاً براقاً. ويصنع النوع الثاني من الدخان، وهو يناسب الورق ولا يصلح للجلود والرق، لأنه: «قليل اللبث فيها سريع الزوال عنها»[7]، ويصف القلقشندي حبر الدخان بقوله: «ويتوخى في الدخان أن يكون من شيء له دهنية ولا يكون من دخان شيء يابس في الأصل، لأن دخان كل شيء مثله راجع اليه»، وينقل عن صاحب الحلية قوله: «وإن شئت أخذت من دخان مقالي الحمص وشبهه، وتلقي عليه ماء وتأخذ ما يعلو فوقه، وتجمعه بماء الآس والعسل والكافور والصمغ العربي والملح، وتمده وتقطعه شوابير، والدخان الأول أجود»[8]، ويروى عن أحمد بن يوسف الكاتب أن رجلاً كان يأتيهم في أيام خمارويه (250 ـ 282هـ) بمداد لم يُرَ أنعم ولا أشد سواداً منه، فسأله أحمد: من أي شيء استخرجه، فقال: «من دهن بزر الفجل والكتان، أضع دهن ذلك في مسارج وأوقدها، ثم أجعل عليها طاساً حتى إذا نفذ الدهن رفعت الطاس وجمعت ما فيها بماء الآس والصمغ العربي»، ويبين أحمد بن يوسف سبب جمعه بماء الآس فيقول: «وإنما جمعه بماء الآس ليكون سواده مائلاً الى الخضرة، والصمغ يجمعه ويمنعه من التطاير»[9]، أي أن الآس كان يتخذ لأجل اللون، وفائدة الصمغ هو منح الذرات الملونة المعلقة بالسائل من الترسيب، ولإكساب المداد كثافة. وكانوا يضيفون إليه الكافور لتطيب رائحته، والصبر ليمنع من وقوع الذباب عليه، وقيل إن الكافور يقوم مقام الملح في غير الطيب[10].

(1) البغدادي السابق ص 39، 53، 54، 55. (2) السابق ص 40.
(3) الجاحظ: التبصر بالتجارة ص 26.
(4) العفص: حمل شجر البلوط، تحمل سنة بلوطاً وسنة عفصاً، وهو مادة سوداء غنية بحامض التنيك، إذا نقعت في الخل سودت الشعر، أما الزاج الأخضر فهو كبريتات الحديد.
(5) البطليوسي: الاقتضاب ص 68.
(6) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 466.
(7) البطليوسي: السابق ص 68.
(8) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 264.
(9) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 464.
(10) السابق نفسه 2/ 464.

المداد والدواة

المداد في الأصل: كل شيء يُمَدُّ به، ثم كثر الاستعمال لما تمد به الدواة فغلب كل شيء غيره، فإذا قيل مداد لم يعرف غيره[1]، وقد سُمِّيَ المِدَاد مداداً لأنه يَمُدُّ القلم ويعينه بالاستمداد، كما سمي الزيت مداد السراج يُمَدُّ بـه، وكل شيء يمد به الليقة مما يكتب به فهو مـداد، والمداد في قوله تعالى: **﴿قل لو كانَ البحرُ مِدَاداً لكلماتِ ربِّي﴾** هو المداد لا من الإمداد، والمداد عند ابن منظور هو النِّقْس وما يكتب به[2].

وأما الحبر فأصله اللون، وأثـر المداد في القرطـاس، وفي الخبر: «يؤتى بمداد طالب العلم ودم الشهيد يوم القيامة، فيوضع أحدهما في كفة الميزان والأخرى في الكفة الأخرى، فلا يرجح أحدهما على الآخر»[3]، وسُمِّي المِدَاد الحبر، قال الصولي: «وإنما سمي الحبر حبراً لتحسينه الخط، من قولهم حبرت الشيء تحبيراً، وحبرته حبراً زينته وحسنته، والاسم الحبر»، وقيل: «الحبر مأخوذ من الحبار وهـو أثر الشيء كأنه أثر الكتابة»[4].

وقد عـرف الجاهليون المداد وكتبوا بـه وذكروه في شعرهم، مـن ذلك قول عبدالله بن عنمـة ذاكراً المداد والدواة[5]:

فـلـم يَبْـقَ إلاّ دِمْنَـةٌ ومنـازلٌ ... كما رُدَّ فـي خَـطِّ الـدَّواةِ مِدَادُهـا

ويسمى المداد نِقْساً كما سبق، وجاء النقس في شعر حميد بن ثور يذكر خط ذي الحاجات[6]:

لِمَنْ الـديـارُ بجانـب الحُبْسِ ... كـخَـطِّ ذي الحاجـاتِ بالنِّقْسِ

وكـانت الكتابـة على الـرق ونحـوه، فإذا انتهت حاجتهم مـن المكتوب محوا المداد بغسلـه، ثم يكتبون على الرق ثانيـة وثالثة، ويسمون هذه الصحيفة التي يكتبون فيهـا ثم يمحونها ثم يكتبون فيها (طِرْساً)[7]، وفي الأخبار أن رجـلاً من عبد القيس كتـب كتاب دانيال فعلـم بذلك عمر بـن الخطاب وأمره أن يمحوه قائلاً: «انطلق فامحه بالحميم والصوف الأبيض»[8]، وكان عبدالله بن مسعود إذا عرف

---

(1) الصولي: أدب الكتاب ص 101 ـ 102. (2) اللسان: مدد، نقس.

(3) المصرف: مصور الخط العربي ص 368.

(4) الصولي: أدب الكتاب ص 104.

(5) المفضليات ص 379.

(6) ديوان حميد بن ثور ص 97.

(7) البطليوسي: الاقتضاب ص 93، الزمخشري: الفائق 2/ 81، القاموس المحيط: طرس.

(8) البغدادي: تقييد العلم ص 51.

أن في مجلسه من يكتب حديثه، يدعو بالكتاب وبإجانـة من ماء فيغسله[1]، وكذلك كان يفعل أبو موسى الأشعري[2].

صنع المداد:

كان المداد يجلب من الصين[3]، ويصنع كذلك في بلاد العرب، وهو نوعان: النوع الأول يصنع من العفص والزاج والصمغ[4]، وهذا ينـاسب الرق، ويسمـى الحبر المطبوخ[5]، أو الحبر الرأس[6]، ويكون لامعاً براقـاً. ويصنع النوع الثاني من الدخان، وهو ينـاسب الورق ولا يصلح للجلود والرق، لأنه: «قليل اللبْث فيهـا سريع الزوال عنها»[7]، ويصف القلقشندي حبر الدخان بقـوله: «ويتوخى في الدخان أن يكون من شيء له دهنية ولا يكون من دخان شيء يابس في الأصل، لأن دخان كل شيء مثلـه راجع اليه»، وينقل عن صـاحب الحلية قـوله: «وإن شئت أخـذت من دخان مقـالي الحمص وشبهه، وتلقي عليـه ماء وتأخذ ما يعلو فـوقه، وتجمعه بماء الآس والعسل والكافور والصمغ العربي والملح، وتمده وتقطعه شـوابير، والدخـان الأول أجود»[8]، ويـروى عن أحمد بن يوسف الكـاتب أن رجلاً كان يأتيهم في أيام خمارويه (250 ـ 282هـ) بمداد لم يُرَ أنعم ولا أشد سواداً منه، فسأله أحمد: من أي شيء استخرجه، فقال: «من دهن بزر الفجل والكتان، أضع دهن ذلك في مسارج وأوقدها، ثم أجعل عليها طاساً حتى إذا نفذ الدهن رفعت الطاس وجمعت ما فيها بماء الآس والصمغ العربي»، ويبين أحمد بن يـوسف سبب جمعـه بماء الآس فيقول: «وإنما جمعـه بماء الآس ليكـون سواده مـائلاً الى الخضرة، والصمغ يجمعه ويمنعه من التطاير»[9]، أي أن الآس كان يتخذ لأجل اللون، وفائدة الصمغ هو منح الـذرات الملونة المعلقة بـالسائل من الترسيب، ولإكساب المداد كثـافة. وكانوا يضيفـون إليه الكافـور لتطيب رائحته، والصبر ليمنع من وقوع الذبـاب عليه، وقيل إن الكافور يقـوم مقام الملح في غير الطيب[10].

---

(1) البغدادي السابق ص 39، 53، 54، 55. (2) السابق ص 40.

(3) الجاحظ: التبصر بالتجارة ص 26.

(4) العفص: حمل شجر البلوط، تحمل سنة بلوطاً وسنة عفصاً، وهو مادة سوداء غنية بحامض التنيك، إذا نقعت في الخل سودت الشعر، أما الزاج الأخضر فهو كبريتات الحديد.

(5) البطليوسي: الاقتضاب ص 68.

(6) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 466.

(7) البطليوسي: السابق ص 68.

(8) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 264.

(9) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 464.

(10) السابق نفسه 2/ 464.

وقد وصف ابن مقلة الحبر الجيد وهو المتخذ من سخام النفط، وذكر كيفية صنعه، قال: «وأجود المداد ما اتخذ من سخام النفط، وذلك أن يؤخذ منه ثلاثة أرطال فيجاد نخله وتصفيته، ثم يلقى في طنجير[1]، ويصب عليه من الماء ثلاثة أمثاله، ومن العسل رطل واحد ومن الملح خمسة عشر درهماً، ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهماً، ومن العفص عشرة دراهم، ولا يزال يساط على نار لينة حتى يثخن جرمه ويصير في هيئة الطين، ثم يترك في إناء ويرفع الى وقت الحاجة»[2]. وقد حفظت كتب التراث كثيراً من صفات الحبر وأنواعه ومواد صناعته وخاصة في كتاب القلقشندي[3].

وقد كان اللون الأسود في المداد هو المفضل، وأن السواد يظهر على بياض القرطاس بأوضح وأنصع صورة[4]، وإن صناعة المداد الأسود أيسر من صناعة الحبر الملون الذي يحتاج الى مواد كيماوية لم تكن متوافرة أو ميسورة لديهم في الزمن الأول.

وقد بالغ بعض الكتاب في العناية بأدوات الكتابة والمداد خاصة، فكانوا يضيفون إليه العطور، فقد روي أن أبا محمد الفياض كاتب سيف الدولة كان يعجن مداده بالمسك، ويليق دواته بماء الورد، وكان بعض الكتاب يطيب دواته بأطيب ما عنده من الطيب، فسئل عن ذلك فقال: لأني أكتب بها اسم الله تعالى واسم رسوله ﷺ، واسم أمير المؤمنين، وربما سبق القلم بغير ارادتنا فنلحسه بألسنتنا. وقال بعضهم[5]:

ربعُ الكتابةِ في سَوادِ مِدَادِها	والربعُ حُسْنُ صناعةِ الكتَّابِ
والربعُ من قلمٍ سُوِّيَ بَرْيُهُ	وعلى الكواغدِ رابعُ الأسبابِ

الدواة والمحبرة:

الدواة: «الآنية التي يجعل فيها الحبر، من خزف كان أو من قوارير»[6]، فالدواة هي المحبرة وقد يفرق بينهما، فالقلقشندي يجعل الدواة أعم من المحبرة، وجعل المحبرة بمحتوياتها الثلاثة: الجونة والليقة والمداد، آلة من الآلات التي تشتمل عليها الدواة.

فأما الجونة: فهي الظرف الذي فيه الليقة والحبر، وقد تنبه العرب الى أن الشكل المربع يتكاثف المداد في زواياه فيفسد، ولذلك فقد أوصوا باتخاذ أشكال مستديرة[7].

(1) أي قدر.
(2) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 465.
(3) صبح الأعشى 2/ 464_472.
(4) السابق 2/ 463.
(5) الكردي: تاريخ الخط العربي ص 421.
(6) اللسان: دوي، حبر.
(7) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 458.

والليقة: الصوفة في الدواة، وتسميها العرب الكُرْسُف، تسمية لها باسم القطن الذي يتخذ منه في بعض الأحوال، وتكون الليقة من الصوف والحرير والقطن، والأولى أن تكون من الحرير الخشن، لأن انتفاشها في المحبرة وعدم تلبدها أعون على الكتابة[1].

ومن الآلات التي تشتمل عليها الدواة:

الملواق: الذي تلاق به الدواة، أي تحرك به الليقة. والمسقاة: التي يصبّ منها الماء في المحبرة[2].

وقد عرفت الدواة منذ عرف العرب المداد واستعملوه منذ القديم، ولذلك ورد ذكر الدواة عند الجاهليين في شعرهم ـ وهو ديوان علمهم ـ من ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي[3]:

عرفتُ الديارَ كَرَقْمِ الدَّوا	ةِ يزْبُرُه الكاتبُ الحميري

وجاءت في شعر سلامة بن جندل، في قوله يصف كاتباً يكتب كتاباً بدواة[4]:

لِمَنْ طَلَلٌ مثلُ الكتابِ المنمَّقِ	خلا عهْدُهُ بينَ الصُّلَيْبِ فمُطْرِقِ
أكبَّ عليهِ كاتبٌ بدَوَاتِهِ	وحادِثُهُ في العينِ جِدَّةُ مُهْرَقِ

كانت الدُّوي في الجاهلية والاسلام تصنع من الخشب أو المعدن، كالنحاس والحديد، أو من الفخار، وقد تصنع من الزجاج، كما يروي الصولي أن شاعراً شهد مجلس أحد المحدثين، ورأى تلاميذه يستمدون من محابر وصفها بقوله[5]:

يتجاذبون الحِبْرَ من مَلْمُومَةٍ	بيضاءَ تحملها علائِقُ أربعُ
من خالصِ البلُّورِ غيَّرَ لونَها	فكأنَّها سَبَجٌ يلوحُ ويلمعُ

وهذه دواة جميلة من دوي المترفين، وقد افتنوا في العناية بالدواة وتزيينها واتخاذها من الأبنوس المحلى بالذهب[6].

(1) القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 458_459.
(2) السابق 2/ 468، 471.
(3) ديوان الهذليين 1/ 64.
(4) ديوان سلامة بن جندل ص 15.
(5) أدب الكتاب ص 95_96. والسبج: الكساء الأسود.
(6) الصولي: أدب الكتاب ص 92.

وقد أحبوا في الدواة صفات ذكروها، من ذلك أن تكون: «متوسطة في قدرها، نصفاً في قدها، لا باللطيفة جداً فتقصر أقلامها، ولا بالكبيرة فيثقل حملها لأن الكاتب ـ ولو كان وزيراً له مائة غلام مرسومون بحمل دواته ـ مضطر في بعض الأوقات إلى حملها ووضعها ورفعها بين يدي رئيسه، حيث لا يحسن أن يتولى ذلك منها غيره، ولا يتحملها عنه سواه، وأن يكون عليها من الحلية أخف ما يتهيأ أن يتحلى الدوي به من وثاقة ولطف صنعة، ليأمن أن تنكسر أو تنفصم منها عروة في مجلس رياسة أو مقام محنة، وأن تكون الحلية ساذجة لا حُفَر ولا ثنيات فتحمل القذى والدَّنَس، ولا نقش عليها ولا صورة، لأن ذلك من زي أهل التواضع، لا سيما في آلة يستعان بها على مثل هذه الصناعة الجليلة المستولية على تدبير المملكة، وان أحرقت الفضة حتى يكون سوادها أكثر من بياضها، فإن ذلك أحسن، وأبلغ في السرور وأشبه بقدر من لا يتكثر بالذهب والفضة»[1].

إن اتخاذ المحابر صار في العصور الاسلامية أمراً ميسوراً كاتخاذ الأقلام والقراطيس وكانت مجالس العلم تحفل بكثرة المحابر، حتى ليعرف عدد الكاتبين وطلاب العلم من عدد المحابر في ذلك المجلس، وهناك روايات طريفة في هذا الصدد تدل على كثرة طلاب العلم والكاتبين، فيقال: إن مجلس أبي مسلم الكجي (المتوفى سنة 292هـ) أحصيت فيه محابر الحاضرين فبلغت أكثر من أربعين ألف محبرة[2]، وعلى الرغم مما في هذا الرقم من مبالغة كثيرة، إذ لا يعقل أن يصل صوت الشيخ الى هذا العدد الغفير، فإن في الرواية دلالة على كثرة الكاتبين وطلبة العلم، ولعل في رواية السبكي دلالة مقبولة على عدد الكاتبين، فقد روى أنه في سنة 387هـ كان في مجلس أبي الطيب سهل بن محمد العجلي (المتوفى سنة 404هـ) أكثر من خمسمائة محبرة[3]. وقد يتخذ طلبة العلم هذه المحابر سلاحاً كسلاح الحجارة، من ذلك ما روى ياقوت الحموي أن ابن جرير الطبري حين قدم بغداد سنة 295هـ، قصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل وعن حديث الجلوس على العرش فقال: أما أحمد فلا يعد خلافه . . . وأما حديث الجلوس على العرش فمحال، «فوثب عليه الحنابلة وأصحاب الحديث ورموه بمحابرهم، وقيل كانت ألوفاً»[4].

(1) الصولي: أدب الكتاب ص 96، القلقشندي: صبح الأعشى 2/ 432.
(2) البغدادي: تاريخ بغداد 6/ 122.
(3) السبكي: طبقات الشافعية 3/ 170.
(4) ياقوت: معجم الأدباء 18/ 58.

كيفية الاستمداد من الدواة:

لم يترك القدماء ناحية من نواحي الكتابة الا أشبعوها بحثاً ودرساً وتفكيراً، حتى أنهم ذكروا الأصول الصحيحة التي يتبعها الكاتب في وضع القلم في الدواة لإمداده بالحبر، قالوا: «أما الاستمداد فهو أصل عظيم من أصول الكتابة، وقد قال المقر العلائي: من لم يحسن الاستمداد وبري القلم فليس من الكتابة في شيء».

وقال عماد الدين بن العفيف: «إذا أمد الكاتب فليكن القلم بين أصابعه على صورة إمساكه له حين الكتابة، ولا يديره للاستمداد، لأن أحسن المذاهب فيه أن يكون من يد الكاتب على صورة وضعه في الكتاب، ويحرك رأس القلم من باطن يده الى خارجها، فإنه يمكن معه مقام القلم على نصبته من الأصابع، ومتى عدل عن هذا لحقته المشقة في نقل نصبة الأصابع في كل مدة. قال: وهذا من أكبر ما يحتاج اليه الكاتب، لأن هذا هو الذي عليه مدار جودة الخط. ثم قال: وقلما يدرك علم هذا الفصل إلا العالم الحاذق بهندسة الخط، مع ما يكون معه من الأناة وحسن التأدية».

وقال المقر العلائي: «ينبغي للكاتب ألا يكثر الاستمداد بل يمد مداً معتدلاً، ولا يحرك الليقة من مكانها، ولا يعثر بالقلم فإن ذلك عيب عند الكتاب، ولا يرد القلم الى الليقة حتى يستوعب ما فيه من المداد، ولا يدخل منه الدواة كثيراً، بل إلى حد شقه، ولا يجاوز ذلك الى آخر الفتحة، ليأمن تسويد أنامله، وليس ذلك من خصال الكتاب. وأما وضع القلم على المدرج، فقال أبو علي بن مقلة: ويجب أن يكون أول ما يوضع على الدرج موضع القطة منكباً»[1].

وقد ذكر بعض الشعراء الحبر ولونه وعطره، فمن ذلك قول ابن الرومي[2]:

حبرُ أبي حَفْصٍ لُعَابُ الليلِ ... كأنَّهُ ألوانُ دُهْمِ الخيلِ

وقال آخر:

انما الزعفرانُ عِطْرُ العَذارى ... ومِدَادُ الدويّ عِطْرُ الرِّجالِ

وقال آخر:

لا تجزعَنَّ من المِدادِ فإنَّهُ ... عِطْرُ الرجالِ وحِلْيَةُ الكُتَّابِ

(1) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 38.
(2) ديوان ابن الرومي. وهناك أدوات أخرى ذكرها القلقشندي تتصل بعمل الكاتب، ومجلد الكتب ومذهبها، من ذلك: الملواق، والمرملة، والمنفذ والملزمة، والمفرشة، والممسحة، وعدّد القلقشندي من هذه الأدوات سبع عشرة أداة وبيّن أوجه الاستفادة منها، فلينظرها المعنيُّ المتتبع.

مصادر البحث ومراجعه

(أ)

آدي شير:
- الألفاظ الفارسية المعربة.
ط بيروت 1908م.

الألوسي: محمود شكري (ت 1342هـ).
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب.
تصحيح محمد بهجة الأثري، الطبعة الثانية، المطبعة الرحمانية، مصر 1343هـ/ 1925.

الآمدي: أبو القاسم الحسن بن بشر (ت 370هـ).
- المؤتلف والمختلف.
ط مكتبة القدسي، القاهرة 1354هـ/ 1935م.

ابن الأثير: علي بن محمد بن الأثير (ت 630هـ).
- أسد الغابة في معرفة الصحابة.
المطبعة الاسلامية، طهران 1355هـ/ 1937م.
- الكامل في التاريخ.
مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت 1378هـ/ 1967م.

ابن الأثير: مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ت 606هـ).
- جامع الأصول في أحاديث الرسول.
تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط دمشق 1392هـ/ 1972م.

ابن أبي أصيبعة: أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي (ت 668هـ).
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء.
تحقيق نزار رضا، ط دار مكتبة الحياة، بيروت 1965م.

أحمد: يوسف أحمد:
- الخط الكوفي.
مطبعة حجازي مصر، الرسالة الأولى 1351هـ/ 1933م.
الرسالة الثانية 1342هـ/ 1934م.

الادريسي: محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس (560هـ).

ـ مختصر نزهة المشتاق في اختراق الآفاق .
ط رومية 1952م .

الأسد : ناصر الدين .
ـ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية .
ط دار المعارف، مصر 1956م .

الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ) .
ـ الأغاني .
ط دار الكتب المصرية 1928م، ط بولاق 1868م .

الأصفهاني : حمزة بن الحسن (ت 360 هـ) .
ـ التنبيه على حدوث التصحيف .
تحقيق محمد أسعد طلس، ط دمشق 1968م .

الأعشى : ميمون بن قيس .
ديوان الأعشى، شرح محمد محمد حسين .
نشر مكتبة الآداب بالجماميز، مصر.

الأعظمي : وليد الأعظمي .
ـ تراجم خطاطي بغداد المعاصرين .
ط مكتبة النهضة، بغداد 1977م .

اقليمس : مطران يوسف داود .
ـ اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية .
ط الثانية، مطبعة دير الآباء، الموصل 1896م .

امرؤ القيس .
ـ ديوان امرىء القيس .
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .
ط دار المعارف، القاهرة 1958م . و ط هندية 1906م .

الأنباري : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت 577هـ) .
ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء .
تحقيق عطية عامر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1966م .

أنور سهيل .
ـ الخطاط البغدادي علي بن هلال .
ترجمة عزيز سامي ومحمد بهجة الأثري .
القسم الثاني تحقيقات الأثري (وإليه أكثر الإشارات) ط . المجمع العلمي العراقي، بغداد 1377هـ/ 1958م .

(ب)

باقر : طه باقر .
ـ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة .
الطبعة الثانية، مطبعة شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد 55 ـ 1956م .

بتلر : ألفرد بتلر .
ـ فتح العرب لمصر .
ترجمة محمد فريد أبو حديد، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة .

البخاري : أبو عبدالله محمد بن اسماعيل (ت 256هـ) .
ـ صحيح البخاري .
ط بولاق، القاهرة 1311 ـ 1312هـ .

بدر : محمد بدر .
ـ الكنز في قواعد اللغة العبرية .
المطبعة التجارية بعابدين، مصر 1926م .

البدري : أبو بكر بن عبدالله بن محمد (ت 894هـ) .
ـ نزهة الأنام في محاسن الشام .
ط القاهرة 1341هـ .

بروكلمان : كارل بروكلمان (ت 1956م) .
ـ تاريخ الأدب العربي .
ترجمة عبد الحليم النجار، ط دار المعارف، القاهرة 59 ـ 1962م .

البطليوسي : أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد (ت 521هـ) .
ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب .
المطبعة الأدبية، بيروت 1901م .

البغدادي : اسماعيل باشا بن محمد أمين (ت 1339هـ) .

ـ ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون .
ط استانبول 1955م .

البغدادي : الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463هـ) .
ـ تقييد العلم .
تحقيق يوسف العش ، ط المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق 1949م .
ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام .
ط مكتبة الخانجي ، القاهرة 1931م .
ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع .
ط مصر .

البغدادي : عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ) .
ـ خزانة الأدب .
ط السلفية ، بولاق 1347هـ .

البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 478هـ) .
ـ سمط اللآلي .
تحقيق عبد العزيز الميمني ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1936م .

البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت 289هـ) .
ـ فتوح البلدان .
ط لجنة البيان العربي ، القاهرة 1957م . وط الأزهرية ، مصر 1932م .

بيدابيش : حبيب أفندي .
ـ خط وخطاطان . باللغة التركية .
ط استانبول .

البيروني : أبو الريحان محمد بن أحمد (ت 440هـ) .
ـ تاريخ الهند (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) .
نشر سخو، ط ليبسك 1925م . وط الهند 1958م .

ابن البيطار: ضياء الدين عبدالله بن أحمد الأندلسي (ت 646هـ) .
ـ الجامع لمفردات الأدوية والأغذية .
المطبعة الأميرية ، القاهرة 1291هـ .

(ت)

التبريزي : أبو زكريا يحيى بن علي (ت 502هـ) .
ـ شرح القصائد العشر .
ط المنيرية ، القاهرة 1343هـ .

ابن تغري بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي (ت 874هـ) .
ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .
ط دار الكتب المصرية ، القاهرة 1929م .

التوحيدي : أبو حيان علي بن محمد (ت 400هـ) .
ـ رسالة علم الكتابة .
نشرها فرانز روزنتال في مجلة اسلاميكا ، جامعة ميشكان 1948م . ونشرت أيضاً باسم :
ـ رسالة الخط ، ضمن ثلاث رسائل .
تحقيق ابراهيم الكيلاني ، ط المعهد الفرنسي ، دمشق 1951م . ونشرت باسم :
ـ رسالة الكتابة المنسوبة .
نشرها خليل محمود عساكر، في مجلة معهد المخطوطات العربية .

(ث)

الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت 429هـ) .
ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب .
ط القاهرة 1327هـ .
ـ لطائف المعارف .
ط دي يونغ ، ليدن 1867م ، وتحقيق الابياري والصيرفي ، ط مصر 1960م .
ـ يتيمة الدهر .
ط الصاوي ، مصر 1934م .

(ج)

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ) .
ـ البيان والتبيين .
تحقيق عبد السلام هارون ، ط القاهرة 1948م .
ـ التبصر بالتجارة .
تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، ط الرحمانية ، القاهرة 1935م .

ـ الحيوان .
تحقيق عبد السلام هارون ، ط الحلبي ، مصر 1938 .
ـ رسائل الجاحظ .
تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1965م .
ـ المحاسن والأضداد .
ط بريل ، ليدن 1898م .

الجبوري : عطية تركي .
ـ الخط العربي الاسلامي .
مطبعة البيان ، بغداد 1975م .

الجبوري : سهيلة ياسين .
ـ أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي .
مطبعة الأديب البغدادية ، بغداد 1977م .

الجبوري : يحيى وهيب .
ـ الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه .
الطبعة الخامسة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1986م .
ـ الملابس العربية في الشعر الجاهلي .
ط دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1989م .

الجبوري : محمود شكر .
ـ نشأة الخط العربي وتطوره .
بغداد 1934م .
صفحاته غير مرقمة .

الجزائري : طاهر .
ـ توجيه النظر الى أصول علم الأثر .
المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

ابن الجزري : أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد الدمشقي الشافعي (ت 833هـ) .
ـ غاية النهاية في طبقات القراء .
تحقيق برجستراسر ، مطبعة السعادة ، مصر 1933م .
ـ النشر في القراءات العشر .
مطبعة مصطفى محمد ، مصر د . ت .

جمعة : إبراهيم جمعة .

ـ دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة .
المطبعة العالمية ، القاهرة 1969 م .
ـ قصة الكتابة العربية .
مجموعة اقرأ رقم 52 ، ط القاهرة 1947م .

الجهشياري : أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت 331هـ) .
ـ الوزراء والكتاب .
تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط الحلبي ، القاهرة 1357هـ/ 1938م .

الجواليقي : أبو منصور موهوب بن أحمد (ت 539هـ) .
ـ المعرب .
تحقيق أحمد شاكر ، ط القاهرة 1361هـ .

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ) .
ـ أخبار الحمقى والمغفلين .
ط دمشق 1926م ، وط الخاقاني ، بغداد 1966م .
ـ المنتظم .
ط دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن 1359هـ .

(ح)

ابن الحاج : محمد بن محمد (ت 737هـ) .
ـ المدخل .
ط المطبعة المصرية بالأزهر 1929م .

ابن أبي حاتم : محمد بن عبد الرحمن (ت 327هـ) .
ـ آداب الشافعي ومناقبه .
ط القاهرة 1953م .

الحاجري : محمد طه (ت 1397هـ) .
ـ الورق والوراقة في الحضارة الاسلامية .
مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد 13 سنة 1966م .

حاطوم : نور الدين .
ـ قصر جبل سيس الأموي .
مجلة الحوليات الأثرية السورية ، المجلد الثالث 1963م .

حاجي خليفة : مصطفى بن عبدالله (ت 1071هـ) .
ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
ط استانبول ، وكالة المعارف 41 ـ 1943م .

ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت 245هـ) .
ـ المحبر.
ط دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن 1361هـ/ 1942م .

ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت 456هـ) .
ـ جوامع السيرة .
تحقيق احسان عباس وناصر الدين الأسد، ط دار المعارف ، مصر د ت .

حسان بن ثابت (ت 54هـ) .
ـ ديوان حسان بن ثابت .
ط النيل 1904م .

حسن : زكي محمد حسن .
ـ اتحاد أساتذة الرسم في الفنون الاسلامية .
مطبعة الاعتماد، مصر 1938م .
ـ أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية .
مطبعة جامعة القاهرة 1956م .
ـ فنون الاسلام .
مطبعة النهضة الاهلية ، القاهرة 1948م .
ـ الفنون الايرانية في العصر الاسلامي .
ط دار الكتب المصرية ، القاهرة 1946م .

الحسيني : محمد باقر كاظم .
ـ تطور النقود العربية الاسلامية .
مطبعة دار الجاحظ ، بغداد 1969م .

الحصري : ساطع الحصري .
ـ دراسات عن مقدمة ابن خلدون .
ط دار المعارف ، مصر 1953م .

الحلبي : نور الدين علي بن ابراهيم الشافعي (ت 1044هـ) .
ـ السيرة الحلبية .

ط المطبعة الأزهرية ، القاهرة 1320/ 1902م .

الحلوجي : عبد الستار.
ـ المخطوط العربي .
ط مكتبة مصباح ، جدة 1409هـ/ 1989م .

الحموي : شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت 626هـ) .
ـ معجم الأدباء .
تحقيق مرجليوث ، ط المأمون ، القاهرة 1938م .
ـ معجم البلدان .
ط ليزا ، ليبسك 1866م .

حميد بن ثور:
ـ ديوان حميد بن ثور.
تحقيق عبد العزيز الميمني ، ط دار الكتب المصرية ، القاهرة 1951م .

حميد الله : محمد حميد الله خان الحيدر أبادي .
ـ صنعة الكتابة في عهد الرسول والصحابة .
مجلة فكر وفن ، العدد الثالث سنة 1964م .
ـ مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة .
ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1941م .

ابن حنبل : أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت 241هـ) .
ـ مسند أحمد بن حنبل .
تحقيق أحمد شاكر، ط دار المعارف ، مصر 1365هـ/ 1946م .

الحنبلي = ابن العماد .

ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل (ت 380هـ) .
ـ صورة الأرض .
ط كريمرز، ليدن 1938م .

(خ)

الخازن : الشيخ نسيب وهيبة .
ـ من الساميين الى العرب .

ط دار مكتبة الحياة، بيروت 1962م .

خسرو: ناصر خسرو.
ـ سفر نامه .
ترجمة يحيى الخشاب، ط القاهرة 1945م .

الخفاجي : شهاب الدين أحمد الخفاجي المصري (ت 977هـ) .
ـ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل .
ط الوهبية، القاهرة 1282هـ .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت 808هـ) .
ـ المقدمة .
ط كاترمير، باريس 1858م . وط بولاق 1274هـ . وط بيروت 1956م .

ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ) .
ـ وفيات الأعيان .
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط السعادة، مصر 1367هـ/ 1948م .

الخوارزمي : أبو بكر محمد بن العباس (383هـ) .
ـ رسائل الخوارزمي .
ط الجوائب، الاستانة 1297هـ .

(د)

ـ دائرة المعارف الاسلامية
الترجمة العربية، ط مصر 1352هـ/ 1933م .
ـ دائرة المعارف الاسلامية .
الاصل الانجليزي سنة 1939م .

الداني : أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت 444هـ) .
ـ كتاب النقط .
مطبعة الدولة، استانبول 1932م .
ـ المقنع .
مطبعة الترقي، دمشق 1359هـ/ 1940م .
ـ المحكم في نقط المصاحف .

تحقيق عزة حسن، ط دمشق 1379هـ/ 1960م .

ابن درستويه : أبو محمد عبدالله بن جعفر بن محمد (ت 346هـ) .
ـ كتاب الكتاب .
تحقيق لويس شيخو، ط الكاثوليكية، بيروت 1927م .

دوزي : رنهارت بيتر آن (ت 1883م) .
ـ تكملة المعاجم العربية .
بالعربية والفرنسية .

ديماند : م، س .
ـ الفنون الاسلامية .
ترجمة أحمد محمد عيسى، ط دار المعارف، مصر 1944م .

(ذ)

الذهبي : أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ) .
ـ تذكرة الحفاظ .
ط دار احياء التراث العربي، بيروت 1374هـ/ 1954م .

(ر)

ابن رافع = **السلامي** .

الرامهرمزي : أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد (ت 360هـ) .
ـ المحدث الفاصل .
مخطوط مصورته بدار الكتب المصرية رقم 483 مصطلح .

الراوي : طه .
ـ النبط أصلهم ودولتهم .
مجلة المعلم الجديد، السنة التاسعة، الجزء الثاني، بغداد 1945م .

الرزي : الراهب الحلبي القس جرجيس .
ـ كتاب في نحو اللغة الآرامية والسريانية والكلدانية وصرفها وشعرها .
المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1897م .

ابن رشيق : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 463هـ) .

ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده .
طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر 1955م .

رضا : أحمد رضا .
ـ رسالة الخط .
مطبعة العرفان 1332هـ/ 1914م .

رمزي : محمود رمزي .
ـ القاموس الجغرافي .
ط القاهرة 1958م .

(ز)

الزبيدي : محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت 1205هـ) .
ـ تاج العروس من جواهر القاموس .
ط الوهبية ، مصر 1286هـ/ 1869م .
ـ حكمة الاشراق الى كتاب الآفاق .
نوادر المخطوطات ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط القاهرة 1373هـ/ 1954م .

الزرقاني : محمد بن عبد الباقي (ت 1122هـ) .
ـ مناهل العرفان في علوم القرآن .
ط الثالثة مطبعة دار احياء الكتب العربية ، القاهرة 1372هـ/ 1952م .

الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794هـ) .
ـ البرهان في علوم القرآن .
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط دار احياء الكتب العربية ، القاهرة 1376هـ/ 1957 .

الزمخشري : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت 583 هـ) .
ـ الفائق في غريب الحديث والأثر .
تحقيق البجاوي وأبو الفضل ، ط إحياء الكتب العربية ، القاهرة 45 ـ 1948 م .

الزنجاني : أبو عبدالله .
ـ تاريخ القرآن .
ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1935 م .

زهير بن أبي سلمى .

ـ ديوان زهير بن أبي سلمى .
ط دار الكتب المصرية ، القاهرة 1944 م .

زيدان : جرجي زيدان (ت 1332 هـ/ 1914 م) .
ـ تاريخ آداب اللغة العربية .
ط دار الهلال ، القاهرة 1913 م .
ـ تاريخ التمدن الإسلامي .
ط دار الهلال ، القاهرة .

(س)

السبكي : أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت 771 هـ) .
ـ طبقات الشافعية الكبرى .
المطبعة الحسينية ، القاهرة 1324 هـ .

السجستاني : أبو بكر عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث (316 هـ) .
ـ كتاب المصاحف .
تحقيق آرثر جفري ، ط الرحمانية ، مصر 1355 هـ/ 1936م .

السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902 هـ) .
ـ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة .
تحقيق محمد حامد الفقي ، ط السنة المحمدية ، القاهرة 1376 هـ/ 1957 م .

سزكين : فؤاد سزكين .
ـ تاريخ التراث العربي .
الترجمة العربية ، ط الرياض 1977 م .

ابن سعد : محمد بن منيع الزهري (ت 230 هـ) .
ـ الطبقات الكبير .
تحقيق أدوارد سخو ، ط ليدن 1322 ـ 1325 هـ .

سلامة بن جندل .
ـ ديوان سلامة بن جندل .
تحقيق لويس شيخو ، ط بيروت 1910 م .

السلامي : محمد بن رافع بن هجرس (ت 774 هـ) .

ـ تاريخ علماء بغداد المسمى (منتخب المختار)، انتخبه النقي الفاسي المكي .
تحقيق عباس العزاوي، ط بغداد 1938 م .

السمعاني : أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562 هـ) .
ـ الأنساب .
نشر مرجليوث، ط ليدن 1912 م .

سنكلاخ : مرزا .
ـ تذكرة الخطاطين المسمى (امتحان الفضلاء) .
ط إيران 1295 هـ .

السهيلي : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله الخثعمي (ت 581 هـ) .
ـ الروض الأنف .
ط الجمالية، مصر 1914 م .

سوسة : أحمد سوسة .
ـ العرب واليهود في التاريخ .
ط دار الحرية، بغداد 1392 هـ/ 1972 م .

ابن سيده : أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 458 هـ) .
ـ المخصص .
المطبعة الأميرية ببولاق 1316 هـ .

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـ) .
ـ الاتقان في علوم القرآن .
مطبعة حجازي، القاهرة 1368 هـ/ 1948 م .
ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة .
مطبعة السعادة، مصر 1326 هـ/ 1908 م .
ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي .
تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط دار الكتب الحديثة، القاهرة 1966 م .
ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة .
ط إدارة الوطن، القاهرة 1299 هـ .

(ش)

ابن شاكر الكتبي = الكتبي .

ابن الشجري : أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة (ت 542 هـ) .
ـ مختارات شعراء العرب .
المطبعة العامرة 1306 هـ .

الشرقي : علي الشرقي .
ـ الكتابة في العراق .
مجلة لغة العرب، السنة الثانية، الجزء العاشر، بغداد 1913 م .

شهلا : جورج شهلا وشفيق جحا .
ـ قصة الألفباء .
سلسلة أمس واليوم، ط المرسلين اللبنانيين، بيروت 1948 م .

شيخو : الأب لويس شيخو اليسوعي (ت 1927 م) .
ـ شعراء النصرانية .
المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1926 م .

(ص)

الصائغ : عبد الرحمن بن يوسف بن الصائغ (ت 845 هـ) .
ـ تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب .
تحقيق هلال ناجي، ط تونس 1967 م .

الصابي : أبو الحسين هلال بن المحسن (ت 448 هـ) .
ـ تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء .
ط امدوز، بيروت 1904 م .
ـ رسوم دار الخلافة .
تحقيق ميخائيل عواد، ط بغداد 1383 هـ/ 1964 م .

الصابي : غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال (ت 480 هـ) .
ـ الهفوات النادرة .
تحقيق صالح الأشتر، ط مجمع اللغة العربية، دمشق 1387 هـ/ 1967 م .

الصندوق : عز الدين .
ـ حفنة الأبيض .
مجلة سومر، المجلد الحادي عشر الجزء الأول، بغداد 1955 م .

الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى (336 هـ) .
ـ أدب الكتاب .

تصحيح محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، مصر 1341 هـ/ 1922م.
ـ أشعار أولاد الخلفاء. (هو جزء من كتاب الأوراق).
ط القاهرة 1355 هـ/ 1936 م.

(ض)

الضبي: المفضل بن محمد (ت 170 هـ).
ـ المفضليات.
تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط دار المعارف، مصر 1976 م.
ـ المفضليات، شرح الأنباري.
تحقيق كارلوس يعقوب لايل، ط الأباء اليسوعيين، بيروت 1920 م.

(ط)

طاش كبري زادة: أحمد بن مصطفى (ت 962 هـ).
ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة.
ط دار المعارف النظامية، حيدر أباد الدكن 1328 هـ/ 1910 م.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ).
ـ تاريخ الرسل والملوك.
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، مصر 1960 م. وط بيروت 1964 م. مصورة عن طبعة بريل.

طرفة بن العبد.
ـ ديوان طرفة، شرح الأعلم الشنتمري.
ط شالون 1900 م.

ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا (ت 709 هـ).
ـ الفخري.
ط غريفز ولد 1858 م. وط مصر 1927 م. وط صادر بيروت 1966 م.

طوبيا: القس طوبيا العنيسي.
ـ تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية.
ط القاهرة 1932 م.

الطيبي: محمد بن الحسن (ت 908 هـ).

ـ جامع محاسن كتابة الكتاب ونزهة أولي البصائر والألباب.
ط بيروت 1962 م.

(ع)

عبادة: عبد الفتاح.
ـ انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي.
مطبعة هندية، مصر 1915 م.

ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت 328 هـ).
ـ العقد الفريد.
تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، ط لجنة التأليف، القاهرة 48 ـ 1950 م.

ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله (ت 257 هـ).
ـ سيرة عمر بن عبد العزيز.
ط الرحمانية، القاهرة 1927 م.
ـ فتوح مصر وأخبارها.
ط بريل، ليدن 1920 م.

عبد الوهاب: حسن حسني.
ـ البردي والرق والكاغد في أفريقية التونسية.
مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثاني، الجزء الأول، مايو 1956 م.

أبو عبيد = القاسم بن سلام.

العزاوي: عباس العزاوي.
ـ تاريخ العراق بين احتلالين.
ط بغداد 1953 م.

العسقلاني: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت 852 هـ).
ـ تهذيب التهذيب.
ط دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد الدكن، الهند 1326 هـ/ 1909 م.
ـ الإصابة في تمييز الصحابة.
ط السعادة، مصر 1328 هـ/ 1910 م.

العش: محمد أبو الفرج.
ـ كنز أم حجرة الفضي.

مطبوعات المديرية العامة للآثار والمتاحف، مطبعة طربين، دمشق 1972 م.
ـ نشأة الخط العربي وتطوره.
مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد الثالث والعشرون، دمشق 1973 م.

علي: جواد علي.
ـ تاريخ العرب قبل الإسلام.
ط المجمع العلمي العراقي، بغداد 51 ـ 1957 م. وط دار العلم للملايين، بيروت 1969.

ابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت 1089 هـ).
ـ شذرات الذهب.
ط مكتبة القدسي، القاهرة 1351 هـ.

العمري: عبد الوهاب بن فضل الله (ت 745 هـ).
ـ مسالك الأبصار.
تحقيق أحمد زكي باشا، ط القاهرة 1924 م.

عواد: كوركيس عواد.
ـ الورق والكاغد صناعته في العصور الإسلامية.
مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد 23، سنة 1948 م.

(غ)

غنيمة: يوسف رزق الله.
ـ الحيرة المدينة والمملكة العربية.
ط بغداد 1936 م.
ـ مدارس الحيرة والخط الحيري.
مجلة المشرق، بيروت 1932 م.

(ف)

ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ).
ـ الصاحبي في فقه اللغة.
ط المكتبة السلفية، مصر 1910 م.

أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل صاحب حماة نور الدين (ت 732 هـ).
ـ المختصر في تاريخ البشر.
ط دار الكتاب اللبناني، بيروت.

فخر الدين: محمد فخر الدين.
ـ تاريخ الخط العربي.
ط القاهرة 1361 م.

فريحة: أنيس فريحة.
ـ الخط العربي نشأته، مشكلته.
ط بيروت 1961 م.

ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت 365 هـ).
ـ مختصر كتاب البلدان.
ط دي غويه، ليدن 1885 م.

فك: يوهان فك.
ـ العربية.
ترجمة عبد الحليم النجار، ط دار الكتاب العربي، القاهرة 1370 هـ/ 1951 م.

ابن الفوطي: أبو الفضل كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد البغدادي (ت 723 هـ).
ـ تلخيص مجمع الآداب.
مخطوط، نسخة مصورة بمكتبة المتحف العراقي، بغداد.
ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة.
تحقيق مصطفى جواد، ط بغداد 1351 هـ/ 1932 م.

الفيروز أبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 816 هـ).
ـ القاموس المحيط.
ط الأميرية، القاهرة 1302 هـ.

(ق)

القاسم بن سلام: أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ).
ـ كتاب الأموال.
تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة حجازي، القاهرة 1353 هـ/ 1934 م.

ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت 276 هـ) .
ـ الشعر والشعراء .
تحقيق أحمد شاكر، ط الحلبي ، القاهرة 1364 هـ .
ـ المعارف .
تصحيح الصاوي، ط القاهرة 1935 م .

القرشي : عبد الرحمن بن علي بن شيت (ت في القرن السابع هـ) .
ـ معالم الكتابة ومغانم الإصابة .
ط بيروت 1913 م .

القرشي : أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (ت 463 هـ) .
ـ جمهرة أشعار العرب .
ط بولاق، مصر 1308 هـ .

القرطبي : أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت 463 هـ) .
ـ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله .
ط إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة دت . وط العاصمة، القاهرة 1968 م .

القزويني : أبو عبدالله زكريا بن محمد (ت 682 هـ) .
ـ آثار البلاد وأخبار العباد .
ط وستنفيلد، غوتنجن 1848 م .

القفطي : جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 646 هـ) .
ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة .
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار الكتب العربية، القاهرة 50 ـ 1955 م .

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت 821 هـ) .
ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا .
المطبعة الأميرية، القاهرة 13 ـ 1915 م .
ـ ضوء الصبح المسفر .

قيس بن الخطيم .
ـ ديوان قيس بن الخطيم .
ط ليبزج 1914 م .

(ك)

الكتبي : محمد بن شاكر (ت 764 هـ) .
ـ فوات الوفيات .
تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت 1974 م .

ابن كثير : الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774 هـ) .
ـ البداية والنهاية .
ط السعادة، القاهرة 1932 ، وط مكتبة المعارف، بيروت 1966 م .
ـ فضائل القرآن .
ط المنار، القاهرة 1348 هـ .

كرد علي : محمد كرد علي .
ـ خطط الشام .
مطبعة الترقي، دمشق 1345 هـ/ 1926 م .

الكردي : محمد طاهر بن عبد القادر المكي الخطاط .
ـ تاريخ الخط العربي وآدابه .
المطبعة التجارية الحديثة، السكاكيني، القاهرة 1358 هـ/ 1939 م .

كروهمان : أدولف .
ـ بحوث في الخطوط الإسلامية والتاريخ الحضاري .
ط الأكاديمية الفرنسية العلمية، فيينا 1967 م .
ـ أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية .
ط القاهرة 1934 م، 1955 م .

(ل)

لبيد بن ربيعة العامري (ت 40 هـ) .
ـ ديوان لبيد .
تحقيق إحسان عباس، ط الكويت 1962 م .

ليتمان .
ـ أصل الخط العربي وتاريخ تطوره .
محاضرات في الجامعة المصرية، مجلة كلية الآداب الجامعة المصرية 1354 هـ .

(م)

ماسنيون .
ـ خطط الكوفة .
ط دار الآثار العراقية، بغداد .

متز: آدم متز .
ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري .
ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1948 م .
ـ مجلة معهد المخطوطات .
جامعة الدول العربية .

المحبي: محمد أمين بن فضل الله الشامي (ت 1111 هـ) .
ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر .
ط القاهرة 1284 هـ .

محمد غريب .
ـ مجلة تحسين الخطوط الملكية .
مطبعة أمين عبد الرحمن، مصر 1943 م .

المخزومي: مهدي .
ـ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة .
ط الحلبي، القاهرة 1958، وط بغداد 1974 م .

ابن المدبر: إبراهيم بن محمد (ت 279 هـ) .
ـ الرسالة العذراء .
تصحيح وشرح زكي مبارك، ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1931 م .

المرتضى: الشريف أبو القاسم علي بن أبي أحمد الحسيني الموسوي (ت 436 هـ) .
ـ ديوان الشريف المرتضى .
مخطوط .

مرزوق: محمد عبد العزيز .

ـ العراق مهد الفن الإسلامي .
ط بغداد 1971 م .
ـ مكانة الفن الإسلامي بين الفنون .
مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد التاسع الجزء الأول، القاهرة 1959 م .
ـ الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه .
ط بغداد 1965 م .

المسعودي: أبو الحسين علي بن الحسين بن علي (ت 346 هـ) .
ـ أخبار الزمان .
ط القاهرة 1357 هـ/ 1938 م .
ـ التنبيه والإشراف .
تصحيح عبدالله الصاوي، ط القاهرة 1357 هـ/ 1938 م .
ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر .
ط السعادة، مصر 1948 م . وط دار الأندلس، بيروت 1966 م .

المصرف: ناجي زين الدين .
ـ بدائع الخط العربي .
ط مؤسسة رمزي للطباعة، بغداد 1972 م .
ـ مصور الخط العربي .
مطبعة الحكومة، بغداد 1388 هـ/ 1968 م .

معاني: أحمد كلجين .
ـ فهرس مخطوطات الإمام الرضا .
مشهد 1347 شمسي .

معروف: ناجي معروف .
ـ تاريخ علماء المستنصرية .
ط بغداد 1965 م .

المعري: أبو العلاء أحمد بن عبدالله (ت 449 هـ) .
ـ سقط الزند .
ط أمين هندية، مصر 1319 هـ . و ط صادر، بيروت 1377 هـ .
ـ شرح التنوير على سقط الزند .
ط جمعية المعارف، مصر 1286 هـ .

المعز: محمد بن محمد .
ـ قصة البهناسة وما فيها من العجائب والغرائب .
ط القاهرة 1290 هـ/ 1873 م .

المقدسي : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري (ت 375 هـ) .
ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .
ط دي غويه، ليدن 1906 م .

المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت 845 هـ) .
ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .
مطبعة النيل، القاهرة 1325 هـ .

المقري : أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041 هـ) .
ـ نفح الطيب .
ط دوزي وآخرين، ليدن 55 ـ 1861 م .

ابن مقلة : أبو علي محمد بن علي بن الحسين (ت 328 هـ) .
ـ أصناف الكتاب .
مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط ـ المغرب رقم 1723 .
ـ رسالة في علم الخط والقلم .
مخطوطة بدار الكتب المصرية .
ـ رسالة ميزان الخط .
مخطوطة بمكتبة العطارين ـ تونس .

ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت 711 هـ) .
ـ لسان العرب .
ط بيروت، دار صادر 1956 م .

(ن)

النابغة الذبياني .
ـ ديوان النابغة الذبياني .
تحقيق عبد الرحمن سلام، ط المكتبة الأهلية، بيروت 1929 م .
ـ التوضيح والبيان عن شعر نابغة ذبيان .
ط السعادة، مصر.

ناصف : حفني ناصف .
ـ تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية .
مطبعة الجريدة، القاهرة 1910 م .

نامي : خليل يحيى .
ـ أصل الخط العربي وتاريخ تطوره الى ما قبل الإسلام .
مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد الثالث، الجزء الأول، القاهرة 1935 م .

ابن النديم : أبو الفرج محمد بن إسحاق بن يعقوب (ت 385 هـ) .
ـ الفهرست .
ط فلوجل، ليبسك 1871 م . وط المكتبة التجارية، مصر 1348 هـ . وط مكتبة خياط، بيروت 1964 م .

النقشبندي : ناصر محمود .
ـ منشأ الخط العربي وتطوره لغاية عهد الخلفاء الراشدين .
مجلة سومر، المجلد الثالث الجزء الأول، بغداد 1947 م .

أبو نواس : الحسن بن هانيء .
ـ ديوان أبي نواس .
ط مطبعة مصر، القاهرة 1953 م .

النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 732 هـ) .
ـ نهاية الأرب في فنون الأدب .
ط دار الكتب المصرية، القاهرة 1932 م .

(هـ)

هارون : عبد السلام هارون .
ـ تحقيق النصوص ونشرها .
ط الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة 1397 هـ/ 1977 م .

هذيل .
ـ ديوان الهذليين .
ط دار الكتب المصرية .
ـ شرح أشعار الهذليين، شرح السكري .
ط لندن 1854 م .

ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت 218 هـ) .
ـ السيرة النبوية .
تحقيق مصطفى السقا وآخرين .
ط الحلبي ، مصر 1936 م .

هوداس .
ـ محاولة الخط المغربي .
مجلة حوليات الجامعة التونسية ، العدد 3 سنة 1966 م .

(و)

ابن الوحيد : محمد بن شريف بن يوسف (ت 711 هـ) .
ـ شرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب .
تحقيق هلال ناجي ، ط تونس 1967 م .

ابن الوردي : عمر بن مظفر (ت 749 هـ) .
ـ خريدة العجائب .
ط محمد شاهين ، القاهرة 1280 هـ .

ولفنسون : إسرائيل .
ـ تاريخ اللغات السامية .
مطبعة الاعتماد ، مصر 1348 هـ/ 1929 م .

(ي)

ياقوت الحموي = الحموي .

اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب (ت 292 هـ) .

ـ تاريخ اليعقوبي .
ط هوتسهان ، ليدن 1883 م .
ـ البلدان .
ط دي غويه ، ليدن 1892 م . وط النجف 1918 م .

يوسف : أحمد يوسف .
ـ الخط الكوفي .
ط القاهرة 1352 هـ .

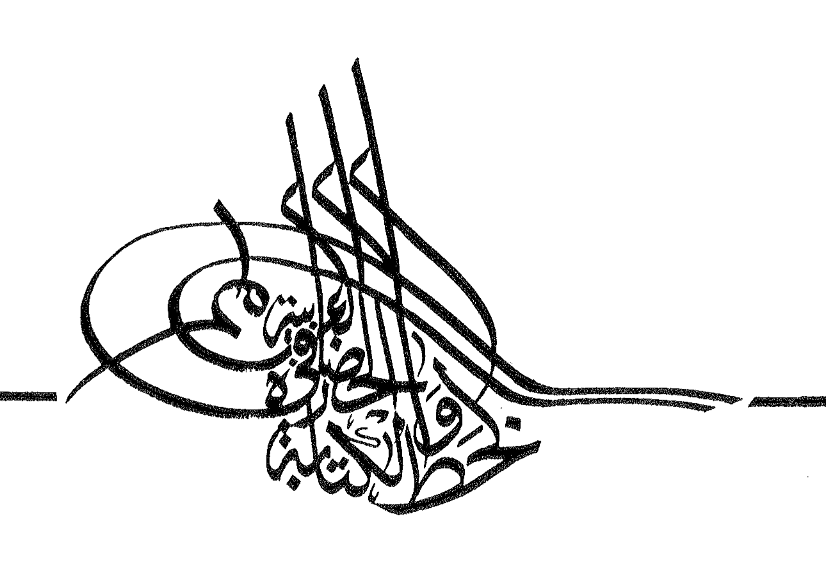
«المراجع الأجنبية»

Abbott, Nabia: The Rise of the North Arabic Script and it's Kura'nic Development with a full Discription of the Kura'n Manuscripts in the Oriental Institute, (Chicago 1938)..
: The kasr Kharána Inscriptions of 92 H. (710.A.D)..
Ars Islamica University of Michigan Press, (New York 1968), Vols. XI - XII..
Arif Aida: Arabic Lapidary Ku'fic in Africa (London 1967).
Creswell. K.A.C. : Early Muslim Architecture, (oxford) MCM (XXXII), Part one..
Diringer, David: The Alphabet, (London 1968).
Euting, Julius:: Nabatáische Inschriften Aus arabien, (Berlin 1885).
Grohmann Adolf: Arabic Inscriptions, (Louvain 1962).
From the world of Arabic Papayri, Al - Maaref Press (Cairo 1952)..
Hamilton R.W.: Khirbat Al Mafjar, (Oxford 1959).
Hamidullah, M.:" Some Arabic Inscriptions of Medinah of the Early Years of Hijrah".
Islamic Culture, (Hyderabad, Decean 1939), No. 4, Vol. XIII..
: Le Prophète de L'Islam. Librairie Urvin, Paris 1959.

Huart: Calligraphes et Miniaturistes de L'orient Musulman, Paris 1908.
Hudas, A.: Essai sur L'Ecriture Maghrebine, Vianna 1886..
Littmann, Enno: Nabatean Inscriptions, Division Iv, Semitic Inscriptions, Section A, (Leyden-Brill 1914).
: Arabic Inscriptions, Division Iv, Semitic Inscriptions, Section D, Leyden- (Brill 1949).

Miles G. : Early Islamic Inscriptions Near Ta'if in the Hija'z. Journal of near Eastern studies (U.S.A 1948).
Mordtman, A.D.: Musil, Alois: - Kuseir Amra (Wien 1907).
Taylor Isaac : The Alphabet (London 1883).
Van Berchen : Inscriptions arabes de Syrie Mémprés. Inst. Eg. 111, 1897, 417 - 520.

فهارس الكتاب



1 ـ فهرس الألواح

لوح رقم	اللوحة	المصدر
22	دراهم عصر الخلفاء الراشدين	المتحف العراقي
23	دراهم عصر الخلفاء الراشدين	المتحف العراقي
24	نماذج من المصاحف المنسوبة الى عثمان بن عفان	المنجد
25	نماذج من المصاحف المنسوبة الى علي بن أبي طالب	المنجد
26	كتابة سد معاوية مؤرخة سنة 58 هـ	مايلز
27	حجر حفنة الأبيض مؤرخ سنة 64 هـ	المتحف العراقي
28	نقش كتابة قبة الصخرة في بيت المقدس سنة 72 هـ	فان برشم
29	كتابة من قصر خرانة مؤرخة سنة 92 هـ	نبيهة عبود
30	ورقة من المصحف المنسوب الى عقبة بن عامر كتب سنة 52 هـ	المنجد ـ عن طوب قبو أمانة استانبول رقم 40
31	ورقة من مصحف حديج بن معاوية	المنجد ـ السابق
32	ورقة من المصحف المنسوب الى الإمام الحسن	المنجد ـ عن مكتبة مشهد رقم 12
33	ورقة من المصحف المنسوب الى الإمام الحسين	المنجد ـ السابق
34	ورقتان من المصحف المنسوب الى الإمام زين العابدين	المنجد

نماذج الخطوط

لوح رقم	اللوحة	المصدر
35	نماذج من الخط الكوفي أ ـ ح	المصرف ـ مصور الخط العربي، ومنه الشروح التي على اللوحات
36	نماذج من خط الثلث أ ـ و	المصرف
37	نماذج من خط النسخ أ ـ د	المصرف
38	نماذج من الخط المغربي والأندلسي أ ـ ز	المصرف
39	نماذج من خط الاجازة (التوقيع) أ ـ د	المصرف
40	نماذج من خط الديواني أ ـ د	المصرف
41	نماذج من خط الطغراء أ ـ د	المصرف
42	نماذج من الخط الفارسي (التعليق) أ ـ و	المصرف
43	نماذج من خط الرقعة أ ـ ج	المصرف
44	خط الريحاني والخطوط التي اخترعها ابن البواب: خط المصاحف، خط الرقاع، خط الرياشي، خط	

لوح رقم	اللوحة	المصدر
	المقترن، خط العقد المنظوم، خط اللؤلؤي، خط الحواشي، خط المحقق، خط المسلسل والغبار، خط المنثور، خط التواقيع.	المصرف ـ بدائع الخط العربي
45	نماذج من خطوط ابن البواب أ ـ و	كتاب الخطاط البغدادي
46	نماذج من خطوط ياقوت المستعصمي أ ـ د	المصرف ـ مصور الخط العربي

* * *

2 ـ فهرس الخطوط والأرقام

* تقرأ كل كلمة بوضع كلمة الخط أو القلم قبلها .

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

* * *

3 ـ فهرس حضاري

بالمصطلحات والكلمات المستعملة في الخط والكتابة وأدواتهما

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

* * *

4ـ فهرس الأعلام

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

* * *

5 ـ فهرس الأمم والشعوب والجماعات

(أ)

(ب)

(ت)

6 ـ فهرس المواضع والبلدان

* * *

7 ـ فهرس الشعر

***

8 ـ فهرس الموضوعات

الفصل الثالث
الخط في العصر الأموي

الفصل الرابع
تطور الخط في العصر العباسي

الفصل الخامس
أعلام الخط المبدعون في العصر العباسي

الفصل السادس
أدوات الكتابة

الكتب الصادرة للمؤلف

اسم الكتاب	الناشر
1 ـ الإسلام والشعر	مكتبة النهضة ـ بغداد 1964
2 ـ شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه	ط 1 مكتبة النهضة ـ بغداد 1964
	ط 2 مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1981
3 ـ ديوان العباس بن مرداس السلمي	ط 1 وزارة الثقافة ـ بغداد 1968
	ط 2 مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1991
4 ـ الجاهلية ـ مقدمة في الحياة العربية لدراسة الشعر الجاهلي	مطبعة المعارف ـ بغداد 1968
5 ـ شعر النعمان بن بشير الأنصاري	ط 1 مطبعة المعارف ـ بغداد 1968
	ط 2 دار القلم ـ الكويت 1985
6 ـ شعر عروة بن أذينة	ط 1 مكتبة الأندلس بغداد ـ بيروت 1970
	ط 2 دار القلم ـ الكويت 1981
7 ـ لبيد بن ربيعة العامري	ط 1 مكتبة الأندلس بغداد ـ بيروت 1970
	ط 2 دار القلم ـ الكويت 1980
8 ـ شعر المتوكل الليثي	مكتبة الأندلس بغداد ـ بيروت 1971
9 ـ شعر الحارث بن خالد المخزومي	ط 1 مطبعة الآداب ـ النجف 1972
	ط 2 دار القلم ـ الكويت 1983
10 ـ الشعر الجاهلي ـ خصائصه وفنونه	ط 1 مكتبة التربية بغداد ـ بيروت 1972
	ط 2 مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1979
	ط 3 بيروت 1983 ط 4 بيروت 1986 ط 5/ 1988
11 ـ شعر عبدة بن الطبيب	مكتبة التربية بغداد ـ بيروت 1972
12 ـ شعر عبد الله بن الزبير الأسدي	وزارة الثقافة ـ بغداد 1974
13 ـ شعر أبي حية النميري	وزارة الثقافة ـ دمشق 1975

اسم الكتاب	الناشر
14 ـ شعر عمرو بن شأس الأسدي	ط 1 مكتبة الأندلس ـ بغداد 1976
	ط 2 دار القلم ـ الكويت 1983
15 ـ شعر عمر بن لجأ التيمي	ط 1 دار الحرية ـ بغداد 1976
	ط 2 دار القلم ـ الكويت 1981
16 ـ الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية (ترجمة عن الإنجليزية)	جامعة بغداد 1976
17 ـ ديوان الطغرائي (بالإشتراك مع الدكتور علي جواد الطاهر)	ط 1 وزارة الثقافة ـ بغداد 1976
	ط 2 دار القلم ـ الكويت 1983
18 ـ شعر هدبة بن الخشرم العذري	ط 1 وزارة الثقافة ـ دمشق 1976
	ط 2 دار القلم ـ الكويت 1985
19 ـ أصول الشعر العربي (ترجمة عن الإنجليزية)	ط 1 مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1978
	ط 2 مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1981
	ط 3 مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1988
20 ـ شعر عبد الله بن الزبعرى	ط 1 معهد المخطوطات العربية ـ القاهرة 1978
	ط 2 مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1981
21 ـ ديوان أحمد بن يوسف الجابر (بالإشتراك مع الدكتور محمد قافود)	مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ـ جامعة قطر ـ الدوحة 1983
22 ـ شعر خداش بن زهير العامري	مجمع اللغة العربية ـ دمشق 1986
23 ـ قصائد جاهلية نادرة	ط 1 مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1982
	ط 2 مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1988
24 ـ كتاب المحن لأبي العرب التميمي	ط 1 دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1983
	ط 2 دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1988
25 ـ الزينة في الشعر الجاهلي	دار القلم ـ الكويت 1984
26 ـ الأقوال الكافية والفصول الشافية (في الخيل) للملك علي بن داود الرسولي الغساني	دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1987
27 ـ الملابس العربية في الشعر الجاهلي	دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1989
28 ـ كتاب الردة للواقدي	دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1990
29 ـ كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل للوشاء	دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1991
30 ـ منهج البحث وتحقيق النصوص	دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1992
31 ـ الخط والكتابة في الحضارة العربية .	دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1994

دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها: الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) – الحمراء ، بناية الأسود
تلفون البناية : 340131/2 تلفون مباشر : 350331 ص . ب . 113-5787 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.F.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم	:	1994 - 2 - 2000 - 246
التنضيد	:	سامو برس – بيروت
الطباعة	:	دار صادر – بيروت

PREFACE

This book is intended primarily to study Arabic script and the art of its development since its beginnings.

First of all, attention is drawn to the difference between writing in a linguistic official style (state letters) and writing for the purpose of scripture and calligraphy. The latter is our main concern in this study. Special attention is paid to the development of early Arabic script as it appears in the Prophet's letters and other earlier remains.

Linguisticaly speaking, calligraphists were known as writers (Kuttāb), script as (Kitāba) and the book as (Kitāb), thus the title of our book derives its name from these meanings, since it is related to the script, its industry and ornamentations.

This book is composed of an introduction and six chapters.

The first chapter deals with the Arabic script, its origin, theories concerning its rise and development and its relation to Nabatean script. It also deals with the inscriptions discovered in the sites of Zibd, Asīs, Harrān and Um al-Jimāl.

The second chapter deals with the Arabic script during the pre-Islamic period, script found on parchment and with that of the Prophet's letters to the Kings. A close attention is given to its development during the reign of the first four caliphs.

Chapter three deals with the various inscriptions found at the dam of Mu'āwiya and at the mosque of the dam. Special attention is given to Kor'anic calligraphies. These were written by proffessional writers using vocalisation and diacritic marks to secure the correctness of the Kor'anic text.

Chapter four deals with the calligraphy in the Abbasid era which flourished and became remarkable profession. Many distinguished calligraphists appeared in this era such as Ibn Muqla, Ibn al-Bawwāb and Yaqut al-Musta'simī. Script styles like Kufic, Maghribī, Persian and Raiḥbānī became wide spread. A detailed review is given to the different kinds of script, to tools and to the materials used for writing; such as Parchment and Papyrus. The progress of paper industry had a remarkable effect on publishing books and on the cultural process in Iraq, Syria and the Islamic West.

Chapter six, the last and longest chapter, dealt with the materials and tools used in writing; their kinds and specifications.

SCRIPT AND WRITING
IN THE
ARAB CIVILIZATION

BY
Dr. YAHYA WAHIB AL-JUBORI



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI

SCRIPT AND WRITING
IN THE
ARAB CIVILIZATION